

بسم الله الرحمن الرحيم



جامعة الخليل
كلية الدراسات العليا
برنامج اللغة العربية

الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي

(518هـ - 648هـ)

إعداد الطالبة:

مي إبراهيم حسن عمرو

إشراف:

الأستاذ الدكتور حسن محمد عبد الهادي السراحنة

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وأدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة الخليل

1432هـ - 2011م

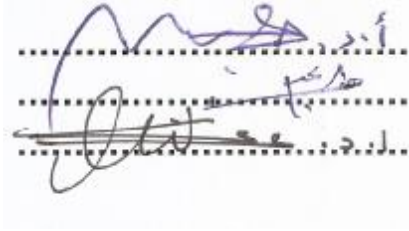
الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي

(489هـ - 648هـ)

إعداد الطالبة: مي إبراهيم حسن عمرو

نوقشت هذه الرسالة يوم... الثلاثاء... بتاريخ... 2011/7/5م.... الموافق 4/ شعبان/1432هـ..
وأجيزت.

التوقيع:



أعضاء لجنة المناقشة:

1. الأستاذ الدكتور حسن محمد عبد الهادي
2. الأستاذ الدكتور مشهور عبد الرحمن الحبازي
3. الأستاذ الدكتور علي عبد الله عمرو

الإهداء

إلى والدي العزيزين كالأهـما الله بعين رعايته.....

إلى أستاذي الفاضل الدكتور حسن عبد الهادي الذي غمرني بعلمه
الفيّاض.

إلى إخوتي، مراد، ووسيم، وشادي، وسها، وأحمد، وهاني،
وعدنان....

إلى كل من وقف إلى جانبي، إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي في
هذا العمل.

الشكر

أتقدم بجزيل الشكر، وتمام العرفان إلى أستاذي ومعلمي الذي وفر لي الوقت اللازم، وسدّد خطواتي وأغنى بحثي بملاحظاته القيّمة، إلى الدكتور حسن محمد عبد الهادي، جزاه الله خير الجزاء، وأسبغ عليه الصّحة والعافية، وأدامه ذخراً للعلم والمتعلمين.

كما يطيب لي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة قسم اللغة العربية، بجامعة الخليل.

وإلى كل من مدّ يد العون والمساندة لإتمام هذا العمل.

المحتويات

ب	الإهداء
ت	الشكر
ث - ج	المحتويات
ح - ذ	المقدمة
6-1	الحنين: التطور والنشأة.....	التمهيد
40 -7	مضامين شعر الحنين.....	الفصل الأول
35 -8	أولاً:حنين بكاة الأطلال والديار.....	
40- 30	ثانياً:شعر المكرهين.....	
35-30	1- المنفيون أو المطرودون.....	
40-36	2- المسجونون، أو التازحون.	
110 -40	مظاهر الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي	الفصل الثاني
66- 40	أولاً: الحنين إلى الوطن.....	
81- 67	ثانياً:الحنين إلى المحبوب.....	
91 - 82	ثالثاً:الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء	
100 -91	رابعاً: الحنين إلى الذكريات الماضية.....	
110-100	خامساً: الحنين الديني.....	
124-111	الدراسة الفنية.....	الفصل الثالث
124-112	أولاً:بناء القصيدة.....	
146-125	ثانياً:الأسلوب.....	
156-147	ثالثاً: الموسيقى.....	
164-157	رابعاً: الصورة الشعرية.....	

168-165	الخاتمة
186-169	المصادر والمراجع
187	الدوريات
188	الرسائل الجامعية
190-189	ملخص باللغة الإنجليزية

المقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد؛

فالحنين موضوع قديم في الشعر العربي، أكثر منه الشعراء لأنه يُعبّر عن عاطفة إنسانية صادقة، ويرتبط غالباً بالغرابة التي يفارق فيها الإنسان وطنه وأهله وأحباءه لظروف مختلفة.

وكان لشعراء الدولتين الزنكية والأيوبية نصيب وافر في هذا الموضوع من الشعر، فقد عبّروا عن حنينهم لوطن تركوه، وأودعوا فيه مفنقات عالية من الأهل والأقرباء والأحبة والأصدقاء والذكريات، إما رغبة في العلم، والجاه، والمال، أو مكرهين في حالة الفقر والنفي.

لذا تعود أهمية هذه الدراسة إلى كونها تضيف شيئاً جديداً للأدب العربي، في وقوفها على أشعار الحنين في شعر الدولتين الزنكية والأيوبية.

وتتناول هذه الدراسة البحث في ظاهرة الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي، في الفترة الواقعة ما بين (518هـ- 648هـ).

وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها استكمال لدراسات سابقة، درست الحنين من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي الثالث، ولذلك لم تكن هذه الدراسة الأولى في موضوعها، بل سبقتها دراسات أخرى حول ظاهرة الاغتراب والحنين في العصور السابقة، فقد تناولها عبد المنعم حافظ الرّجبي في رسالة دكتوراة، عنوانها: "الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي"، ومحمد إبراهيم حور في كتابه "الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، وأيضاً: دراسة خليل صاحب إبراهيم، وهي رسالة ماجستير بعنوان "الغرابة والحنين في الشعر العربي قبل الإسلام".

ومن الدّراسات الأخرى: دراسة وهران محمود حبيب، وهي رسالة دكتوراة عنوانها " الحنين في شعر صدر الإسلام"، وكتاب "الحنين في الشّعر الأندلسي (القرن السّابع الهجري)" لمحمد أحمد دقالي وغيرها من الدّراسات، علماً بأن هذه الدّراسات أفادت البحث في كثير من الجوانب.

ولإنجاز هذه الدّراسة المتواضعة التي دعا إليها السبب الأنف الذّكر، واجهت الباحثة بعض الصّعوبات أبرزها: افتقار الجامعات المحلية إلى كثير من المصادر والمراجع، مما جعل لزاماً عليها تحمل أعباء السّفَر ومشاقه للحصول على هذه المصادر من مكاتب الدّول المجاورة، حيث استعانت الباحثة كثيراً بمكتبة الجامعة الأردنية، ومكتبة جامعة دمشق، وإذا تحدثت الباحثة عن الصّعوبات، فلا بدّ من ذكر بعض العوامل التي سهّلت السّير في هذه الدّراسة، حتى أنجزت في وقت ليس بالطويل، منها: توافر كتب الأدب، والتّراجم، ودواوين الشّعراء المعروفين في تلك الفترة لدى المشرف، كما أن المتابعة المستمرة من الأستاذ المشرف، وفرت وقتاً وجهداً على الباحثة.

وقد تطلبت هذه الدّراسة مناهج بحث متعددة، من خلال معالجة الكثير من الموضوعات، فكان من المناسب اعتماد المنهج التّكاملي، فقد كانت بحاجة إلى المنهجين الوصفي والتّحليلي في تناول التّصوص وتحليلها، والمنهج الجمالي في الدّراسة الفنية، والمنهج النّفسي في الكشف عن الأمور التي تكتنف نفسية الشّاعر في حنينه.

وقسمت الباحثة الدّراسة إلى تمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة ففي التّمهيد: تناولت الباحثة ظاهرة الحنين في مفهومها اللغوي والاصطلاحي، كما قدمت نبذة موجزة عن شعر الحنين، كغرض قديم في الشّعر العربي.

أما الفصل الأول: فقد تحدثت الباحثة فيه عن الظّاهرة من حيث ما يتضمّنه شعر الحنين، وقد قُسم الشّعر إلى قسمين هما: حنين بكاء الأطلال والديار، وحنين المكرهين، وتناول شعر الأطلال والديار، الموضوعات الآتية: الوقوف على الأطلال، و التّحية والسّلام، وسؤال الأطلال، والبكاء على الأطلال، والدّعاء لها بالسّقيا، والبرق والرّيح، وأخيراً الآثار والدّمّن والرّسوم.

وجاء حنين المكرهين في عنوانين، هما:

المنفيون أو المطرودون، والمسجونون أو النازحون.

وفي الفصل الثاني تحدثت الباحثة عن موضوعات شعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي، (518هـ- 648هـ)، وقسم الفصل إلى خمسة موضوعات، هي: الحنين إلى الوطن، والحنين إلى المحبوب، والحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء، الحنين إلى الذكريات الماضية، والحنين الديني.

وقد تنوعت هذه الموضوعات عند معظم الشعراء وتميز بعضهم بموضوعات معينة، مثل: باب الحنين إلى دمشق عند ابن عنين، والحنين إلى الديار الحجازية عند الزمخشري، وشكوى الفراق ووصف الحنين والاشتياق وشكوى الفراق عند أسامة بن منقذ.

وفي الفصل الثالث: تناولت الباحثة الجانب الفني لشعر الحنين في هذا العصر، من حيث: بناء القصيدة، والأسلوب، والموسيقا الشعرية، والصورة الشعرية.

وختمت الدراسة بخاتمة ذكرت الباحثة فيها النتائج والتوصيات.

وأما المصادر والمراجع التي أفادت منها الباحثة، فهي كثيرة لا يمكن ذكرها هنا، ويكفي التمثيل ببعضها، ففي التراجع أفادت الباحثة، من معجم الأدباء لياقوت الحموي، و الوافي بالوفيات للصدقي، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي وغيرها، وفي مجال الأشعار واستقراء النصوص، أفادت من قلائد الجمان لابن الشعار الموصلي، ودواوين بعض الشعراء، مثل: أسامة بن منقذ، والعماد الأصبهاني، والملك الأمجد، وابن عنين، وابن مطروح وغيرها.

ومن المصادر والمراجع ذات الصلة بموضوع الحنين، التي أفادت الباحثة منها: رسالة الحنين إلى الأوطان للجاحظ، وكتاب الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان، والوطن في الأدب العربي لإبراهيم الإبياري، والحنين في الشعر الأندلسي لمحمد أحمد دقالي.

وفي الترجمة لبعض المواضع، أفادت الباحثة من معجم ما استعجم للوزير البكري، ومعجم البلدان لياقوت الحموي

وفي الدراسة الفنية، أفادت الباحثة من مصادر ومراجع مختلفة، منها: العمدة لابن رشيقي، والبديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ، ومنهاج البلغاء لحازم القرطاجني، والأسلوب لأحمد الشايب، والنقد الأدبي لأحمد أمين، وموسيقا الشعر لإبراهيم أنيس، والصورة والبناء الشعري لمحمد حسن عبد الله، وفن الشعر لإحسان عباس، وغيرها.

ولم تقتصر الدراسة على المصادر والمراجع المتقدمة بل استعانت الباحثة بالبحوث والمقالات المنشورة في الدوريات، من ذلك مقال "الغربة المكانية في الشعر العربي" لعبده بدوي، ومن الرسائل الجامعية: استعانت الباحثة برسالة الدكتور عبد المنعم حافظ الرجبي "الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، ورسالة "الحنين في شعر صدر الإسلام" لوهران محمود حبيب و"شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية" لرولا ناصر سليمان، وغيرها.

والله أسأل التوفيق والسداد في دراستي هذه

التمهيد: الحنين التطور والنشأة

أولاً: مفهوم الحنين.

1- الحنين لغة.

2- الحنين اصطلاحاً.

ثانياً: شعر الحنين.

أولاً: مفهوم الحنين، لغة واصطلاحاً.

1- الحنين لغة:

يقال: حَنَّ يَحْنُ حَنِيناً، فهو حَانٌّ، والحنين: الشَّدِيد من البكاء والطَّرب، وقيل هو صوت الطَّرب كان ذلك عن حزن أو فرح، ويقال حَنَّت القوس إذا صوتت، وأحنَّها صاحبها (1).

والحنين الشَّوْق وتوقان النَّفس، والمعنيان متقاربان (2) وحنَّت الإبل نزعاً إلى أوطانها أو أولادها، والتَّاقَة تحنُّ إثر ولدها حنيناً تطرب مع الصَّوت والحنون من الرِّياح التي لها حنين كحنين الإبل، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين (3).

وقال رؤبة بن العجاج (4):

حنَّت قلوصي أمس بالأردنِّ حنِّي فما ظلَّمت أن تحني (5)
ويقال: حَنَّ قلبي إليه فهذا نزاع واشتياق من غير صوت، وحنَّ عليه، أي عطف عليه، وحنَّ إليه، أي نزع إليه (6).

ومن معانيه: العطف والرَّحمة، (7) قال تعالى: " وحنانا من لدنا" (8) أي رحمة والحنان من صفات الله عزَّ وجلَّ أي ذو رحمة وتعطف (9).

والعرب تقول: " حنانك يارب وحنانيك بمعنى رحمتك" (10)، ويقال للأُم البرة "الحانية" وقد حنَّت على ولدها تحنو وتحننت عليه أي رقت عليه ورحمته (11).

وفي المثل "حرَّك لها حوارها تحنُّ" (12) ومعناه ذكره بعض أشجانه، يهيج له (13).

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (حنن).

(2) ينظر: الجوهرى، الصحاح، مادة (حنن).

(3) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنن).

(4) رؤبة بن العجاج: هو عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي، راجز مجيد، شاعر أموي، توفي نحو 90هـ، ينظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 575/2.

(5) الديوان، 190.

(6) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حنن).

(7) ينظر: نفسه، والمادة نفسها.

(8) مريم: 13.

(9) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (حنن).

(10) ينظر: ابن منظور، لسان العرب. والزبيدي، تاج العروس، مادة (حنن).

(11) ينظر: الجوهرى، الصحاح، مادة (حنن).

(12) الميداني: مجمع الأمثال، 191/1.

(13) نفسه، 191/1.

والحنانة من النساء: هي التي تحنُّ إلى زوجها الأول، وقيل هي التي تحنُّ على ولدها من زوجها المفارقها⁽¹⁾.

2- الحنين اصطلاحاً.

تظل كلمات الحنين وإيحاءاتها تدور في معنى الرقة والعطف مع انتقالها إلى معنى آخر وهو الحنين إلى الديار، وهذا أمر طبيعي، لأن الحانَّ إلى وطنه يعبر عن حنينه، ويصور شعوره بألفاظ ناعمة، تعبر عن صدق الإحساس ورقة الشعور، وفيض الوجدان، وصدق التجربة والمعاناة، فهي تنبع من نفس إنسانية متقلبة⁽²⁾.

فالحنين "مصطلح أدبي طغى على الشعراء الذين ابتعدوا عن وطنهم فاعتراهم الشوق إليه، فكانوا يتغنون به وبجماله وهم يعبرون عنه، ولا يكون شعر الحنين إلى الأوطان إذا كان المرء في وطنه، إلا إذا كان في غربة نفسية"⁽³⁾.

وكان الشعراء يصدرن شعراً رقيقاً مرهفاً ووجدانياً صادقاً، ولا سيما شعراء الفتوح، والمقهورون البعيدون، وبرز الحنين أكثر في شعر شعراء المهجر الذين كانوا يحثون إلى أرضهم في الشأم ولبنان⁽⁴⁾.

لقد اقتصر المصطلح السابق على الشوق والنزوع للوطن المفقود دون الوقوف على المفقدات الأخرى، مثل: الأهل والأحبة، والأصدقاء، والذكريات الماضية، حيث يعد الحنين إلى الوطن، الشوق إليه وإلى قاطنيه من الأهل والأقارب والأحبة والأصدقاء. إلا أن بعض الباحثين ربط بين مفهوم الحنين والفقد للأشياء جميعها وليس للوطن وحده، "فمفهوم الحنين يرتبط بالفقد ويعبر عن شغف المرء بالمفقود إليه وشوقه إليه أيا كان نوعه"⁽⁵⁾.

"والحنين نزوع إلى كل ما فقد تغذيه الذاكرة، بخاصة وأن الماضي يزداد جمالاً على مر السنين كما يرتبط الحنين بالأمل، فهو يجعل المهاجر يأمل بالعودة إلى وطنه يوماً، كما يجعل المحب يأمل بالرجوع إلى أيام الوصال مع الحبيب"⁽⁶⁾.

(1) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (حنن).

(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(3) التونسي، محمد، المعجم المفصل في الأدب، 1/385.

(4) ينظر: نفسه، 1/385.

(5) حبيب، وهران محمود، الحنين في شعر صدر الإسلام، رسالة دكتوراة، 1، جامعة تشرين، 2003م.

(6) سليمان، رولا ناصر، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 184، رسالة ماجستير، (د.م)، (د.ت).

وبقي مفهوم الحنين في كتب الأدب والأخبار مقتصرًا على الحنين إلى الوطن والديار، فقد سجل الجاحظ (ت 255هـ) رسالة في الحنين إلى الأوطان تحدث فيها عن الملوك والأنبياء والأعراب.

حيث قال: "إني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار، والنزاع إلى الأوطان، فسمعتة يذكر أنه اغترب من بلد إلى آخر أمهد من وطنه، وأمر من مكانه، وأخصب من جنانه، ولم يزل عظيم الشآن، جليل السلطان تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادهاء، وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلّا راغب إليه أو راهب منه، فكان إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها"⁽¹⁾.

ثم يورد الجاحظ بعض الأقوال في حب الوطن منها: "وشبهت الحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي تكل أبويه فلا أم ترأمة ولا أب يحذب"⁽²⁾ عليه"⁽³⁾.

وخصص البيهقي (ت 320هـ) في كتابه "المحاسن والمساوي" بابين أحدهما في محاسن الحنين إلى الوطن⁽⁴⁾، والآخر في مساوي من كره الوطن⁽⁵⁾ ومن ذلك: "وكان يقال بحب الأوطان عمرت البلدان"⁽⁶⁾، وأيضاً وقال آخر: "ما حن أحد إلى بلد جمع شمله إلا لوصمة في عقله، ولا تنزع نفسه إلى بلد فارقه إلا لاستيلاء الشوق عليه"⁽⁷⁾.

وصنف ابن المزربان الكرخي (ت 330هـ) كتابين في الحنين والشوق هما:-

أ- كتاب (الحنين إلى الأوطان)، قسمه إلى أربعة عشر باباً.

ب- الشوق والفراق، تناول فيه موضوعات مختلفة، منها: العجز عن المكاتبه لغلبة الشوق، والجواب عن وصف الشوق، والدعاء بالاجتماع بعد وصف الشوق، وتلهب الشوق بالقرب. ووصف الشوق قبل الرؤية، وذكر موقف يوم الفراق، والدعاء للمسافر، وذم الدهر بالفراق، وحمد الفراق، والتحية، وتذكر

(1) الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، 4.

(2) يحذب عليه: يعطف عليه، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (حذب).

(3) الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، 11.

(4) 286، 287.

(5) نفسه، 290، 291.

(6) نفسه، 286.

(7) نفسه، 290.

العهد والأيام، وما قيل عند الوداع، والطيف والخيال، وفنون ما قيل في الفراق وغيرها من الموضوعات ذات الصلة القرية من موضوع الحنين (1).

وقد أفرد أسامة بن منقذ (ت 584هـ) فصلين من كتابه (المنازل والديار) في ذكر الأوطان، نقل فيها أخباراً وأشعاراً تظهر حب المرء لوطنه وتمسكه به (2)،

فمن ذلك قول المتنبي: {البسيط}

بِمَ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلٌ، وَلَا وَطَنٌ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ (3)

وحذا الأبشيهي (ت 850هـ) حذو السابقين له، فقد خصص باباً من (المستطرف) أورد فيه مقتطفات من الأخبار والأشعار، تعبر عن صدق الإحساس تجاه الوطن. وهو الباب الخمسون، وعنوانه: "فيما جاء في الأسفار والاعتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين إليه" (4).

(1) ينظر: ابن المرزبان، الشوق والفراق 27، 28، 31، 35، 37، 40، 47، 50، 68، 73، 84، 79،

124 ، 127.

(2) ينظر: 219، 231.

(3) الديوان: 4 / 236، 237.

(4) ينظر: 298، 299، 300، 301، 302، 303.

ثانياً: شعر الحنين.

الحنين باب قديم في الشعر العربي، فيمكن القول إن أول من حن إلى الديار وبكى عليها في الشعر العربي هو ابن حذام⁽¹⁾ فيما وصل إلينا ويستدل على ذلك من قول امرئ القيس: {الكامل}

عُوجًا عَلَى الطَّلِّ الْمُحِيلِ لِأَتْنَا نَبْكَى الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حِذَامِ⁽²⁾

ويعد موضوع الحنين من الموضوعات التي تناولها عدد من الشعراء الجاهليين ليعبروا فيها عن تجربة إنسانية صادقة عاشوها وضاعفت شعورهم تجاه وطن رحلوا عنه لسبب من الأسباب، فمن يقرأ في المعلقات السبع يجد أن الشعراء الجاهليين كان يستهلون قصائدهم بمقدمات طللية يحنون فيها إلى الديار والمنازل والأحبة، ومن ذلك قول طرفة بن العبد: {الطويل}

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةٍ تَهْمَدُ تَلُوْحُ كِبَاقِي الوَسْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ⁽³⁾

وقد حظي شعر الحنين باهتمام النقاد القدامى، فقد عدوه غرضاً شعرياً كالمدح، والهجاء، والغزل، وغيرها من الأغراض الشعرية الأخرى، فقدامة بن جعفر وضع الحنين تحت باب النسب، حيث قال: "قد يدخل النسب التثوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة، والبروق اللامعة، والحمام الهاتفة، والخيالات الطائفة، وآثار الديار العافية، وأشخاص الأطلال الدائرة"⁽⁴⁾.

أما المرزوقي فقد جعله أول أغراض الشعر العربي القديم، فقال: "والشعراء إنما أغراضهم التي يسددون نحوها، وغاياتهم التي ينزعون إليها، وصف الديار والآثار، والحنين إلى المعاهد، والمبالغة في التشبيب بالنساء، والتلطيف في الاحتذاء، والتفنن في المدح والهجاء....." ⁽⁵⁾.

(1) ابن حذام: هو شاعر من شعراء طي، ينظر: ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 39.

(2) الديوان، 114

(3) الزوزني، شرح المعلقات السبع، 65.

(4) نقد الشعر، 134.

(5) المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، 20/1.

الفصل الأول

مضامين شعر الحنين.

أولاً: حنين بكاء الأطلال والديار.

ثانياً: حنين المكرهين، ومنهم:

1- المنفيون أو المطرودون.

2- المسجونون أو النازحون.

أولاً: حنين بكاء الأطلال والديار.

ارتبطت الأطلال بمواقعها وآثارها ورسومها بالشعراء ارتباطاً وثيقاً، لأنها تخلد ذكرياتهم، وتوقظ مشاعرهم، وتعيد أيام شبابهم، وتذكرهم بالأحبة، والأهل، والمنازل التي رحلوا عنها.

وهذه الأشياء جميعها تخلق عند الشاعر رغبة في وصف هذا المكان جزءاً جزءاً، وتحديد جميع نواحيه والبكاء عليه والدعاء له بالسّقيا والخصب⁽¹⁾، لكونه نوعاً من استرداد الوطن القديم المشتت⁽²⁾، وضرباً من الحنين إلى الماضي والتّزوع إليه، لإشاعة الفرح⁽³⁾.

وقد أشار النقاد القدامى إلى أن الوقوف على الأطلال هو الحنين إلى الوطن في أصله، فابن قتيبة يقول: "إن مقصد القصيد إنما ابتداءً فيها بذكر الديار، والدّمن، والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبّع، واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها"⁽⁴⁾.

أما الأمدي فيقول في موازنته "العرب تقصد الديار للوقوف عليها وإما تجتاز بها، فيقول الرّجل لصاحبه أو صاحبيه، قف وقفا، ولو كان هناك مقصد إليهما لكانوا إذا وصلوا لا يقولون "قف" "قفا"، وإنما ذلك تعريج على الديار في مسيرهم"⁽⁵⁾.

وكان الأمدي يشير في قوله هذا إلى أن الغرض من ذكر الديار، والوقوف عليها هو الحنين والشّوق إليها، وإلى أيامها الخالية، لأنه لا غرض له، فماذا يريد الشاعر من أطلال خالية وآثار بالية⁽⁶⁾.

ويقول ابن رشيق في الوقوف على الأطلال: "وكانوا أصحاب خيام يتنقلون من موضع إلى آخر، فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار، فتلك ديارهم"⁽⁷⁾.

ويقول في موضوع آخر: "وتوقع البين، والإشفاق منه، وصفة الطلوع والحمول، والتشوق بحنين الإبل ولمع البروق، ومر التّسيم..."⁽⁸⁾.

(1) ينظر: حور، محمد إبراهيم، الحنين إلى الوطن، 4.

(2) ينظر: بدوي، عبده، الغربة المكانية في الشعر العربي، 15، مجلة عالم الفكر، م15، ع1، 1984م.

(3) ينظر: الخشروم، عبد الرزاق، الغربة في الشعر الجاهلي، 16.

(4) الشعر والشعراء، 406/1.

(5) 379/1.

(6) ينظر: حور، محمد إبراهيم، الحنين إلى الوطن، 45.

(7) العمدة، 198/1.

(8) نفسه، 225/1.

وقد تابع المحدثون ظاهرة الوقوف على الأطلال، فاتفقوا مع القدامى على أن الوقوف على الأطلال هو في أصله حنين ونزوع للوطن المفقود.

فشوقي ضيف يرى أن الوقوف على الأطلال وبكاءها هو صورة ثابتة لهذا الحنين الذي نما مع العرب على مر الزمن، واختلاف المنازل والأمكنة⁽¹⁾.

فتارة يبكي الشعراء منازل الحبيبة، وتارة يهيج الحمام أشواقهم، وقد تهيجه ريح الصبا وغيرها من الرياح، وكان نزوحهم عن أوطانهم سبباً في استمرار هذا الحنين⁽²⁾.

والطلل عند بعض الباحثين هو التعبير عن الانفعال في الحاضر، والاتحاد بالماضي البعيد⁽³⁾.

ويرى آخر أن الطلل تعبير عن رؤية فلسفية عميقة تعبر عن معنى الديمومة والخلود، أو تعبير عن صورة ثابته في طوايا نفس الشاعر، فالإنسان بجبلته مطبوع على حب الملك والخلود⁽⁴⁾، وفي هذا إشارة واضحة إلى قوله تعالى " هل أدعك على شجرة الخلد وماغلا يبلى "⁽⁵⁾.

فالشاعر في حديثه عن الأطلال يكرس ثنائيتين: الزمن في مروره يجرّد الأشياء ويعريها، لكنه في الوقت نفسه يخلد الأشياء ويمنحها الديمومة⁽⁶⁾.

ويمثل الحنين إلى الطلل، الحنين إلى الوطن وما يحيط به، وما يتناثر حوله من الدمن، ويمثل مجموعة الذكريات التي عاشت في ذهن الشاعر، يحفظ فيها أجمل الأوقات وأسعد الأيام⁽⁷⁾.

والطلل في حد ذاته رمز للوطن عند الشاعر، أو هو الوطن، فقد كان الطلل الحالي يمثل المكان المفضل للقاء العشاق يوم أن كان داراً عامرة، وغداً الآن آثاراً عافية دراسة مغلفة بالذكريات⁽⁸⁾.

(1) ينظر: دراسات في الشعر العربي المعاصر، 263.

(2) ينظر: نفسه، 256.

(3) ينظر: الخشروم، عبد الرزاق، الغربية في الشعر الجاهلي، 244.

(4) ينظر: هياجنة، محمد سليم، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، 83، 84.

(5) طه: 120.

(6) ينظر: هياجنة، محمد سليم، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، 83، 84.

(7) ينظر: القيسي، نوري، الطبيعة في الشعر الجاهلي، 364.

(8) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 254، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

وهناك من يرى أن الطلل هو المكان المقترن بالزمن الذي يجلو معطيات ذات قيمة إنسانية تبلورت في اغتراب الشاعر، وإذا ما انسلخ عن تلك المعطيات عبر تجاربه الماضية وحرمانه منها، فالشاعر يتواصل مع الطلل والذكريات الماضية للاستمرار في الحياة، ويودع فيه قصيدته وتجربته الماضية والحاضرة بقدر ما تتيح له قدرته الفنية الإبداعية في أداء ما يصبو إليه من تمثيل الحالة، وتكثيف التجربة، وتعميمها واستيحاء رموز الفناء والخلود، فتغدو اللوحة الطللية مستوعبة لزخم المعطيات الحياتية في ضوء وعي الشاعر لتجربته وبواعثها(1).

سار الشعراء الزنكيون والأيوبيون على نهج الشعراء الجاهليين في وقوفهم على الأطلال وبكائها، فقد عبروا عن حنينهم لهذه الديار التي خاطبوها وسألوها وبكوها، وألقوا عليها السلام، فهي رمز للأيام الماضية بما تحمله من ذكريات جميلة، وأحاديث سارة دارت بين الأحبة.

والمنتبع للمقدمات الطللية في قصائد الزنكيين الأيوبيين يرى أن هؤلاء الشعراء لم يأتوا بجديد، فقد وقف الشاعر الأيوبي على الأطلال، وألقى عليها التحية والسلام، ثم ناجاها وسألها عن مصير الأهل والأحباب الراحلين عنها، وبكى المنازل والديار التي غدت رسوماً عفى عليها الزمن، وعبر عما أصابه من حنين لماضٍ منصرم لم يبق منه سوى الذكريات.

وقد اشتمل موضوع حنين بكاء الأطلال على الظواهر الآتية:

1- الوقوف على الأطلال.

جرت العادة أن يقف الشاعر أو أن يستعين بصحبه للوقوف على الطلل المقفر من أهله، فقد كان هذا الطلل داراً أهلة بالأهل والأحباب، وغدا الآن آثاراً دارسة مقفرة، لا يجاب فيها عن سؤال، فالشاعر يتخذ من هذه الأطلال باعثاً له أو مساعداً للشوق والحنين المستمرين، فهذه الديار تمثل قطعة غالية من شبابه ونفسه وأحبته(2).

(1) ينظر: إبراهيم، صاحب خليل، الغربية والحنين في الشعر العربي قبل الإسلام، 30، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988م.
(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 272، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

وفي العصرين الزنكي والأيوبي، جاء الوقوف على الأطلال على النحو الآتي:

يقف القاضي الفاضل⁽¹⁾ على الطلل الدارس المقفر، ويسأله عن الماضي المنصرم، فلا يجد جواباً غير الصوت المتردد في نواحي الديار الخالية من أهلها وما هو إلا استرجاع لشريط الذكريات الماضية بما فيها من أيام سارة عزيزة على قلب الشاعر، إذ يقول: {الطويل}

وَقَفْتُ عَلَيْهِ، بَلْ بِهِ مُتَأَوِّدًا أَسْأَلُ عَنْ عَهْدٍ بِهِ مُتَقَادِمٍ
يُجِيبُ صَدَائِي الرَّبْعُ، لَا مَا نَظَّنُّهُ بَرَعَمَ خَوَاهٍ: مِنْ جَوَابِ الْحَمَائِمِ
أَرَى طَيْفَكُمْ كَالْحَظِّ فِي الدَّهْرِ: مَالَهُ سُرَى أَبْدَأُ إِلَّا إِلَى عَيْنِ نَائِمٍ⁽²⁾

أما الأرجاني⁽³⁾ فيطلب من صحبه أن يساعده بالوقوف على ديار الأحبة، فلكل منهم قلب سليم لا يؤلمه، أما الشاعر فله ألم لا قلب، ولم يبقَ منه إلا نفس يتردد، وعين تدمع، يقول: {الكامل}

عُوجُوا عَلَيْهَا أَيُّهَا الرِّكْبُ لَا عَارَ أَنْ يَنْسَاعِدَ الصُّحْبُ
كُلُّ لَهْ قَلْبٌ وَلَا أَلْمُ عَجَبًا وَلِي أَلْمٌ وَلَا قَلْبُ
مَالِي سِوَى نَفْسٍ أَرَدَّدُهُ وَجَدًا، وَعَيْنٌ دَمَعُهَا سَكَبُ⁽⁴⁾

في حين أن أسامة بن منقذ⁽⁵⁾، لا يرى جدوى من الوقوف على الأطلال وسؤالها عن سكانها الطاعنين عنها، إذ هي خرساء لا تنطق ولا تسمع، فكيف تجيب عن السؤال؟

(1) القاضي الفاضل: عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن أحمد بن المفرج، المعروف بالقاضي الفاضل، محيي الدين أبو علي بن القاضي الأشرف أبي الحسن اللخمي البيساني الأصل، العسقلاني المولد، المصري الدار، سنة 529هـ، وتوفي سنة 596هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 335/18، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 219/4.

(2) الديوان، 291/1.

(3) الأرجاني: أحمد بن محمد بن الحسين، أبو بكر، ناصح الدين، الأرجاني، شاعر، ولد بأرجان، في شعره رقة وحكمة، ولي القضاء بتستر وعسكر، وكان في صباه بالمدرسة النظامية بأصبهان، توفي بتستر، كان مولده في 460هـ وتوفي في سنة 544هـ، له ديوان شعر، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 47/1.

(4) الأرجاني، الديوان، 128/1.

(5) أسامة بن منقذ: هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد الكلبي الشيزري، أبو المظفر، مؤيد الدولة، أمير من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر قرب حماة، وسكن في دمشق، له تصانيف في الأدب، والتاريخ منها "البيديع في نقد الشعر"، "والمنازل والديار"، ولد سنة 488هـ، وكانت وفاته سنة 584هـ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 571، 572/21.

حيث يقول: { الكامل }

مَاذَا وَقُوفُكَ فِي الدِّيَارِ مُسَائِلًا عَنْ أَهْلِهَا، وَمَتَى يُجِيبُ الْأَبْكَمُ؟! (1)
وترى رولا ناصر أن وقوف أسامة بن منقذ على أطلال دياره كان تلبية للحنين
الذي يجيش في أعماقه، هذا الحنين الذي لن ينتهي إلا بموت الشاعر، فما أمر
إحساسه بفقدان دياره وأهله معاً، لقد حن أسامة إلى الأهل والديار عندما كان نائياً
عن وطنه، فكيف سيصبح هذا الحنين بعد أن فقدهم نهائياً؟ وبعد أن بات أمله
بالرجوع إليهم أو لقائهم يوماً أمراً مستحيلاً (2).

يقول أسامة بن منقذ: { الكامل }

هَذِي مَنَازِلَهُمْ عَفَّتْ وَتَفَرَّقُوا فَسَلِ الْمَنَازِلَ عَنْهُمْ مَاذَا لُقُوا؟!
تُخْبِرُكَ أَنَّ الْأَرْضَ قَدْ وَارَثَهُمْ وَأَبَتْ لَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَنْطِقُوا
وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ لَهُمْ فَادِحٌ وَكَأَبَةٌ تُضْنِي وَحَطَبٌ يُطْرُقُ
أَرْجُو اللَّحَاقَ بِهِمْ وَدُونَ لِحَاقِهِمْ بَابٌ مِنَ الْأَجْلِ الْمُؤَقَّتِ مُغْلَقٌ
فَإِذَا نَهَانِي عَنْ رَجَاءِ لِقَائِهِمْ يَأْسِي هَفَا قَلْبٌ إِلَيْهِمْ شَيْقٌ (3)

ويمكن القول إن موضوع الوقوف على الأطلال لم يكن موضوعاً تقليدياً تعمده
أسامة، وإنما نتيجة تجربته الذاتية، فوقف على الأطلال لبيت دواعي حنينه وشوقه
إلى قومه (4).

ويقسم الأرجاني بالربيع الذي أقفر من محبوبته أميمة، وقد حلت به الأنداء كحبات
اللؤلؤ الرطب، وقد طالع الشاعر ديار المحبوبة بمقلة تسفح دموعها، لشدة الألم
يقول: { الطويل }

فَلَيْهِ رُبْعٌ مِنْ أُمَيْمَةَ عَاطِلٌ تَوْشَّحَهُ الْأَنْدَاءُ بِاللُّوْلُؤِ الرَّطْبِ
رَمَيْتُ مُحِيًّا دَارَهُمْ عَنْ صَبَابَةٍ بِسَافِحَةِ الْإِنْسَانِ سَافِحَةِ الْغَرْبِ

(1) أسامة بن منقذ، المنازل والديار، 26، لم يرد بيت الشعر في ديوان أسامة بن منقذ.
(2) ينظر: أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 187، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م.)، (د.ت.).
(3) المنازل والديار، 26، لم ترد الأبيات في ديوان أسامة بن منقذ.
(4) ينظر: سليمان، رولا ناصر، أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 187، رسالة ماجستير، جامعة
دمشق، (د.م.)، (د.ت.).

أرؤي بها خدي وفي القلب غلتي وقد يتخطى الغيث أمكنة الجذب (1)

لقد اعتاد الشاعر أن يقف على الأطلال برفقة خلانه، إلا أن المهذب بن الزبير (2) لم يوقف خليه على الديار شأن غيره من الشعراء، بل أوقف فؤاده وسكب دموعه في دار الأحباب التي وجدها خراباً في وجدانه، حيث يقول: { الكامل }

رَبَعَ الفؤادَ خِلالَ تِلْكَ الأربُعِ فكأنَّها أُولى بِهِ مِنْ أضلعي
وأقامَ فيه، فالجوانحُ بَلَّغُ منهُ، وَمَا البيدُ القِفارُ ببَلَّغِ
وأرى الصَّبَا تَمْرِي السَّحابَ، وإِنَّمَا تَمْرِي صِبابُهُ سَحَابَ الأدمع (3)

ويطلب الأرجاني من صاحبيه أن يقفا معه على منازل الأحبة، وألا يبخلا بوقفه على عاشق مغرم، كما أنه يقول سأقيم في منزلهم وأبكي، لو نفع البكاء في ردهم: { الرجز }

فَما مَعِي في هَذِهِ المَعاهِدِ لا بُدَّ لِلصَّبِّ مِنَ المُساعِدِ
لا تَبْخَلِ يا صاحِبِي واسمَحا بوَقْفَةٍ على المَعنَى الواجِدِ
في مَنزِلِ عَهْدتُ في عِراسِهِ لو رَدَّ مَعهودًا بُكاءً عاهِد (4)

وهذا شاعر آخر يطلب من صاحبه أن ينزل بالحمى، ويسأل عن دار سلمى وماذا فعل الزمان بها، وأن يهديها سلامه، يقول فتیان الشاغوري (5): { الوافر }

خَليلي بِالحمى عَرَّجْ وَسَلْ ما تُرى فَعَلَ الزَّمانُ بِرَبِّعِ سَلْمى

(1) الأرجاني، الديوان، 133/1.

(2) المهذب بن الزبير: الحسن بن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير، الملقب بالمهذب، من ن بيت كبير بالصعيد معروف بالمال والرئاسة، كان فاضلاً، توفي القاضي المهذب بالقاهرة في ربيع الأول سنة 561هـ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأديباء، 943، 942/1.

(3) المهذب بن الزبير، الديوان، 200.

(4) الأرجاني، الديوان، 289/1.

(5) فتیان الشاغوري: فتیان بن علي جمال الدين الأسدي النحوي، ولد الشهاب الشاغوري بعد سنة 530هـ في بانباس الساحلية وعاش طفولته وشبابه الأول في حي الشاغور من دمشق وقضى ردها من حياته العلمية في الزبداني، وقد شارف التسعين من عمره، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 407/1.

وأهدى إلى ربي نجدٍ سلامي فتلك معاهدُ الأحابِ قَدماً(1)

إن الوقوف على الأطلال في شعر العصرين الزنكي والأيوبي وقوف تقليدي في معظمه وليس حقيقة، وإن اتخذ طابعاً حقيقياً عند أسامة بن منقذ، وذلك لعل الشعراء يريدون من وقوفهم هذا أن يتوصلوا إلى الأغراض الأخرى بطريقة سلسلة واضحة تشد الانتباه والإصغاء إليهم لا غير.

2- التّحية والسّلام.

عبر الشعراء الجاهليون عن حنينهم إلى الديار و الأيام السّالفة بإلقاء التّحية والسّلام على مسامع الديار الخالية من أهلها، وكأنها تعقل، وهم في هذا إنّما يقصدون أهلها الطّاعنين، فقد تبادلوا التّحيات بينهم وبين أحبابهم فوق هذه الديار التي غدت رسوماً دراسة(2).

واستمر الشعراء في صدر الإسلام بإلقاء التّحية والسّلام على الأطلال والرّسوم المقفّرة من أهلها، والأمر نفسه في العصر العباسي بمراحله المختلفة، وإن لم يكن بالكثرة التي كان عليها في العصر الجاهلي.

أما شعراء العصرين الزنكي والأيوبي فلم يكثرُوا من إلقاء السّلام والتّحية على الأطلال فالنّصوص الشّعريّة التي جاءت في هذه الظاهرة قليلة إلى حد ما، فابن السّاعاتي (3) يطلب من صاحبه أن يحيي الديار برامتين، ثم يدعو الله أن تسقيها السّحاب الممطرة، فربّما يرد جمادها على مخاطبها، وهو إنسان شديد التّشوق واللّهفة لهذه الديار، ثم يطلب من صاحبه أن ينظر إلى آثار الديار ورسومها، فهو مشغول عن النّظر إليها ببيكانه وقلقه.

(1) الديوان : 472، 473.

(2) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 227،

رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(3) ابن السّاعاتي: علي بن رستم بن هردوز، أبو الحسن بهاء الدين السّاعاتي، شاعر مشهور، خراساني الأصل

ولد ونشأ في دمشق، وكان أبوه يعمل في السّاعات، برع في الشعر، ومدح الملوك، وسكن مصر، توفي

بالقاهرة، سنة 604هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 362/1.

إذ يقول: {الكامل}

حيّ الدّيار برامتين⁽¹⁾ ونادها جادت عهاد المزن عهد سعادها
فلربما بلغ المراد مخاطباً عن حال ناطقها لسان جمادها
انظر معالمها سلمت فمقلتي مشغولة بيكائها وسهادها⁽²⁾
اتخذ ابن مطروح⁽³⁾ من التسليم على الدّيار متنفساً لآلامه وأحزانه، فهو يبعث بتحيته
للديار، ويدعو لها بالسّقيا.

يقول: {المجتث}

تحيّة وسلام ووقفه واسن تلام
على الحمى، وسقاه للدمع مئى غمام
فالدموع انتشار ببرقه، وانتظام⁽⁴⁾

يطلب الملك الأمجد⁽⁵⁾ من صاحبه أن يبلغ تحياته الخالصة للديار بحي الرّقمتين،
وأن يبلغ زماناً قضاه في السّرور، لقد كان ذلك أعز الأزمنة على نفس الشّاعر، ثم
يرحل الأحبة، فيبكي رحيلهم بالدموع الغزار، فينظر إلى هذه الدّيار فيراها قد
تلاشت إلا القليل بفعل الأمطار، ودموع الشّاعر الغزار، وتقلبات الزّمن، كما أنه لم
ينس عيشه الرّغيد فيها، فيقول: {الخفيف}

حيّ عئى الحمى، وحيّ المصلّى وزماناً بالرّقمتين⁽⁶⁾ تولى
كان أغلى الأوقات في النفس قدراً فتلاشى زمانه واضمحلاً
ثمّ لمّا نوى الفريق فراقاً نهلّ الحيّ من دموعي وعلّنا
مربع الوجد فيه أرسلت دمعى بعد بُعد الأحاب وبلاً وطلا

(1) رامتان: هو تننية رامة، يقول الشاعر: تسألني برامتين سلجما، وهي نجد: ينظر: ياقوت الحموي،

معجم البلدان، 18/3.

(2) ابن السّاعاتي، الديوان، 248/1.

(3) ابن مطروح: هو جمال الدين أبو الحسن، يحيى بن عيسى بن إبراهيم المعروف بابن مطروح، ولد في

أسيوط، من محافظات صعيد مصر، يوم الاثنين 8 رجب سنة 592هـ، توفي بالقاهرة، سنة 649هـ،

ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة 27/7، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 257/5.

(4) ابن مطروح، الديوان، 189.

(5) الملك الأمجد: هو المظفر بهرام بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب، الملقب بالملك الأمجد مجد الدين،

ولد سنة 520هـ، ونشأ الملك الأمجد في دمشق، توفي سنة 628هـ، ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات،

156/1، والبياعي، مرآة الزمان، 666/8.

(6) الرقمتان: تننية الرقمة، وهو مجتمع الماء في الوادي، والرقمتان، موضع قرب المدينة، ينظر: ياقوت

الحموي، معجم البلدان، 67/3.

مَنْزَلٌ لَمْ تُبَقِّ مِنْهُ الْغَوَادِي وَدَمَوْعِي وَالِدَهْرٌ إِلَّا الْأَقْلَا(1)

وابن السّاعاتي أيضاً يطلب من خليله أن يسلم على الأطلال والدّمّن، ويدعو لهما بالسلامة، فالتّحية والتّسليم ما هما إلا وسيلة للتخفيف من وجد الشّاعر وهيامه بالمحبوب الذي رحل، وهما باعث للحنين والشّوق لأيام شبابهم التي مضت، إذ يقول: {البسيط}

سَلِّمْ- سَلِّمْتَ- عَلَى الْأَطْلَالِ وَالِدَمَّنِ وَقَفَ عَلَى الْحَزْنِ لَا رَوَّعْتَ بِالْحَزْنِ
كَمْ بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَانِي مِنْ قَتِيلِ الْهَوَى مِثْلِي وَصَبُّ شَجِّ بِالْبَيْنِ مُمْتَحِنِ
يُحِلُّ سِرَّ الْغَوَانِي مِنْ جَوَانِحِهِ جَزَلُ الْأَمَانَةِ لَكِنْ نَاحِلَ الْبَدَنِ
حَالِ الشَّبَابِ وَمَا حَالَتْ صَبَابُهُ وَخَائِهِ دَهْرُهُ فِيهِمْ وَلَمْ يَخُنْ(2)

3- سؤال الأطلال.

يعد السؤال عن الديار وساكنيها، وسيلة من وسائل الحنين، ومعنى من معانيه، وقد عرف العرب هذا الموضوع منذ القدم.

فالشّاعر يعبر عن حنينه لماضيه المنصرم من خلال تساؤلات كثيرة يطرحها على مسامع الأطلال الدّارسة، فهو يسأل عن مصير أحبّابه الذين كانوا فيها، وعن حالهم، ويسأل عن أشياء تتعلّق به وبالمحبوبة وديارها(3).

وقد أكثر الشعراء الزنكيون الأيوبيون من تساؤلاتهم للأطلال المقفّرة الخالية من أهلها، التي لا تجيب عن سؤال السائل، فالشّاعر يطلب من صاحبيه أن يسأل بقايا الرّاحلين في الدّار، ماذا عندها من أخبار، وأن يخففا من دموعه، وقد وقف الشّاعر بالدّار، وصدّ سمعه عن سماع الملام، وانهمر دمه بانسجام، كأنّ خدّه على أرض الديار قلم يرسم سطوراً هي رسومها، يقول الأرجاني: {البسيط}

سَلَا رُسُوماً أَقَامَتْ بَعْدَ مَا سَارُوا أَعْنَدَهَا بِمَكَانِ الْحَيِّ أَخْبَارُ؟
وَرَوْحَا عَاتِقِي مِنْ حَمَلِهَا مَنْنًا لِلْسُحْبِ فِيهَا وَلِلْأَجْفَانِ آثَارُ

(1) الملك الأمجد، الديوان، 295.

(2) ابن الساعاتي، الديوان، 94/2.

(3) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 172 رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

دارٌ وَقَفْتُ بِهَا وَالسَّمْعُ مُرْتَشِقٌ عن الملام وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِذْرَارٌ
كَأَنَّيَ وَاضِعًا خَدِّي بِهَا قَلَمٌ أبكي أَسَى، وَرُسُومُ الدَّارِ أُسْطَارٌ(1)
وَالشَّاعِرُ حِينَما يَسْأَلُ الدِّيَارَ، يُوْجِهُ سِوَالَهُ إِلى سَاكِنِيهَا، فَهُوَ يَسْأَلُ سَاكِنِي الحِمَى،
هَلْ سَيَجْتَمِعُ بِهِمْ يَوْمًا؟ رَغْمَ البَعْدِ وَالقَطِيعَةَ، وَهَلْ سَيَكُونُ لَهُ سَبِيلٌ لِلقَاءِ؟ فيقول ابن
مطروح: {الوافر}

أَجِيرَانِ الحِمَى، هَلْ لِي إِلَيْكُمْ على رَغْمِ العِدَى- يَوْمًا سَبِيلٌ؟
لَسْتُ نَزَحْتُ بِكُمْ عَنَّا اللَّيَالِي فَأَنْتُمْ فِي حِمَى قَلْبِي نَزُولٌ
أَيَا بَانَ الحِمَى، ثَلُّ لِي، وَهَلْ لِي -وَقَدْ بَانُوا- إِلَى وَصَلٍ وَصُولٌ؟(2)

يعود الشَّاعِرُ إِلى الأَطْلَالِ لِيَسْأَلَهَا عَنِ المَحْبُوبَةِ الَّتِي رَحَلَتْ مِنْذُ زَمَنِ، فَلَيْسَ لَهُ
غَيْرُ المَعَالِمِ وَالدَّمَنِ لِيَحَافِظَ عَلى ذَلِكَ العَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَهُوَ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا بَعْدَ
رَحِيلِ الأَحْبَةِ سِوَى الرَّمَادِ، فَفَدَّ غَيْرَتَهَا الرِّيحَ وَالمَطَرَ الدَّائِمَ وَالرَّعْدَ، وَأَوْحِشَتْ مِنْ
أَهْلِهَا، يَقُولُ المَلِكُ الأَمْجَدُ: {البسيط}

حَتَّى رَجَعْتُ إِلى الأَطْلَالِ أَسْأَلُهَا عَنْهَا وَأَخْبِرُهَا مِنْ بَعْدِهَا مَا بِي
وَمَا عَلَيَّ- إِذَا أَحْيَيْتُ مَعْلَمَهَا حِفْظًا لِعَهْدِكَ يَا لِمِيَاءُ- مِنْ عَابِ
وَمَا وَجَدْتُ- وَقَدْ خَاطَبْتُ أَرْسَمَهَا بَعْدَ الأَحْبَةِ - غَيْرَ الأُورْقِ(3) الهَابِي(4)

أما القاضي الفاضل فقد اتخذ من الدَّمْعِ وسيلة لِيَسْأَلَ رِسُومَ الدَّارِ عَنِ المَحْبُوبِ الَّذِي
هَجَرَهُ وَتَرَكَه فِي أَلَمٍ وَعَذَابٍ وَشَوْقٍ مَلْتَهَبٍ، وَحَنِينٍ مُسْتَمِرٍّ، فِي قَوْلِهِ: {الكامل}

الدَّمْعُ يَسْأَلُ عَنكَ رَسَمَ الدَّارِ وَالنُّومُ فَضْلاً خَوَاتِمَ الأَسْرَارِ
فَالحَبُّ نَارٌ لَا يَكْدَبُ مَسْأَلَهَا وَالهَجْرُ فِيهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ(5)

ويَسْأَلُ المَهْذَبُ بنَ الزَّبِيرِ الدِّيَارَ عَنِ الَّذِي غَيْرَهَا، بَعْدَمَا كَانَتْ دَارَ الشَّبَابِ وَالأَحْبَابِ
وَالأَهْلِ وَالأَصْحَابِ، وَبَاتَتْ مَوْحِشَةً مَقْفُورَةً، غَيْرَتَهَا عَوَامِلُ الطَّبِيعَةِ

(1) الأرجاني، الديوان، 402/1.

(2) الديوان، 213، 214.

(3) الأورق: الرماد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ورق)

(4) الديوان، 213، 214.

(5) القاضي الفاضل، الديوان، 395/2..

حيث يقول: {الكامل}

أمنازل الأحباب غيّرك البلى فلنا اعتبارُ فيك واستعبارُ
سَقياً لدهرٍ كان منك تشابهت أوقائهُ؛ فجميعهُ أسحارُ⁽¹⁾

4- البكاء على الأطلال.

يعدُّ البكاء على أطلال الديار وسومها العافية من الظواهر التي شاعت في شعر الحنين. "فالبكاء يسوغه ارتهان قلب الشاعر من الحبيب الذي أرقه وأثار أشجانه"⁽²⁾ فقد عبر بكاء الأطلال والديار عن حنينهم الصادق، وشوقهم بمعان وأفكار كثيرة ومختلفة، فالبكاء باعث للحنين والشوق، ويظل مخففاً لمعاناة الشعراء فالشاعر يبكي ماضيه الداهب، وعزه المفقود، الذي يتجسد ببقايا الديار المتمثلة في الأطلال الدارسة والرّسوم العافية⁽³⁾.

وقد بكى الشعراء الزنكيون والأيوبيون أطلال الديار، وكان بكائهم وسيلة للتعرف على معالم الديار وآثارها ودمنها، وحذوا في ذلك حذو الشعراء السابقين لهم، فابتدؤوا معظم قصائدهم المدحية بمقدمات ظللية صدروها بالبكاء.

ويرسم الأرجاني صورة دقيقة لبكائه على منازل الأحبة، فهو إذا مر بمنزل من المنازل السابقة بكى بين سهل وجبل، فهو بين أرض تعبرها الأنسام، ودمع جار بين أضلعه، دموع تنهال كأنها سحب منهمر، بكاء يستغربه الأصحاب، حتى أنه أخفى دمه بكمه حتى لا يراه الصّحب خجلاً، فيقول: {البسيط}

وَمَا مَرَرْتُ بِرَسْمٍ مِنْ مَعَاهِدِهِمْ إِلَّا بَكَيْتُ بِسَهْلٍ كَانَ أَوْ جَبَلٍ
فَتَمَّ أَرْضٌ بِرِيحٍ فِي الدِّيَارِ لَهُمْ وَثَمَّ مَاءٌ يَنَارُ فِي الجَوَانِحِ لِي
وَعَارِضِي فِيهِ بَرَقُ الشَّيْبِ مُبْتَسِمٌ وَفَوْقَهُ عَبْرَتِي كَالْعَارِضِ الْهَطَلِ
إِذَا رَمْتَنِي أَصْحَابِي بِأَعْيُنِهِمْ جَعَلَتْ كُمِّي مَفِيزَ الدَّمْعِ مِنْ خَجَلٍ⁽⁴⁾

ويعد البكاء وسيلة من الوسائل التي عبر فيها الشاعر عن أشواقه وأشجانه للحبيب الراحل، إذ يقول فتیان الشاغوري: {المجتث}

(1) المهذب بن الزبير، الديوان، 190.

(2) هياجنة، محمد سليم، الاغتراب في القصيدة الجاهلية، 87.

(3) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 260،

286، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(4) الأرجاني، الديوان، 219/2.

وَقَفْتُ فِي الدَّارِ أَبْكِي وَمَا بَهَا مِنْ عَرِيبٍ (1)
سَأَلْتُ فِيهَا صَادَاهَا سِوَالٍ صَبَّ كَثِيبٍ (2)
ومن الشّعراء من بكى الديار بحرارة حيث انهمرت دموعه غزيرة، يقول الملك
الأمجد: {الطويل}

وقفتُ بها أبكي وَمِنْ نَفْسِي وَمِنْ دُمُوعِي مُنْهَلٌّ عَلَيْهَا وَمِنْهَا (3)
أما ابن الساعاتي فقد أضفى صفة الديمومة والاستمرارية على بكائه، فهو يجد في
البكاء متنفساً يخفف من آلامه وأحزانه، فيقول: {البسيط}

ظَلَلْتُ فِي الدَّارِ أَبْكِيهَا وَيُضْحِكُهَا دَمْعٌ عَلَى تَلْكَمِ الأَطْلَالِ مَطْلُولٍ (4)
ومن الشّعراء من بالغ في بكائه على الأطلال، فقد جعل دموعه الغزار تسقي
الأطلال وترويهها، حتى أن هذه الأطلال لم تعد بحاجة إلى مطر السماء ليسقيها،
يقول أسامة بن منقذ. {الكامل}

غَاضَتْ دُمُوعِي فِي المَنَازِلِ وَارَعَوِي صَبْرِي، وَرَاجَعَنِي الرَّقَادُ النَّافِرُ
إِنْ لَمْ أَسُحَّ بِهَا سَحَابٌ أَدْمَعُ يَنْجَابُ خَشِيئَتَهَا الغَمَامُ البَاكِرُ
أَحْمَلُ الأَطْلَالَ مِثْلَ عَارِضٍ وَسَحَابٌ دَمْعِي مُسْتَهْلٌ مَاطِرٌ (5)
كما أن الشاعر يجعل من نفسه ناكثاً بالعهد، إذا لم يبك هذه الربوع بكاءً مرّاً، ويبخل
عليها بسح دموعه، فبكاء الشاعر وفاء بالعهد للأحبة الذين أقاموا بتلك الربوع، إذ
يقول: {الكامل}

إِنِّي إِذْ بَشْتُونُ عَيْنِي بَاخِلٌ وَيَعْهَدُ مَنْ سَكَنَ المَنَازِلَ غَادِرٌ (6)
أما ابن الساعاتي فقد أظهر لوعة وألماً في بكائه، عندما جعل بكاءه دماً لشدة
الشوق الملتهب، فالنوق سائرة بكل شخص خال من لوعة الحب لكن في الحي من
شغل بحبه، فدموعه جارية مستمرة لا تتوقف فكيف له أن يمضي وقد نفذ صبره،
فالأحبة الأمانى الكاذبة، والسؤال غير مجاب، يقول: {البسيط}

قَالُوا بِكَيْتُ دَمًا وَالْعَيْسُ سَائِرَةٌ بِكُلِّ خَالٍ بِهِ فِي الحَيِّ مَشْغُولٌ

(1) عَرِيبٌ: أحد، شخص، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرب).

(2) الديوان، 9.

(3) الديوان، 254.

(4) ابن الساعاتي، الديوان، 47/1.

(5) الديوان، 69.

(6) نفسه، 69.

والومضُ يغمضُ في جَفْنِي صارمُهُ لا غرو للسيِّفِ يَدْمِي وهو مَسْلُولُ
وقفتُ والدَّمعُ جارٍ يومَ بَيْنَهُم وكيفَ أمضي وحدَّ الصَّبْرِ مَفْلُولُ
هُمُ المُنَى والأمانِي غيرَ صادقة وَعَدَاً وسوْلي هُمُ لو يُدركَ السَّوْلُ(1)

5-الدَّعاءُ بالسَّقيا.

عبر الشَّاعر الزَّنكي و الأيوبي عن حنينه إلى وطنه بطرق ووسائل مختلفة، أظهر من خلالها مدى حبه وعشقه للوطن المفتقد، ومن بين هذه الوسائل الدَّعاءُ بالسَّقيا والحياة للديار " ومن هنا يعد الدَّعاءُ بالسَّقيا للديار وسيلة الحنين، ومعنى من معانيه"(2)، فقد قرن الشَّعراء الحنين إلى المعاهد والديار بالدَّعاء لها بالسَّقيا والخير(3).

أكثر شعراء العصرين الزَّنكي والأيوبي من الدَّعاءُ بالسَّقيا للديار والمنازل، من ذلك قول ابن عنين(4) حيث يدعو أن يسقي الله الحمى بطويلع، كي تظل فيها مغاني الحياة، ففي دعائه هذا وفاء وإخلاص لوطنه الغائب عنه: {الكامل}

فسقى زماناً مرَّ لي بطويلع(5) صوبُ الحيا وسقى عَراصِ طويلع
فلأصبرنَّ على الزَّمانِ وجوره صبرَ امرئٍ متجمَّلٍ لم يخضع(6)
و يدعو الملكَ الأمجد للديار بالغيث الوافر الذي يحيي النَّبات بعد موته: {الطويل}
سقى دارَهُمُ بالخيفِ كلُّ غمامةٍ يعيشُ بها ميتُ النَّباتِ ويَعْتِذي
أناسٌ نأوا عَنِّي فها أنا بعدَهُمُ أجوبُ الفيافي منفذاً بعدَ مَنفذ(7)

(1) ابن السَّعاتي، الديوان، 48/1.

(2) الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 279، رسالة

دكتوراة، القاهرة، 1979م.

(3) ينظر: مبارك، زكي، مدامع العشاق، 18.

(4) ابن عنين: محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين، الأديب الرئيس أبو المحاسن، أعظم شعراء عصره، ولد بدمشق سنة 549هـ، أصله من الكوفة، وكان هجاءً، توفي عام 630هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات،

122/5.

(5) طويلع: موضع بنجد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 54/4.

(6) الديوان، 13.

(7) الملك الأمجد، الديوان، 321.

وقد غلب عرقله الكلبى (1) الشوق والحنين إلى وطنه، فدعا له وإلى مرابعه بالسقيا والخصب والخير ، فيقول: {الطويل}

سقى الله من سَطْرَا (2) ومقرا (3) منازلًا بها للندامى نَظْرَةً وسرورُ
ولا زال ظلُّ "النيربين" (4) فأبّه طويلٌ وعيشُ المرء فيه قصيرُ (5)

ومنهم من جعل طلب السقيا بعودة الأهل والأحباب وجمع الشمل، وذلك أفضل من السحب الممطرة، فالديار حية بأهلها وقاطنيها، يقول الشاعر: {الطويل}

سَقَى اللهُ تِلْكَ الدَّارَ عَوْدَةَ أَهْلِهَا فَذَلِكَ أَجْدَى مِنْ سَحَابٍ وَقَطْرِهِ
لَنْ جَمَعَ الدَّهْرُ الْمُشْتَتُّ شَمْلَهُ فَمَا بَعْدَهَا ذَنْبٌ يُعَدُّ لِدَهْرِهِ (6)

وابن مطروح يدعو للديار بالسحاب الممطر، والتعم، فقد كانت الديار مليئة بالخيرات والميزات والذكريات السعيدة، فيقول: {البيسط}

سقاك- يا دارُ - هَطالٌ من الدِّيمِ ولا خلوتٍ من اللذاتِ والتَّعمِ
فكم قطعنا ثمارَ العيشِ يانعةً بها، ولذائنا كانت على علم! (7)

أما سبط بن التعاويدي (8) فيدعو بالسقيا للدمن الدارسة التي خلت من أهلها الظاعنين ويتمنى أن يعود إليها الأنس والحياة، فالهوى العذري ما زال حياً فيها، وإن هي مقفرة، فطلب السقيا وفاء للعهد الذي كان بين الشاعر وسكان الدار.

(1) عرقله الكلبى: أبو الندى حسان بن نمير بن عجل، شاعر من الندماء، كان من سكان دمشق، اتصل بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، فمدحه ونادمه، كان مولده سنة 486هـ، وتوفي 567هـ، ينظر: ابن شاعر الكتبي، فوات الوفيات، 1/112.

(2) سطرًا: قرية في غوطة دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/248.

(3) مقرا: قرية في غوطة دمشق، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/202.

(4) النيربين: قرية مشهورة بدمشق على فرسخ وسط بساتين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/380.

(5) عرقله الكلبى، الديوان، 51.

(6) القاضي الفاضل، الديوان، 2/488.

(7) ابن مطروح، الديوان، 186.

(8) سبط بن التعاويدي: محمد بن عبيد الله أبو الفتح بن التعاويدي، كان شاعر العراق وقته، وكان كاتباً بديوان الإقطاع ببغداد، عمي في آخر عمره، وتوفي سنة 576هـ، ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات، 4/11.

فيقول: {مجزوء الوافر}

سَقَى صَوْبَ الْحَيَا دِمْنًا بَجْرَعَاءِ (1) اللّوَى دُرْسَا
وَزَادَ مَحْلَأَكَ الْمَاءُ سَ يَا دَارَ الْهَوَى أَنْسَا
لئن دَرَسْتَ رِبوعُكَ قَالَ هوى العذريُّ مَا دَرَسَا (2)

ويدعو ابن الساعاتي بالسّقيا لدار الأحبة ، وأن تسقيها سحابة سكوب تطفئ ظمأ أرضها فتعود خصباً بعد جذبها، ويصف لوعته لدى وقوفه بها، فيشبهها بلوعة الخنساء تبكي أخاها صخرأ، ويتذكر شبابه الذي قضاه به، فيبكي على هجره لها، فالشاعر يتخذ من الدّعاء وسيلة يعبر بها عن مدى شوقه للديار التي تركها

{الطويل}:

سَقَى اللهُ تِلْكَ الدَّارَ دَرَّ سَحَابَةٍ تُعِيدُ غِنَى فَقْرِ الْمَهَامَةِ وَالْقَفْرِ
مَتَى وَقَفْتَ تَبْكِي عَلَى عَرَصَاتِهَا تَقْلُ هَذِهِ الْخَنَسَاءُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ
خَلَعْتُ الشَّبَابَ الْغَضَّ فِي حَجْرَاتِهَا وَأَنْفَقْتُ كَنْزَ الْعُمْرِ فِي ذَلِكَ الْعُمْرِ
أَلَمْ تَرْنِي أَبْكِي عَلَى الْهَجْرِ لَوْعَةً وَمِنْ قَبْلِهَا قَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنَ الْهَجْرِ (3)
ويحن ابن منير الطرابلسي (4) إلى الربوع فيدعو لها بالسّقيا وأن يسقي أوديتها النّاضرة، وقصورها الشّامخة وخيامها سحاب هطال ، فيقول: {المتقارب}

سَقَى بَرْدًا أَنْضَرَ الْأُودِيَةَ وَشَمَّ الْجَوَاسِيقَ (5) وَالْأَخْبِيَةَ
سَحَابٌ يَعْلَمُ مَنْ سَحَّه مَعَاقِرَةَ الرُّوْضِ بِالْأَسْقِيَةِ (6)

(1) الجرعاء: موقع قرب الكوفة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 149/2.

(2) سبط بن التعاويذي الديوان، 239.

(3) الديوان، 57/1.

(4) ابن منير الطرابلسي: أحمد بن منير أبو الحسن مهذب الدين الملقب ابن منير الطرابلسي، شاعر مشهور من أهل طرابلس الشام ولد بها، وسكن دمشق، ولد سنة 473هـ، وتوفي في عام 548هـ، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 299/5.

(5) الجواسيق: مفرداها: جوسق بمعنى القصر، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة، (جوسق).

(6) ابن منير الطرابلسي، الديوان، 123.

6- البرق والريح.

تناول الشعراء في العصرين الزنكي والأيوبي عناصر الطبيعة المختلفة من البرق والريح والمطر والرعد، وكانت هذه العناصر جميعها باعثاً للشوق والحنين، فقد وجد الشعراء في الطبيعة ومظاهرها منفذاً جسداً خلاله إحساسهم بالغربة والبعد.

فالحنين إلى مظاهر الطبيعة تعبير عن لحة الرابطة الوجدانية التي اجتذبت الشعراء إلى موطن نشأة الفتوة، صاغوه آهات موجعة بكوا خلالها ذل الاغتراب في البيئات الجديدة وتحسروا على شظف العيش في الوطن⁽¹⁾.

وعند البحث في هذه الجزئية يلاحظ أن الشعراء أكثروا من ذكر البرق الذي لاح من ديار الأحبة مقارنة مع العناصر الأخرى، فهو باعث للشوق والحنين عندهم.

فقد جعل الأرجاني البرق يخطف الأبصار والنظر، وبدا ساري البرق متعاساً ليورقه، وقد جعله ساهراً طوال الليل، ومضى عنه ثاني جانبيه مستعجلاً كأنه يتبع الظلام مسرعاً، فالشاعر في صورته هذه التي رسمها للبرق الذي لاح من بعيد يظهر شوقاً ملتهباً وحنيناً دائماً لدياره وقومه ومحبوبته: **{البيسط}**

بمُلْتَقَى لِحْظِنَا الْبَرْقُ الَّذِي وَمَضَا اسْتَوْفَّ الطَّرْفَ فِي آثَارِهِ وَمَضَى
لَمَّا تَتَاعَسَ سَارِيهِ أُرْقَتْ لَهُ تَرَاهُ أَوْدَعَ جَفْنِي عِنْدَهُ الْعَمَاضَا
وَعَادَ ثَانِي عِطْفِيهِ عَلَى عَجَلٍ يَجِدُّ دَرَسَ خِطَابِ الظَّلَامِ نَضَى⁽²⁾

والبرق عند ابن عنين رسول يحمل الأشواق والحنين لأهله، حيث يقول: **{الكامل}**

يَا بَرْقُ حَيِّ إِذَا مَرَرْتَ بَعَزَّتَا⁽³⁾ أَهْلِي وَإِنْ زَادُوا جَفَاءً وَتَعَتْنَا
أَبْلَغَهُمْ عَنِّي السَّلَامَ وَقُلْ لَهُمْ أَحِبَابِنَا هَذَا الصَّدُودُ إِلَى مَتَى
كَمْ أَحْمَلُ الشُّوقَ الْمَبْرَحَ وَالْأَسَى لَوْ كَانَ قَلْبِي صَخْرَةً لَتَفَتْنَا⁽⁴⁾

(1) حبيب، وهران محمود، الحنين في شعر صدر الإسلام، 79، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003.

(2) الديوان، 14/2.

(3) عزتاً: إقليم بالقرب من قرية الفيحة من قرى دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 131.

(4) ابن عنين، الديوان، 86.

فلمعان البرق من أرض الأحبة بيكي ابن مطروح ويؤرقه، فهو يحن وينزع إلى
الديار وساكنيها، فيقول : {البسيط}

ما أومضَ البرقُ من تلقاء أرضكمُ إنا ولي ناظرٌ بالدّمع هطالُ
ولا تقرّبتُ يوماً من دياركمُ إنا وداخاني خوف وإجلال⁽¹⁾
ويلمع البرق فيحدث لمعانه أثراً في نفس القاضي الفاضل، فبيعت به رسولاً إلى
الأهل والوطن، فيشتعل الحنين في قلبه، إذ يقول: {البسيط}

يا لمعة البرق، بل يا هبة الريح رُوحِي بجسمي إلى من عنده رُوحِي
خُذي لهم سلامي عنبراً عبقاً وأوقديه بنار من تباريحي
ناشدك الله إنا كنت مُخبرةً عني بأنهم ذكري وتُسبيحي⁽²⁾

ويثير البرق أشجان ابن النبيه المصري⁽³⁾ وأحزانه، فيحن إلى العقيق، وأيام اللهو
والشباب، فيذوب جسمه شوقاً وحنيناً. {المنسرح}

يا بارقاً أذكرَ الحشَى حزنه منزّلنا بالعقيق⁽⁴⁾ من سَكَنه
ومرتع اللّهُو يانعٌ خضيرٌ أم غيّرَ الدّهرُ بَعْدنا دِمْنَه
يا برقُ أشكو عساك نُخبرهم وكلُّ من هَامَ يَشْتكي شِجْنَه
أسمعه ذكّرَ الحبيب مُقترباً فقد أصمّت عُداله أدنّه⁽⁵⁾
والبرق باعث للأشجان والأتراح أيضاً عند الملك الأمجد، إذ يقول: {البسيط}

أبارقاً شيمته بالغور لَمَاحاً أهدى لقلبك أشجاناً وأتراحاً؟⁽⁶⁾

(1) الديوان، 163

(2) القاضي الفاضل، الديوان، 27/1.

(3) ابن النبيه المصري: هو كمال الدين علي بن محمد بن يوسف بن النبيه الكاتب الشاعر، صاحب
ديوان رسائل الملك الأشرف موسى بن العادل، توفي في الحادي والعشرين من جمادي الأولى سنة 619هـ
ينظر: ابن شاعر الكتبي، فوات الوفيات 143/2، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 243/6.

(4) العقيق: واد لبني كلاب نسبة إلى اليمن لأن أرض هوزان في نجد مما يلي اليمن وأرض غطفان في نجد
مما يلي الشام، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 158/4.

(5) ابن النبيه المصري، الديوان، 204.

(6) الديوان، 104/1.

أما الأبيوردي⁽¹⁾، لم يكن يظن أن البرق يبعث على النوى، فقد اتهم القلاص على أنها هي التي تبعث على النوى: {الطويل}

وَمَا خِلْتُ أَنَّ الْبَرْقَ يَكْلِفُ⁽²⁾ بِالنَّوَى وَلَمْ أَتَّهَمْ إِلَّا الْقِلاصَ النَّوَاجِيَا⁽³⁾
ومن مظاهر الطبيعة الأخرى التي وظفها الشعراء في قصائدهم ليعبروا عن حنينهم
ونزوعهم إلى الوطن "الريح" فابن مطروح يجد في ريح الشمال عزاءه، فيحلقها أن
تحمل أشواقه للأحبة والأهل فيقول: {مجزوء الكامل}

بِاللَّهِ، يَا رِيحَ الشَّمَالِ فَصِّي عَلَيْهِمْ شَرَحَ حَالِي
وَتَحْمَلِّي شَوْقِي الَّذِي يُنْبِيكَ عَنْ سَهْرِ اللَّيَالِي
فَلَعَلَّهُمْ أَنْ يُنْعَمُوا لِي بِاللِّدَانِ وَبِالْوَصَالِ
أَوْ يَبْعَثُوا إِنْ هَجَعُوا ت- عَلَى النَّوَى- طيف الخيال⁽⁴⁾
ويطلب العماد الأصبهاني⁽⁵⁾ من ريح الشمال أن تبلغ تحياته وسلامه إلى ديار
الأحبة، لعلها تخفف عن قلبه شدة الوجد والعشق والهيام، إذ يقول: {الكامل}

بِاللَّهِ يَا رِيحَ الشَّمَالِ تَحْمَلِّي مَنِّي التَّحِيَّةَ نَحْوَ ذَاكَ الْمَنْزَلِ
خَفِّي عَلَى حَمْلِ السَّلَامِ وَخَفِّي عَنْ قَلْبٍ صَبَّبَ بِالصَّبَابَةِ مَثْقَلِ
قَوْلِي لِمَنْ شَغَلَ الْفَوَادَ بِحَبِّهِ وَيَحَاكَ إِنَّ فَوَادَهُ مِنْهُ خَلِي
حَلَّتْ عَقُودُ دَمُوعِهِ، وَعَقُودُهُ وَعَهْوُدُهُ مَعْقُودَةٌ لَمْ تَحُلْ⁽⁶⁾

(1) الأبيوردي: محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الرئيس ، أبو المظفر، ولد في أبيورد ،
ومات مسموما في أصبهان، شاعر ومؤرخ، وعالم بالأدب من كتبه: "تاريخ أبيورد" والمختلف
والمؤتلف"، كانت وفاته سنة، 507هـ، ينظر، الصفدي، الوافي بالوفيات، 92/2.

(2) يكلف: يحرص، يتهم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة(كلف).

(3) الأبيوردي، الديوان، 121.

(4) ابن مطروح، الديوان، 168.

(5) العماد الأصبهاني: محمد بن محمد أبو العلاء الأصبهاني يعرف بابن الشرف الدمشقي. اجتمع به العماد
بأصبهان، كان أديباً فقيهاً، توفي سنة 597هـ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 6/ 2623، 2624.

(6) العماد الأصبهاني، الديوان، 352.

وفي موضع آخر يتمنى ابن الخياط⁽¹⁾ أن يمر النسيم العليل بنجد، ليبلغ الأشواق والحنين للأحبة والأهل، وبذلك يكون قد صنع معروفاً للشاعر، وإن هبّ ذلك النسيم برائحته الطيبة من ديار هند، سيكون الشاعر سعيداً بذلك: {الخفيف}

يا نسيم الصبا الوئوع بوجدي حبّذا أنت لو مررت بنجد
أجر زكري نعمت وانعت غرامي بالحمى ولتكن يدك عندي
ولقد رابني شذاك فبالـ همتى عهده بأطلال هند
إن يكن عرفها امتطاك إلينا فأقد زرتنا بأسعد سعد⁽²⁾

(1) ابن الخياط: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقي ولد بدمشق سنة 450هـ، وكان أبوه خياطاً، فنسب إلى مهنته، وكانت وفاته سنة 517هـ، ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 56/2.
(2) ابن الخياط، الديوان، 104.

7- الآثار والدمن والرّسوم.

وجد الشّاعر في آثار الوطن بعداً واقعيّاً وجهه وجهة رمزية وأضفى عليه أحاسيسه، فأدى الغرض في تجسيد تجربته الشعريّة بعمق ووضوح يغذيها الشّوق إلى استعادة الحياة الماضية في المنازل والديار، فرثى الشّاعر مظاهر الاندثار ليعبر عن لوعة الفقد، وحاجته الملحة إلى الجماعة التي أحس في ظلها وجوده⁽¹⁾ ويحرص الإنسان على أن يؤكد وجوده عن، وذلك لأن حالة الإحساس بالغربة تجسد في الذات الإنسانية هواجس الموت ومشاعر الانقطاع، وربما كان هذا الدافع الذي يختفي وراء ظاهرة الخلود التي عاشت في نفس الإنسان، وهذا ما دفع بالشّعراء أن يصفوا تجربتهم مع الآثار والدمن وبقايا الأطلال التي ترمز إلى البقاء والخلود، لأن الخلود صوت من أصوات الحنين ولون من ألوان الحياة⁽²⁾، وقد نهج الشعراء الزنكيون الأيوبيون نهج السابقين فتحدثوا عن الديار الدائرة والدمن البالية التي أضحت مقبرة من أهلها. يقول ابن السّاعاتي: {الرجز}

إنّ الدّيارَ كالجُسوم أصبحت موحشة الأرجاء من سگانها⁽³⁾

ويتحسر سبط بن التّعاويذي على ما ألم بالديار من إقفار وخلاء فلم يبق سوى بقايا الدمن والآثار، فالإقفار يحرك لواعج الشّوق والحنين إلى الديار وأهلها، كما أنه يجسد لوعة افتقاد الماضي، فعفاء الطلل رمز لتبدل الزّمان، وانقلاب الأحوال، كما أنه يرمز إلى الاغتراب والبعده، وهذا ما يزيد من حزن الشّاعر وألمه على ما حل بالمنازل التي غدت آثاراً ورسوماً دارسة، وغابت عنها مظاهر الحياة والسّعادة والسّرور: {البسيط}

لَمْ يَبْقَ فِيكَ لِمُشْتَأَقٍ إِذَا وَقَفَا إِلا ادّكارُ رُسُومٍ تَبَعَتْهُ الأَسْفَا
وَنَظْرَةٌ رُبَّمَا أُرْسَلَتْ رَأْيِدَهَا وَالطَّرْفُ يُنْكَرُ مِنْ مَعْنَاكَ مَا عَرَفَا
يا منزلًا باللّوى أقوى معالمه لَمْ يَعْفُ وَجَدِي عَلَى سگانِهِ وَعَفَا
لولاك ما هاجني نوح الحمام ولا هَفَا بي البرقُ علويّاً إذا خَطَفَا
أعابِدُ وأحاديثُ المني خُدع على الغضا زمنٌ من عيشنا سَلَفَا

(1) ينظر: حبيب، وهران محمود، الحنين في شعر صدر الإسلام، 95، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003م.

(2) ينظر: إبراهيم، صاحب خليل، الغربية في الشعر العربي قبل الإسلام، 24، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988م.

(3) الديوان، 134/2.

هَيَّاتَ أَنْ تَخْلَفَ الْأَيَّامَ مِنْ عُمْرِي شَبِيبَةً فَيَكُمُ أَنْفَقْتُهَا سَرَفًا(1)

وتهيج معارف الرسوم فؤاد الملك الأمجد، وأية رسوم تلك؟ إنها ديار الأحبة، التي قضى فيها الشاعر أياماً جميلة، فرسم الشاعر صورة واضحة للمرابح التي عفى عليها الزمان، ومحت ريح الجنوب آثارها ومعالمها، وغيرت دنمها التي قضى فيها الشاعر مآربه وشبابه، ولعل الشاعر من خلال مقطوعته الشعرية هذه يريد أن يضفي عمقاً إيحائياً يحكي المعاناة التي يعيشها، فهو يمعن في إظهار الحزن والتألم على أيامه المنصرمة، وشبابه الداهب، فيقول: {الكامل}

عَفَى الزَّمَانُ مَرَابِعاً وَمَلَاعِبَا كَانَتْ إِلَيَّ بِأَهْلَهِنَّ حَبَائِبَا
طَمَسَتْ مَعَالِمَهَا الْجَنُوبُ وَغَيَّرَتْ دِمْنًا بِهَا قَضَى الْمَشُوقُ مَآرِبَا
دَمْنًا أَسُوفُ تَرَابِيهِنَّ كَأَنِّي أَسْتَأْفُ فِي أَرْجِ الصَّعِيدِ تَرَائِبَا
قَدْ كَانَ وَصْلِكَ وَالتَّدَانِي جَامِعٌ شَمَلَ الْهَوَى- رَدَّ الشَّبَابَ الدَّاهِبَا
حَتَّى تَعَرَّضْتَ النَّوَى مَا بَيْنَنَا وَالدَّهْرُ يُحَدِّثُ فِي بَنِيهِ عَجَائِبَا(2)

ويقول أيضا: {الطويل}

عَفَا مَنْزِلٌ قَدْ كَانَ لِلْغَيْدِ مَأْفَا فَسَقَيْتَهُ دَمْعِي أَسَىً وَتَلَهُّفَا
إِذَا مَا الْغَمَامُ الْجَوْنَ ضَنَّ بِمَائِهِ تَدَقَّقَ لَا يَخْتَارُ أَنْ يَتَكْفَكْفَا
مَنْزِلٌ أَنْسَ قَدْ كَسَتْهَا مَدَامِعِي غَدَاةَ نَوْتِ رَوْضَائِهَا الْفَيْحُ زُخْرُفَا
فِيَا صَاحِبِي الْيَوْمَ عَوْجَا بَرَبِعِهِ فَقَدْ كَانَ بَرْدُ الْهَوَى فِيهِ مَقُوفَا(3)

ومن الشعراء من عاهد الرّسم أن يشاركه الضّعف والهلاك، فالشاعر يخشى فناء الطلل واندثاره، ويظهر هذا مدى رغبته في صمود الرّسوم في وجه الزّمان، كما أنه يشير إلى حالة وجدانية يعيشها الشاعر، فهو يتأرجح بين الرّغبة في بقاء المنازل

(1) سبط بن التعاويذي، الديوان، 291.

(2) الملك الأمجد، الديوان، 166.

(3) نفسه، 240، 241.

والتخوف من زوالها⁽¹⁾، وذلك لأن إدراك الشاعر للفناء يدفعه للإحساس بالغرابة الدائمة، فالشاعر حريص على إحياء الطلل.

يقول العماد الأصبهاني: **{الكامل}**

رَسَمٌ عَلَيَّ لَذَلِكَ الرَّسْمِ أَنِّي أَقَاسِمُهُ ضَنَى الْجِسْمِ⁽²⁾

وفقد أسامة بن منقذ الأمل بجمع الشمل واللقاء بالأهل والأحبة، وذلك لأن الديار درست وأوحشت من أهلها، فهي فقراء خالية لا أمل يرتجى منها، إذ يقول: **{الكامل}**

يَا لَيْتَ أَنْ دِيَارَنَا كَانَتْ كَذَا طَوْرًا تَفَرَّقْنَا وَطَوْرًا تَجْمَعُ
لَكِنهَا دَرَسَتْ وَأَوْحَشَهَا الرَّدَى مِنْ أَهْلِهَا فَهِيَ الْقِفَارُ الْبَلْقَعُ
لَا يُرْتَجَى لَهُمْ إِيَابٌ جَامِعٌ لِشَتَاتِهِمْ حَتَّى يَضُمُّ الْمَجْمَعُ⁽³⁾

ويرى ابن الخياط أن الوقوف على بقايا الدار ورسومها لا يعني شيئاً، وما هو إلا شوق وحنين لتلك الديار وساكنيها: **{البسيط}**

هِيَ الدَّيَّارُ فَعَجُّ فِي رَسْمِهَا العَارِي إِنْ كَانَ يُغْنِيكَ تَعْرِيجُ عَلَى دَارِ
إِنْ يَخُلُ طَرْفَكَ مِنْ سَكَّانِهَا فَبِهَا مَا يَمَلُّ الْقَلْبُ مِنْ شَوْقٍ وَتَذَكَارِ⁽⁴⁾

(1) ينظر: حبيب محمود، وهران ، الحنين في شعر صدر الإسلام، 95، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين

دمشق، 2003م.

(2) الديوان، 394.

(3) أسامة بن منقذ، المنازل والديار، 8 ، لم أعتز على الأبيات في ديوان الشاعر.

(4) ابن الخياط، الديوان، 154.

ثانياً: شعر المكرهين، ومنهم.

من الموضوعات التي تناولها شعر الحنين حنين المكرهين، وذلك لقدرته على تصوير ما يكتنف الشاعر من إحساس بالظلم والقهر، فقد ابتعد عن وطنه مجبراً ومكراً، وهذا يعمق فيه الإحساس بالغربة المريرة المظلمة.

والمكرهون " هم الذين أجبرتهم ظروفهم الاضطرارية على مغادرة ديارهم والارتحال عنها إلى غيرها، رغم تعلقهم بها وحبهم الشديد لها، لكنهم يتركون أوطانهم كرهاً أو يجبرون على ذلك قسراً وجبراً، فينتزعون من ديارهم انتزاعاً ويغادرونها رهبة لا رغبة، لا يتذوقون في غربتهم غير المرارة والحسرة، فلا تلذ لهم إقامة ولا يطيب لهم مأوى وسكن وهم مبعدون عن ديارهم، وأهلهم قسراً وجبراً.... فهم في حنين دائم وشوق متصل للأهل والأحبة والديار"(1).

وعند البحث في حنين المكرهين في شعر شعراء العصرين الزنكي والأيوبي، يستطيع القول إن هذا الموضوع لم يشكل ظاهرة بارزة في شعر هذا العصر، وإن نفي بعض الشعراء، وسجن بعضهم الآخر، وفر آخرون من بلادهم لأسباب مختلفة.

يُقسّم المكرهون في هذه الدراسة إلى قسمين، هما: المنفيون أو المطرودون، والمسجونون أو النازحون.

1-المنفيون أو المطرودون.

كان النفي والطرْد من مكان ما، أو الوطن كله من الطرق التي اتخذها الحكام والخلفاء للتخلص من شخص يشكل في نظرهم خطراً على حكمهم وعلى أبنائهم من بعدهم، لهذا يمكن القول إن الأسباب السياسية هي الأسباب الرئيسة وراء طرد الشعراء من بلادهم، وممن قال في الحنين مكرهاً جرّاء الطرد أو النفي السياسي.

1-أسامة بن منقذ.

فقد طلب منه عمه أن يرحل من شيزر(2) لما كان يرى فيه من المزايا التي تؤهله للرئاسة والحكم(3)، ف شعر أسامه بغيرة عمه فغادر شيزر مكرهاً ومجبراً، وهذا الإبعاد زاد من حنينه إلى أهله ووطنه وأحبائه وأصدقائه، فقال شعراً عبر فيه عن تجربته المريرة بالغربة.

(1) الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 339، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) شيزر: قلعة تشتمل على كورة بالأم قرب المعرة، في وسطها نهر عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد في كورة حمص وهي قديمة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/434.

(3) ينظر: ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، 90/8، 91.

فقد حنَّ أسامة بن منقذ إلى الأهل والأحباب والأصحاب عندما نفي من بلاده،
وحنين أسامة حنين صادق يصدر عن قلب جريح موجه، فيقول: {الطويل}

أحبابنا، ما أشتكي بعد بعدكم سوى أنني باق، ولبي حاضر
وما هكذا يقضي وقائي، وإنما جرت بهواها لا هواي المقادر
وقد كان للبين المشتت أوائل وليس له، حتى الممات، وأخر⁽¹⁾
فأسامة يرى أن هذا الترحال لن ينتهي إلا بانتهاء حياته وموته، وكأنما كتبت عليه
حياة الفراق والحنين.

وحياة الترحال هذه فرضت على الشاعر الحنين الدائم، فكلما شعر بالأنس في
مكان ما شد رحاله من جديد وارتحل مفارقاً أحبته ثم تذكرهم فحن إليهم، وامتلاً قلبه
بالحزن والأسى، فهو لا يشعر بالسعادة لأنه أصبح بلا وطن ولا أحباب⁽²⁾: {الكامل}

أين السرور من المروع بالتوى أبداً، فلا وطن، ولا خلان
عيد البرية موسم لعويله وسرورهم فيه له أحزان
وإذا رأى الشمل الجميع تراحمت في قلبه الأمواه والتيران⁽³⁾
ويظهر أسامة لوعة وحزناً فهو سيبقى مغترباً طوال العمر، بعيداً عن الأهل
والوطن: {البسيط}

أهكذا أنا، باقي العمر مغترباً ناءً عن الأهل والأوطان والسكن
لا تستقر جيادي في معرسها⁽⁴⁾ حتى أروعها بالشدّ والظعن⁽⁵⁾

حلت المصائب بأسامة فزادت من آلامه وأحزانه وفرضت عليه الوحدة
والاغتراب، فراح يتألم من حاضره الذي يعيشه، فقد غدا دون أنيس أو معين، ولا
وطن يحتويه، إذ يقول: {الطويل}

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 74.

(2) ينظر: سليمان، رولاناصر، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 191، رسالة ماجستير، دمشق (د.م.)، (د.ت.).

(3) أسامة بن منقذ، الديوان، 74.

(4) المعرس: البيت، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عرس).

(5) أسامة بن منقذ، الديوان، 104.

وقد أفردتني الحادثات، فليس لي أنيسٌ ولا في طارق الخطب أعوانٌ
 كأني من غير الثراب، نبت بي الـ بلادٌ فما لي في البسيطة أوطان⁽¹⁾
 " وحينما يعيش المرء وحيداً تأخذه أفكاره في كل الاتجاهات، كما تنشط ذاكرته
 في ساعات الوحدة، فيتذكر الأهل والأحبة والأصدقاء، ويذكر أيضاً الأهوال
 والمصائب التي مرت في حياته، فتصبح الذكرى مبعث ألم وحزن، فإذا تذكر الأهل
 المفقودين تدفق دمه بغزارة شوقاً وحسرة"⁽²⁾ يقول: {الكامل}

فإذا ذكرتهم عرثني حسرةٌ ثمري سحائبَ دمعِي المُتبادر⁽³⁾

والتذكر يبطل الصبر ويزيد الأشواق فيهيجهما، ويجعل المرء أكثر حزناً وحينما
 ويقول أسامة بن منقذ: {الطويل}

تظنون أن الصبر يُنجدُ بعدكم على بُعدكم، هيهات، صبري غرارُ
 إذا عنّ ذكراكم عرثني سكرةٌ كأني سقاني البابلية خمّار⁽⁴⁾

وأقام أسامة مقارنة بين ما كان عليه من ماضٍ مشرف وبين ما هو عليه في
 حاضره من ذلٍ وضعف فهو من آل منقذ، وهم ذو مجد عريق بموتهم يشعر أسامة
 بأنه فقد عزه ومجده: {البسيط}

يا دارُ أنت التي كان الجميعُ بها وكان في ربّك الولدانُ والحشمُ
 وكنيت للضيّف والعافين مُرتبعا يقتادهم نحوك الإكرامُ والكرمُ
 أصبحت قفراً، وأضحى أهلك افترقوا أيدي سباً، وانتنت عن قُصدك الهممُ
 ما أعجبَ الدهرَ! عيشُ الناسِ أجمعهم إن سرّهم صرّفه أو ساءهم-حلم⁽⁵⁾

وعلى الرغم من ألم أسامة وحزنه لما لقيه من عمه من نكرانٍ وجحود، إلا أن نفيه
 وارتحاله لم يحط من قيمته وقدرته بل رفع من منزلته وزاد من همته، ويتساءل هل
 ارتحاله عن بلاد تنكرت له ولأمثاله هل لساكنيها فخر⁽⁶⁾؟ {الطويل}

أظنّ العدا ارتحالي ضائري ضلالاً لما ظنّوا، وهل يكسدُ التبرُّ

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 105.

(2) سليمان، رولا ناصر، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 195، رسالة ماجستير،

جامعة دمشق، (د.م)، (د.ب)

(3) أسامة بن منقذ، المنازل والديار، 27، لم أعثر على البيت في الديوان.

(4) الديوان، 69.

(5) أسامة بن منقذ، المنازل والديار، 304، 305.

(6) ينظر: الأوسي، جمال الدين أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية، 34.

وما زادني بُعدي سِوَى بُعْدِ هَمَّةٍ كما زاد نُورا في تباغُدِهِ البدرُ
ولو كان في طولِ النَّوَاءِ فضيلةً لما انتقلتُ في أفقِهَا الأَنجُمُ الزُّهُرُ
ولو لَزِمْتَ أَعْمَادَهَا البِيضُ ما انْجَلتْ بها غمراتُ الحربِ ، واتَّضح النَّصْرُ
وهَلْ في ارتحالي عن بلادٍ تتكَرَّتْ لِمِثْلِي أو لِسَاكِنِينَ بِهَا فخرُ
وإنَّ بلاداً ضاقَ عَنِّي فضاءُها لا رَحْبُ من أكنافِهَا لِلْعُلا فِترُ(1)

إن المرء عندما يغترب ويقوم في بلد غير بلده إقامة جبرية، يضيق صدره فيسأم حياته ويشعر بالثقمة على نفسه، فيشكو الأقدار التي دفعت به إلى هذا البلد، وهذا ما حل بأسامة بن منقذ الذي شكاه إقامته بمصر(2)، فقال: {البسيط}

يَا مِصرُ ما دُرْتِ في وَهْمِي، ولا ولا أَجَالْتِكَ خَلواتي بأفْكارِي
مَّا أَنْتِ أوَّلُ أرضٍ مَسَّ ثُرْبَتِها جِسمِي ولا فيكَ أوطاني وأوطاري
لكن إذا حُمَّتِ الأقدارُ كان لها قُوى، تُؤَلِّفُ بين الماءِ والنَّارِ(3)

2- أبو المحاسن محمد بن نصر المعروف بابن عنين.

فقد كان هجاءً وبلغت به الجرأة مبلغاً بعيداً حتى تعرض لصلاح الدين(4) قائلاً:
{المنسرح}

سُلطاننا أَعْرَجٌ وكاتبُهُ نو عَمَشٌ والوزيرُ مُنْجِدِبُ(5)
فضجر منه الناس وضاقوا به ذرعاً، وأخذ أحد المقربين من السلطان صلاح الدين الأيوبي يحرضه على نفي ابن عنين، حتى أمر صلاح الدين بنفيه من دمشق بسبب وقوعه في الناس(6)، فلما خرج منها قال شعراً يتساءل فيه عن أسباب النفي، إذ لم يفترف ذنباً، ولم يخن يوماً، بل قال الحقيقة، فلينفوا المؤذن معه؛ لأنه أيضاً يقول الحقيقة:

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 200.
(2) ينظر: الألويسي، جمال الدين، أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية، 43.
(3) أسامة بن منقذ، الديوان، 75.
(4) ينظر: الياضي، مرآة الزمان، 1696/8، وابن أبي عذبية، إنسان العيون، 298.
(5) ابن عنين، الديوان، 210.
(6) ينظر: ابن أبي عذبية، إنسان العيون، 298.

{ الكامل }

فَعَلَامَ أَبْعَدْتُمْ أَخَا ثِقَةٍ لَمْ يَجْتَرِمْ ذَنْباً وَلَا سَرَقاً
انفوا المؤدّن من بلادكم إن كان يُنفى كلُّ مَنْ صَدَقاً⁽¹⁾

لم يجد ابن عنين في رحيله وتنقله بين الممالك الإسلامية ما يخفف عنه ألم الغربة فبدأ يشعر بالندم على ما ذهب منه، وأيقن أن ملوك بني أيوب ألين جانباً وأرحب صدرأ⁽²⁾، فقال قصيدة يذم فيها الأعاجم ، وأظهر ما في نفسه من مشاعر الندم: { الوافر }

أحنُّ ومن وراء التّهر داري حنينَ العود أوتّقه العِراسُ⁽³⁾
فبانّت عنه شيرته ولانّت عريكته وكان به شماسُ
بأرض لا الكلابُ بها كلابُ ولا النَّاسُ السِّرَّاءُ هناك ناسُ
لهم حملٌ بوعدك إن أرادوا جميلاً لا يكونُ له نفاسُ
فكيف تبيتُ تطمُع في مديحي رجاءَ نوالها العجمُ الخِساسُ
إذا طمُعُ كسا غيري ثياباً يدلُّ بها كساني العزَّ ياسُ⁽⁴⁾

ومن المعروف أن التّفي يسبب الضجر والملل، فقد ملّ ابن عنين غربته الكريهة ووحدته القاسية، إذ لم يندمج مع البلاد الجديدة التي يقيم فيها، فقال يدعو على الهند ويتمنى لها السّقيا بالصّواعق والدماء، بدلاً أن يدعو لها بالخير: { الكامل }

وإذا سقى الله البلادَ فلا سقى بلدَ الهنودِ سوى الصّواعق والدمّما
قد غيرت غيرُ الليالي كلَّ حا لاتي؛ وشوقي والغرامُ هُما هُما⁽⁵⁾

(1) ابن عنين، الديوان، 94.

(2) نفسه، مقدمة المحقق، 7.

(3) العراس: الحبل الذي يعرس به البعير، أي يشد من عنقه إلى ذراعه، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (عرس).

(4) ابن عنين، الديوان، 32، 33.

(5) نفسه، 79.

ويساور ابن عنين في الهند رغبة في العودة إلى بني أيوب واسترضائهم، بعد أن أغضب سيدهم صلاح الدين: {الوافر}

ولو أتي مدحتُ ملوكِ قومي تراغتُ حَوليَ النَّعمِ الدِّخَاسُ⁽¹⁾
فإنَّ النَّاسُ في طُرقِ المعالي لهم تَبَعٌ وهم للنَّاسِ راسُ
ملوكِ دأبُّهم شرفٌ ومجدٌ ودأبُ سواهم طُربٌ وكاسُ
فلولا آلُ أيوبَ بنِ شاذي لكانَ لمعهدِ الجودِ اندراسُ⁽²⁾

وقال يتشوق إلى دمشق، ويدعو لأهلها بالعزة والقوة وإن لم يحفظوا عهده، وكان سبب نفيه وإبعاده عن وطنه: {الطويل}

رعى الله قوماً في دمشق أعزةً عليَّ وإن لم يحفظوا عهدَ من ظعنُ
أحبةً قلبي في الدُّنُوِّ وفي النَّوى وأقصى أمانِي النَّفسِ في السِّرِّ والعلنُ
أناساً أعد الغدرَ منهم بدمتي وفاءً وألقى كلَّ ما ساءني حسنُ
وكم فوقوا نحوي سهاماً على النَّوى فأصمتُ فؤادي واعتددتُ بها مننُ⁽³⁾

وهكذا يصور شعر المنفيين معاناة الشاعر في غربته، وشعوره بالألم والحسرة بعد أن فارق الأهل والأصحاب مجبراً على ذلك، وهذا ما زاد من مرارة الغربة وقسوتها عليه، وهو يتواصل مع الأهل والأحبة وإن بعد عنهم، لأنه يتواصل معهم بروحه لا بجسده، كما أنه يعبر عن شعور المنفي بالتضجر من العيش في بلاد غريبة لم يألف العيش فيها.

(1) الدِّخَاس: الكثير، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (دخس).

(2) ابن عنين، 33.

(3) نفسه، 77.

2-المسجونون أو التّازحون.

يشكل الأسر والحبس اتجاهاً واضحاً في شعر المكرهين وحنينهم، وتعدُّ هذه التجربة المريرة مثيراً كافياً لإثارة الأحاسيس، وإشعال العواطف، بالإضافة إلى الألم النفسي والجسمي، وما أكثر آلام المحبوسين، وما أوسع فراغهم على ضيق سجنهم فترى الشّاعر الأسير حزيناً ؛ لأنه مكره على الإقامة(1).

وبما أن السّجن شيء بغيض، والمسجون مصادر الحرية مكره الإقامة محصور في مكان ضيق لا يلقى فيه سوى المعاملة القاسية الفظة من السّجان، وهذه الأشياء جميعها تعزز النّفس القلقة في الشّاعر فتدفعه إلى البحث عن وسيلة تخفف من آلامه وأحزانه، وما هذه الوسيلة إلا أن يقول شعراً يعبر فيه عن تجربته المريرة ومعاناته في السجن(2).

لهذا تناول بعض الشعراء في العصرين الزنكي والأيوبيّ تجربة السّجن في أشعارهم، فتحدثوا عن تلك التجربة التي مروا بها، وما تركته في نفوسهم من آثار سلبية، ومن الشعراء الذين تم حبسهم:

1- المهذب بن الزبير، إذ قبض عليه شاور(3)، وحبسه وذلك بسبب اتصال أخيه الرّشيد(4) بالملك صلاح الدّين يوسف بن أيوب(5).

وكانت تجربة المهذب بن الزبير في الحبس تجربة مريرة قاسى خلالها آلاماً جسماً، فلا غرابة أن يتغير سلوكه فيجافي النّاس، ويسىء الظن بهم، بل يفقد الثقة بهم، قال: {البيط}

تشابَهَ النَّاسُ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ تشابَهَ النَّاسُ وَالْأَصْنَامُ فِي الصُّورِ
وَلَمْ أَبْتِ قَطُّ مِنْ خُلُقٍ عَلَى ثِقَةٍ إِبًا وَأَصْبَحْتُ مِنْ عَقْلِي عَلَى غَرَرٍ
لَا تَخْدَعُنِي بِمُرئِيٍّ وَمُسْتَمِعٍ فَمَا أَصَدِّقُ لَأَسْمَعِي وَلَا بَصْرِي

(1) ينظر: الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 374، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) ينظر: الحمداني، هادي، شعر السجون والأسر في الأدب العربي، 36، مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد، ع13، 1970م.

(3) شاور: هو شاور بن مجير السعدي، وزير الخليفة العاضد الفاطمي، كان جباراً عنيداً مستبداً وكان ابنه الكامل شجاع بن شاور بعد أن قتل والده سنة 564هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 220/1.

(4) القاضي الرشيد: أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني المصري يُلقب بالقاضي الرشيد وكنيته أبو الحسين، مات في سنة 562هـ، كان كاتباً وفقهياً نحوياً لغوياً مؤرخاً، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 400/1.

(5) ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 942/2.

وكيف آمنُ غيري عندَ نائبةٍ يوماً إذا كنتُ من نفسي على حذرٍ؟! (1)

وكتب المهذب بن الزبير للملك الكامل بن شاور يستعطفه ويبين مقدار ما يعانيه من شقاء وغربة في سجنه حتى أصبح لا يدري أطرفه ساهر أم نائم على طول ليله، واستطاع المهذب أن يجذب عواطف الملك الكامل حين أطلق عليه لقب "ملك الدنيا" فهو يملك الدنيا بأسرها، وببيديه العفو والصفح، فلا ملجأ له سواه، ولا شكوى إلا له، ولا عفو إلا منه: (2) { الطويل }

أيا صاحبي سجن الخزانة خلياً من الصبح ما يبدو سناه لناظري
فو الله ما أدري: أطرفي ساهرٌ على طول هذا الليل، أم غير ساهر؟!
وما كنت أخشى قبل سجنكما على دموعي أن يقطرن خوف المقاطر
ومالي من أشكو إليه أذاكما سيوى ملك الدنيا، شجاع بن شاور (3)
ويستعطف المهذب بن الزبير إلى حارسي السجن راجياً منهما أن يسمحا لكبده
بنسمة من ريح وأن يبشراه ببراءته فقد ملّ السجن وعذاباته، قال: { الطويل }

أيا صاحبي سجن الخزانة خلياً نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائدٌ إلى نظري، أم لا أرى بعدها صنبا؟! (4)

و يتلطف المهذب في استعطاف الملك الكامل، بل يبالغ في استعطافه، حين يقول:
{ الطويل }

لا تئسا من رحمة الله أن أرى سريعا بفضل الكامل العفو والصفح
فإن تحبساني في النجوم تجبراً فلن تحبسا مني له الشكر والمدحا (5)

(1) المهذب بن الزبير، الديوان، 197.

(2) ينظر: نفسه، مقدمة المحقق، 3.

(3) نفسه، 195.

(4) نفسه، 182.

(5) نفسه، 183.

2- العماد الأصبهاني، فقد صدر أمر باعتقاله، فبعث من سجنه قصيدة طويلة إلى الوزير عضد الدين محمد⁽¹⁾ استاذ الدار⁽²⁾ يطلب فيها أن يشفع له الخليفة في فك وثاقه وإطلاق سراحه⁽³⁾.

وفي القصيدة نفسها يشكو الشاعر ألم السجن والبعد عن الأحبة والوطن، فهو يحن شوقاً إلى محبوبته، يقول العماد الأصبهاني: **{الكامل}**

لو كنت تعلمُ منتهى بُرحائه حابيت إبقاءً على حوَّائه
ولكنت تتركُ في الغرام ملامه كيلا يزيدَ اللومُ في إغرائه
لا تتكرنْ ضحكي، أريك تجلداً ضحك الحيا بالبرق عينُ بكائه
ما كنتُ أعلمُ دمعَ عيني مفشياً سِراً لهم أشفقتُ من إفشائه
حتى جرى في الخدِّ مني أسطراً فعرفتُ أن الشوقَ من إملائه
ما كان أعذبَ بالعذيب⁽⁴⁾ لدى الصبا عيشاً أمنتُ فناءه بفنائيه⁽⁵⁾

وينتقل من الحنين والشوق إلى مدح عماد الدين بن محمد عضد الدولة، فيمدحه بالسَّخاء والكرم، متوسلاً إليه أن يفك أسره ليعود إلى الأهل والأحباب: **{الكامل}**

إذا قاسمه ماءُ العذيبِ، وأهله في العزِّ تحسُّدهم نجومُ سمائه
والحيُّ شمسُ الأفقِ تخبُّاً وجهها منه حياءً من شמושِ خبائه
أيامَ لم أبصرُ جميلاً فيهم إلّا وفاءً إلى جميلٍ وفائه⁽⁶⁾

ويفر الشاعر من وطنه مجبراً لأسباب اضطرارية مختلفة، فقد يكون هجا الحاكم أو المقربين منه، أو بفعل مؤامرة تحاك ضده، وإما نتيجة لمشاكل داخلية تعاني منها بلاده، وهذه الأسباب جميعها دفعته إلى النزوح والبحث عن مكان آخر يجد فيه الاستقرار والأمان، وخلال نزوحه وإقامته في بلد آخر يتقرب من الطبقة الحاكمة ليحصل على مركز مهم. ويتضح من خلال البحث والدراسة أنه لم يكن هنالك حضور واضح لشعراء نازحين، هربوا من أوطانهم خوفاً على أنفسهم، منهم:

(1) عضد الدين محمد: عماد الدين علي بن الوزير عضد الدين محمد بن هبة الله بن مظفر بن رئيس الرؤساء ، ينظر: الخريدة، قسم الشَّام، 166/1.

(2) أستاذ الدار: هو متولي الأخذ وقبض المال، ينظر: الفلقشندي، صبح الأعشى، 457/5.

(3) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 184/5.

(4) العذيب: ماء بين القادسية والمغشية، وقيل موضع بالبصرة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 103/4.

(5) الديوان، 66.

(6) نفسه، 66، 67.

1- ابن القيسراني.

فقد هرب من دمشق على أثر اتهامه بهجاء صاحبها، متوجهاً إلى حلب التي كانت بحوزة عماد الدين الزنكي⁽¹⁾

ولكن مما يلاحظ على ابن القيسراني أن حنينه كان منقسماً بين الحنين إلى دمشق التي فرَّ منها، وبين بغداد التي سافر إليها وأقام فيها.

ومن المقطعات الشعرية التي حنَّ فيها إلى دمشق والشَّام، قوله: { الوافر }

مررنا في ديار بني عديّ "يُجاذبُ" لوعتي شرقاً وغرباً
"ينيمني" بأرض الشام حُبُّ "ويعطفني" على بغداد حُبُّ⁽²⁾

وقال متشوقاً إلى دمشق والغوطين وتادفٍ التي جمع في صورته لها بين القمر والشمس، معبراً عن سروره بما رأى بعينه ليخفف من لوعة أشواقه وحنينه إلى الشَّام: { مجزوء الكامل }

مَا زِلْتُ أُخَدِّعُ عَنْ دِمَشْقَ قَ صَابَتِي بِالْغَوَاطِينِ⁽³⁾
حَتَّى مَرَرْتُ بِتَادِفٍ⁽⁴⁾ فَكَأَنِّي بِالتَّيْرِينِ⁽⁵⁾
وَرَأَيْتُ مَا قَدْ كُنْتُ آ مَلُهُ بِأَشْوَاقِي بَعَيْنِي⁽⁶⁾

(1) ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 12/5.

(2) ابن القيسراني، الديوان، 84.

(3) الغوطين: منى الغوطة، وهي الكورة التي منها دمشق، استدراتها ثمانية عشرة يحيط بها جبال عالية من

جميع جهاتها ولا سيما شمالها، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 238، 249/4.

(4) تادف: موضع نزه كثيرة المياه والأشجار بوادي بطنان بين منبج وحلب، ينظر: ياقوت الحموي،

معجم البلدان 447/1.

(5) النيران: النير الأصغر هو القمر، والنير الأكبر هو الشمس، ينظر: الأمين، يحيى،

معجم الألفاظ المثناه، 479، والمحبي، جنى الجنتين، 24.

(6) ابن القيسراني، الديوان، 414.

وقسم ابن القيسراني لوعته وشوقه الملتهب بين دمشق حيث الأهل والأحبة، وبغداد التي يقيم بها، يقول: {السريع}

أقمتُ بالأنبار⁽¹⁾ ذا لوعَةٍ مقسومةً بينَ حَيٍّ — بينَ
أشتاقُ " أهلي " بدمشق وفي بغدادَ حَظَّ القَلْبِ والعَيْنِ
ففي لقائي ذا فراقِي لـذا فُلْ لي متى " أخلو " من البَيْنِ⁽²⁾

2- عمارة اليمنى⁽³⁾.

فقد اضطر إلى التزوح عن وطنه، الذي كان فيه ذا شأن رفيع، وأحد أعلامه إلى وطن آخر لا شأن له فيه إلا شأن الضعيف الغريب، فقد هاجر إلى مكة؛ ليعلم شريفها، ثم إلى مصر من أجل وطنه اليمن الذي لمس فيه بوادر الفتن، فالفتن حلت في سائر أصقاع اليمن، كما أنه أحس بانتهاء الأوضاع⁽⁴⁾، وكتب وهو في مصر قصيدة إلى صلاح الدين الأيوبي وصف فيها حاله، ويقول فيها: {الطويل}

أيا أذنَ الأيَّامِ إنْ قلتِ فاسمعي لنفثةَ مَصدورٍ وأثمةَ موجع
وعَي كلِّ صوتٍ تسمعِين نداءه فلا خيرَ في أذنِ تُنادي فلا تُعي
تُقاصر بي خطبُ الزَّمانِ وباعه فقصرَ من ذرعي وقصرَ أذرعي
وأخرجني مِنْ موضع كنت أهله وأنزلي بالجور في غير موضعي
بسيف " ابن مهدي "⁽⁵⁾ وأبناء فاتك "⁽⁶⁾ أقضي من الأوطان جنبي ومضجعي⁽⁷⁾

(1) الأنبار: مدينة على الفرات، في غربي بغداد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 257/1.

(2) الديوان، 416.

(3) عمارة اليمنى: هو نجم الدين عمارة بن أبي الحسن علي بن محمد بن زيدان الشاعر القاضي السفير الرحالة، ذو المواهب المتعددة، ولد سنة 515هـ، وتوفي في عام 569هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، والمقرزي، السلوك، 53/1.

(4) ينظر: عمارة اليمنى، الديوان، مقدمة المحقق، 40، 41.

(5) ابن مهدي: هو السيد علي بن مهدي الحميري الرعيني، كان يسكن قرية العنبرة أسفل وادي زبيد قريبة من البحر، توفي سنة 554هـ، ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، 25/5.

(6) أبناء فاتك: هم أولاد فاتك بن حياش بن نجاح ملوك زبيد وقد كان آخرهم فاتك بن منصور الذي قضى على دولته علي بن مهدي الرعيني، ينظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، 126/5، 125.

(7) عمارة اليمنى، الديوان، 681/2.

الفصل الثاني

مظاهر الحنين في الشعر الزنكي والأيوبي

أولاً: الحنين إلى الوطن.

ثانياً: الحنين إلى المحبوب.

ثالثاً: الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء.

رابعاً: الحنين إلى الذكريات الماضية.

خامساً: الحنين الديني.

أولاً: الحنين إلى الوطن.

الحنين إلى الوطن ظاهرة إنسانية لا يستطيع المرء أن يتخلى عنها، مهما بلغ رقيه الحضاري وتطوره المادي وسموه الروحي⁽¹⁾، لأنه منذ عرف الإنسان الوجود وعرفه الوجود، ملتصق ببيئته لا فكاك له منها، وكادت الصلة بينه وبين بيئته أن تكون أوثق من صلته بأسرته، فهو ينسب إلى أسرته كما ينسب إلى بيئته، ويستفيد صورته من بيئته، كما يستفيدها من أسرته⁽²⁾.

وصور القرآن الكريم ظاهرة حب الوطن والتمسك به تصويراً قوياً حين جعل الخروج من الديار وقتل النفس متساويين.

قال تعالى: "ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلّا قليل منهم"⁽³⁾ وحن الأنبياء إلى أوطانهم، فيوسف عليه السلام لما أدركته الوفاة أوصى أن تحمل رتمه إلى مقابر آبائه، فمنع أهل مصر أولياء يوسف من حمله، فلما بعث الله موسى عليه السلام، وأهلك على يديه فرعون وغيره من الأمم، حمل رتمه إلى تربة يعقوب بالشّام⁽⁴⁾.

"وكذلك يعقوب مات بمصر فحملت رتمه إلى إيليا، وهناك قبر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام"⁽⁵⁾.

ويذكر الجاحظ أن بعضاً من بني إسرائيل كانوا يتمسكون بوطنهم في حياتهم وبعد مماتهم، يقول: "ومن تمسك من بني إسرائيل عليه السلام بحب الوطن خاصة ولد هارون، وآل داود عليهما السلام، لم يمت منهم ميت في إقليم بابل في أي البلدان مات إلا نبشوا قبره بعد حول وحملت رتمه إلى موضع يدعى الخصاصة⁽⁶⁾ بالشّام فيودع هناك حولاً فإذا حال نقلت إلى بيت المقدس"⁽⁷⁾.

(1) ينظر: حور، محمد، الحنين إلى الوطن، 18.

(2) الإبياري، إبراهيم، الوطن في الأدب العربي، 3.

(3) النساء: 66.

(4) ينظر: الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، 35.

(5) نفسه، 36.

(6) الخصاصة: الرّيف، أرض فيها زرع ونخل، وقيل هو ما قارب الماء من أرض العرب وغيرها، ينظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان 429/2.

(7) الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، 37.

والرّسول صلى الله عليه وسلم كان كثير الحنين إلى وطنه" حتى أنه اغرورقت عيناه، حين سمع أحد الصّحابة يصف له مكة، ويقول حين يسأله الرّسول، كيف تركت مكة؟ تركتهم وقد حيدوا وتركت الأذخر(1)، وقد أغدق

"ومنذ القدم ارتبط الشّوق والحنين بالوطن، فصار الحنين إلى الأوطان شائعاً في كل العصور سواء للوطن والقبيلة والحي أم الشّعب والأمة الكبيرة، وسواء أكان مسقط رأس أم لم يكن، فالحنين إلى الأوطان انتماء وولاء وحب وحنين"(2).

وعرف العربي حب الوطن، والحنين إليه منذ أقدم الأزمان، فصور الشّعر العربي أشواق الشّعراء وحنينهم إلى أوطانهم ومرابعمهم ومراتع صباهم، يقول امرؤ القيس: **{ الوافر }**

وَقَدْ طَوَّقْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضَيْتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ(3)
ويقول عنتره: **{ الخفيف }**

أَحْرَقْتَنِي نَارُ الْجَوَى وَالْبُعَادِ بَعْدَ فَقْدِ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْلَادِ(4)

وجاء ذكر الوطن في الشّعر الإسلامي، يقول عمر بن أبي ربيعة: **{ البسيط }**

قَدْ هَاجَ قَلْبُكَ بَعْدَ السَّلْوَةِ الْوَطَنِ وَالشُّوقُ يُحْدِثُهُ لِلنَّازِحِ الشَّجْنُ(5)

ويقول جميل بن معمر: **{ الرجز }**

أَنَا جَمِيلٌ وَالْحِجَازُ وَطَنِي فِيهِ هَوَى نَفْسِي وَفِيهِ شَجْنِي(6)

ويتجلى الحنين إلى الوطن في قول أبي تمام، وابن الرّومي، إذ يقول أبو تمام: **{ الكامل }**

نَقَلَ فُؤَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

(1) الأذخر: نبات طيب الرّيح، ينبت في السّهول، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذخر).

(2) الجبوري، يحيى، الحنين والغربة في الشعر العربي، 10.

(3) الديوان، 73.

(4) الديوان، 67.

(5) الديوان، 391.

(6) الديوان، 134.

كَمْ مَنزَلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى
وَحَنِينُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنزَلٍ (1)

أما ابن الرومي، فيقول: {الطويل}

وَلِي وَطَنٌ أَلَيْتُ أَلَا أبيعَهُ
وَأَلَا أرى غَيْرِي لَهُ الدَّهْرَ مَالِكَا
عَهْدْتُ بِهِ شَرخَ الشَّبَابِ وَنِعْمَةٌ
بصَحْبَةِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا فِي ظِلَالِكَا
وَقَدْ أَلْفَيْتُهُ النَّفْسُ حَتَّى كَأَنَّهُ
لَهَا جَسَدٌ إِنْ غَابَ غُودِرْتُ هَالِكَا
وَحَبَّبَ أوطَانَ الرَّجَالِ إِلَيْهِمْ
مَأْرَبُ قَضَاهَا الشَّبَابُ هُنَالِكَا
إِذَا ذَكَرُوا أوطَانَهُمْ ذَكَرْتَهُمْ
عَهودَ الصَّبَا فِيهَا فَحَنُّوا لِذَلِكَ (2)

ولدى البحث في ظاهرة الحنين إلى الوطن في شعر العصرين الزنكي والأيوبي، يتضح أن موضوع الحنين إلى الوطن حظي باهتمام الشعراء، فأكثرُوا منه، وعبروا عن حنينهم إلى مدن وبلدان رحلوا عنها سواء أكان ذلك بإرادتهم أم قسراً.

وقد جاء حنينهم إلى أوطانهم في مظاهر عديدة، أهمها:

1-الحنين إلى الوطن وأحيائه.

ومن الشعراء الذين تناولوا ظاهرة الحنين إلى الوطن، ابن عنين، فقد حن إلى دمشق التي نُفي منها، وأبعد عنها، فيقول متشوقاً إليها وهو في اليمن، مظهراً ما يكتنفه من شوق شديد إليها، واصفاً طول الليل وعدم مجئ النهار جرأاً أرقه، متمنياً العودة إلى مقرى حيث الأمان والاستقرار، معبراً عما يخلتج صدره من شوق ملتهب إلى دمشق وأن لأمه لائم في ذلك: {الطويل}

حَنِينٌ إِلَى الْأوطَانِ لَيْسَ يَزُولُ
وَقَلْبٌ عَنِ الْأَشْوَاقِ لَيْسَ يَحُولُ
أَبَيْتٌ وَأَسْرَابُ النُّجُومِ كَأَنَّهَا
فُقُولٌ تَهَادِي إِثْرَهُنَّ فُقُولُ
أَرَأَيْتَ فِي اللَّيْلِ مِنْ كُلِّ مَطْلَعِ
كَأَنَّيْ بَرَعِي السَّائِرَاتِ كَفَيْلُ
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ نَأَى عَنْهُ صَبْحُهُ
فَلَيْسَ لَهُ قَجْرٌ إِلَيْهِ يَوْوُلُ
أَمَا لِعَقُودِ النِّجْمِ فِيهِ تَصْرَمُ
أَمَا لَخَضَابِ اللَّيْلِ فِيهِ نَصُولُ
كَأَنَّ الثَّرِيَّا غِرَّةٌ وَهُوَ أَدْهَمُ
لَهُ مِنْ وَمِيضِ الشَّعْرِيَّيْنِ حُجُولُ
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وِظْلُكَ يَا مَقْرِي عَلَيَّ ظَلِيلُ

(1) الديوان، 407.

(2) الديوان، 1825/5.

وهل أريني بعدما شطت النوى ولي في ربي روض هناك مقيل
دمشق فبي شوق إليها مبرح وإن لـجّ واش أو ألحّ عذول⁽¹⁾

تنقل ابن عنين بين العراق والجزيرة، ثم دخل الهند، وسكن دباوند، وسكنه في دباوند حرّكت شوقه وحنينه إلى دمشق، التي رأى أن العودة إليها مستحيلة استحالة الإمساك بطائر العنقاء، أو نجم الخضيب، أو ركوب النسر، وهذه الاستحالة جعلته يفضل الشّام على دباوند، فيذكر بعض مناطقها، ومنها غرب الحدالي، وكوكب، وجبل سنير، وما يليه من جبال ثلجية، قائلاً: {الطويل}

أبعدَ مقامي في دباوند⁽²⁾ أتبعي دمشق لقد حاولتُ عنقاء مُعرب⁽³⁾
وما قبضتُ كفّ الخضيب⁽⁴⁾ على يدي ولاحظ فوق الطائر النسر مركبي
فيا حبّذا قومٌ هناك وحبّذا من الأرض غربيّ الحدالي⁽⁵⁾ وغرب
لئن أشرفتُ بي في الشّام ثنيةً أرى كوكباً⁽⁶⁾ من فوقها مثل كوكب
ولاح سنير⁽⁷⁾ عن يميني كأنه سنّام رعيبٌ فوق غاربٍ مُصعب
ولاحتُ جبالُ الثلج زهراً ضياءً صباح أو مفارقُ أشيب⁽⁸⁾
وقال يحنُّ إلى دمشق ويدعو إلى أماكنها بالسقيا والخصب، واصفاً منظر الثلج
ألي غطي ربا عزّتا، فبرزت عن باقي الأقطار: {الخفيف}

فسقى الله بين آبل⁽⁹⁾ والمرَّ ج ثقالاً من الغوادي السّواري

(1) ابن عنين، الديوان، 69.

(2) دباوند، بفتح أوله ويضم، وبعد الواو المفتوحة نون ساكنة، وآخره دال، ويقال ذنياوند أيضاً نون الياء، منطقة

من مناطق الري في الهند، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 497/2.

(3) عنقاء مغرب: طائر عظيم يبعد في طيرانه، ويدل المعنى على أنه أغرب في البلاد فناً، فلم يحس ولم يُر، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (غرب).

(4) الخضيب، نجم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (خضب).

(5) الحدالي: موقع بين الشّام وبادية كلب المعروفة بالسّماوة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 262/2.

(6) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل مدينة طبريا، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 561/4.

(7) سنير: جبل بين حمص وبلعبك، على رأسه قلعة سنير، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 316/3.

(8) ابن عنين الديوان، 88، 89.

(9) آبل السّوق: هي قرية كبيرة من نواحي بانياس من أعمال دمشق، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 23/3.

كلّ وطفاء تحسب الرعد فيها بعد وهن تجاوب الأطيّار
وربما عزتأوقد جادها التل سج ولاحت من سائر الأقطار (1)

ويحنّ العماد الأصبهاني إلى بغداد التي خرج منها إلى الشّام، وسكن دمشق، وبقي
ينشوق أخبارها، متمنياً أن يبشر شعره الأصدقاء بعودته، إذ يقول: {الخفيف}

فأنّا اليوم بالشّام وحيدٌ لسنا البارق العراقيّ شائمٌ
لا ودودٌ على وفائيّ مقيمٌ لا وفيّ بشرط وديّ قائمٌ
أبدأ بين همّتي وزماني في اقتراحي وفي أطراحي ملاحمٌ
عظمت همّتي، وها أنا استصم م غر في المطلب العظيم العظائم
مُبغّي قلبي المشوق ببغدا د، وجسمي نائي المحلّ بجاسمٌ
ليت شعري متى يُبشّر عني أصدقائي فيها بأنّي قادمٌ (2)

وكما حنّ العماد الأصبهاني إلى بغداد، فقد حنّ إلى مصر وتشوقها، وتمنى
القرب من أهلها الطيبين، فمصر دار النّعيم والهناء والسّرور، ويطلب منهم أن
يدلّوا قلبه الممتلئ بالأشواق الدائمة على مناطق مصر كلها، فهو فقير ببعدهم، ولا
يكون الغنى إلّا في لقائهم: قائلاً: {المتقارب}

تذكرت في جلق (3) داركم بمصر، فيا بعد ما بيننا
وما أتمنّى سوى فربكم وذلك- والله- كل المنى
لكم بالجناب وطيب المقام وحسن النّعيم بمصر الهنا
وذلّوا على الدّوح قلبي فقد عناني لأشواقكم ما عنّا
وإني فقيرٌ إلى وصلكم ومن نال ذلك نال الغنى (4)

(1) ابن عنين، الديوان، 75.

(2) العماد الأصبهاني، الديوان، 376.

(3) جلق، هي دمشق، وقيل موضع من قرى دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 179/2.

(4) العماد الأصبهاني، الديوان، 405.

2- الحنين إلى الوطن من خلال مفاضلته على غيره.

ومن مظاهر هذا الحنين وأشكاله هبات النسيم، التي توقظ مشاعر الحنين والشوق عند الشاعر الغائب عن وطنه، فيحن إلى كل جزء من وطنه الذي لا يمثاله في الحسن وطن آخر، واصفاً الروائح الطيبة التي تنتشر في أرجاء مختلفة من بلاد الشام الجميلة، التي تُنسي الإنسان همومه وأحزانه، ففضائل الشام لا تعدُّ ولا تحصى يقول العماد الأصبهاني: **{البسيط}**

أهدى النسيم لنا ريا الرياحين أم طيبَ أخلاق جيراني "بجيرون" (1)
هبت لنا نَفْحَةً في جَلْقِ سَحَرًا باحتَ بسرٍّ من الفردوس مكنون
وفاح بالعرفِ من أرجائها أَرَجُ نالَ المسرَّةَ منه كلُّ مَحزون
هبتَ تُنبِّهه أطرافِي وتبعثُها مئِي وتوجبُ للتهويمِ تهويني
وما دَرِينَا أ"داريا" (2) لنا أَرَجَتْ أم دارَ في دارنا عَطَارُ "دارين" (3)
نَسري ونرتاحُ لاستنشاءِ رائحةِ هبتَ سُحِيرًا على وَرْدٍ ونسرين
ورب همٍ فقدناه بربوتها ورب قلبِ أصبناه "بقلابين" (4)
دمشقُ عندي لا تُحصى فضائلُها عدَّا وحصرًا ويُحصى رملُ "بيرين" (5)
وما أرى بلدةً أخرى تماثلُها في الحُسن من مصرحتي مُنتهى الصَّين (6)
وفي موضع آخر يتشوق العماد الأصبهاني إلى دمشق، ويتأسف على فراقها، فيقول: **{المتقارب}**

أجيران "جيرون" مالي مُجيرُ سوى عطفكم، فاعدلوا أو فجوروا
ومالي سوى طيفكم زائرُ فلا تمنعوه إذا لم تَزوروا
وما كُنْتُ أعلمُ أنني أعيى م شُ بعد التفرُّق، إني صَبورُ!
وفتُ أدمعي، غيرَ أنَّ الكرى وقلبي، وصبري كُلُّ غَدورُ (7)

(1) جيرون: هي دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 231/2.

(2) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 491/2.

(3) دارين: منطقة في البحرين، يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها داري، ينظر: ياقوت الحموي،

معجم البلدان، 492/2.

(4) قلابين: من قرى دمشق، ذكرها ابن عساكر في تاريخه، ولم يوضح عنها، ينظر: ياقوت الحموي، معجم

البلدان، 438/4.

(5) بييرين: بالفتح ثم السكون، وكسر الراء وباء ثم نون، من أصفاغ البحرين به منبران، وهناك الرمل

الموصوف بالكثرة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 49/5.

(6) الديوان، 432/431.

(7) نفسه، 185.

وحنَّ ابن القيسراني إلى العراق ومنازلها، فهو يتذكرها كلما حل في موضع من المواضع في طريقه إلى الشام، كما في قوله: **{الطويل}**

أَقَمْتُ فَلَمْ يَقْضِ الْمَقَامُ لُبَانَةً وَسِرْتُ وَقَلْبِي عَنْكُمْ غَيْرُ "سَائِر"
أَسْأَلُ أَعْلَامَ السَّمَاءِ عَنْكُمْ فَيُخْبِرُنِي عَنْ "بُعْدِكُمْ" عَجْزُ نَاطِرِي
فَلَمَّا رَأَيْتُ الْوَجْدَ لَيْسَ بِنَافِعِي زَجَرْتُ فَوَادِي عَنْكُمْ بِالزَّوَاجِرِ (1)

وقال أيضاً، وكان قد عزم الخروج إلى بلدته المعروفة قيسارية(2) ومشتاقاً إلى معالمها وأهلها: **{مجزوء الكامل}**

عَرَّجْ بِنَا نَحْوَ النَّيَّارَةِ (3) نَقْضِي بِهَا حَقَّ الزِّيَارَةِ
وَنَشْنُ فِيهَا لِلْخَلَا عَةِ غَارَةً فِي إِثْرِ غَارَةِ
فَقُلُوبُنَا شَتَوْقًا إِلَى تِلْكَ الْمَعَالِمِ مُسْتَطَارَةِ
قَدْ حَلَّ فِيهَا الْحُسْنُ فَهْوَ سِي لَسِيلِ وَاوَدِيهِ قَرَارَةِ
لُتْهِبْكَ أَقْمَارُ تَرَى لَوْجُوهُهَا فِيهَا اسْتِنَارَةِ
وَيَشُوقُ طَرَفَكَ مَنظَرُ فَأَقْتِ مَحَاسِنُهُ الْعِبَارَةَ (4)

وحنين ابن القيسراني في أغلبه مقسوم بين هواه للعراق، التي سافر إليها، وحبه للشام التي نزع منها، وهذا ما يظهر في شعره، إذ يقول: **{الطويل}**

وَلَمَّا نَزَلْنَا بِالزَّوَاجِرِ هَاجَنِي خَيْلَانٍ مِنْهَا مُعْرَقٌ وَ"شَامِي"
قَبِيتُ وَهَذَا أَخَذَ بِشَكِيمَتِي إِلَيْهِ وَهَذَا "جَازِبٌ" بِزِمَامِي
تَجَازِبُنِي الْأَهْوَاءُ شَرْقًا وَمَعْرَبًا فَقَلْبِي "وَرَائِي" تَارَةً وَأَمَامِي
"فَهَا أَنَا" إِنْ بَغْدَادُ هَاجَتْ صَبَابَتِي بَعَثْتُ إِلَى دَارِ السَّلَامِ سَلَامِي (5)

(1) ابن القيسراني، الديوان، 241.

(2) قيسارية، بلد على ساحل الشام تعد في أعمال فلسطين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/478.

(3) النيار: المقصود بها، قيسارية. ينظر: ابن الشعار الموصلي، فلاند الجمان، 9/238.

(4) ابن القيسراني الديوان، 138.

(5) نفسه، 388.

ويحنُّ الشَّاعر إلى خصوبة أرض العراق ونخيلها، ويدعو له بالخير والسَّقيا، فيقول: {الخفيف}

يا نَخيلَ العراقِ كُنْ في أمانِ الـ لهُ مستودعاً حَيَا الأَنْواءِ
مُستقيماً على طريقِ النُّعمى⁽¹⁾ راسخاً في مَسارِحِ الأَنْدَاءِ
كاسياً من قِوادمِ السَّعَفِ العَضِّ ض "مُحلى" بَجَوْهرِ الأَقْنَاءِ⁽²⁾
فالتَّفاتيِ إليكِ بعضُ حَنيني وتثنائي عليكِ رَهْنُ اثْنائِي⁽³⁾
ويتشوق ابن السَّاعاتي إلى الشَّام من خلال حديثه عن أهلها، وتصويره جمال طبيعتها، وإطنابه في الوصف، واستحضار كل الصُّور الجميلة، ويفضلها عن غيرها من البلاد، إذ يقول: {الكامل}

أوطانُ أوطاريٍّ ودينُ صابِتي أَلأُحولُ صابِبةٌ عن دينِها
تَخْتالُ نَفْسُكَ في نَفاسَةِ أهلِها وتلُدُّ عَيْنُكَ في مَحاسِنِ عَيْنِها
هَتَفَتْ بوجَدِي والغرامُ سَواجُجُ جَأتْ عَلَي أَفْئانِها بَفنونِها
شَوْقي دَفِينٌ بالشَّامِ ونَشْوةُ الـ أشواقِ لا يُصيبُكَ مِثْلُ دَفِينِها⁽⁴⁾

ومن صور الحنين عند ابن السَّاعاتي أيضاً، تفضيله لخليج مصر التي قضى فيها مدة من حياته عن باقي أصقاع الأرض، يقول: {مجزوء الكامل}

قِفْ بِالْخَلِيجِ فَإِنَّهُ أَشْهَى بِقاعِ الأَرْضِ رَبَّعا
رَقَصَتْ لَهُ الأَغْصانُ إِذ أَثنى الحَمَامُ عَلِيه سَجَعا
مُتَعَطِّفِ كالأَيْمِ⁽⁵⁾ دُغْراً حِينِ خَيْفَ فَضاقَ دُرْعا
وَإِذا تَمَرُّ بِهِ الصَّبَا فاطربُ لِسيفِ صَارِ دِرْعا⁽⁶⁾

(1) النعمي، من أسماء ريح الجنوب، أبل الريح وأرطبها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نعم)
(2) الأَقْناء، جمع القنور، وهو العذق لما فيه من الرطب، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، والفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (قنور).

(3) ابن القيسران الديوان، 61.

(4) ابن الساعاتي، الديوان، 125/1.

(5) الأيم، الأفعى الحية البيضاء، ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة (أيم)

(6) ابن الساعاتي، الديوان، 155/1.

وعبر القاضي الفاضل عن شوقه الملتهب، وحنينه الدائم إلى الشّام وتفضيلها عن سواها، فهي تفوق غيرها في الحسن والجمال متخذاً من الرّيح التي تهب من صوبها رسولاً يبلغ سلامه وأشواقه الحارة، فيقول: {الخفيف}

لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَا يَفُوقُ سِوَى الشَّامِ
يَا رِيَّاحَ الشَّامِ، أَنْتِ رَسُولُ
وَإِذَا زُرْتِ عُتَيِّي بِنَسِيمِ
لَكَ مِنْ أَدْمَعِي مَيَّادِينُ شَوْقِ
ذَخِرْتِ مُقَاتِي كُنُوزَ دُمُوعِ
فَكَأَنَّ الْأُنْدَاءَ نَفَقَتْهُ رَاقِ
وَسَلَامٌ عَلَى اللَّيَالِي الْخَوَالِي
م، وَدَعْنِي مِنْ سَائِرِ الْأَفَاقِ
يَتَعَلَّى فِي حَاجَةِ الْعُشَّاقِ
قَامَ بَيْنَ الْحَشَا مَقَامَ الْعِنَاقِ
فَارْكُضِي فِيهِ مِثْلَ رَكْضِ الْعِنَاقِ
فَاجْهَدِي يَا هُمُومُ فِي الْإِنْفَاقِ
وَكَأَنَّ الْحَفِيفَ صَوْتُ الرَّاقِي
مِنْ مُعْنَى مِنَ اللَّيَالِي الْبَوَاقِي (1)

والانتماء الوطني رباط مقدس، يربط الفرد بالأرض، ويجعل روحه ملتصقة بها، فإن بعد وارتحل عنها، وسكن بلاد أطمأن للحياة فيها، فإنه بدون شك سيحن إلى وطنه الأم فهو عنوانه، ولا دار لمن لا وطن له (2)، كما يقول أسامة بن منقذ: {البسيط}

إِذَا بَغَى لِدِيَارِ بَادٍ سَاكِنُهَا
بَكَيْتُ أَهْلِي وَأَوْطَانِي وَأَسَاقِنِي
أَخْتَى الزَّمَانَ عَلَى قَوْمِي وَمَلِكِ أَوْ
وَلَمْ تَدْعَ لِي الْمَنِيَا مُشْتَكِي حَزَنِ
نُو وَحَدَّةِ سَاءَةٍ فِي دَارِهِ الزَّمَنِ
أَنْ لَيْسَ بَعْدَهُمْ دَارٌ وَلَا سَاكِنُ
طَانِي سِوَايَ، فَلَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ
أَبْثُهُ كَمَدِي إِنْ عَادَنِي حَزَنُ (3)
ومثل ذلك ما يظهر في شعر عرقلة الكلبى الذي حنَّ إلى الحي الجلاحي، وماء العذيب، فهو ما زال متشوقاً إليها فيقول: {الطويل}

وَقَلْبِي إِلَى الْحَيِّ الْجُلَاحِيِّ (4) لَمْ يَزَلْ
مَشُوقًا عَلَى مَاءِ الْعُذَيْبِ مُعَدِّبًا (5)

(1) القاضي الفاضل الديوان، 494/2.

(2) ينظر: سليمان، رولاناصر، شعر أسامة بن منقذ، دلالاته وخصائصه الفنية، 184، رسالة ماجستير،

جامعة دمشق، (د.ت)

(3) المنازل والديار، 78، لم أعتز على الأبيات في الديوان.

(4) الحي الجلاحي، نسبة إلى الجلاح وهم بطن من كلب، وإليهم ينتسب الشاعر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم

البلدان، 175/2.

(5) عرقلة الكلبى، الديوان، 6.

ويحُنُّ عرقلَةَ الكَلْبِي أَيْضاً إِلَى مَدِينَتِهِ دَمَشَقَ، فَيَبِيعُ بِتَحِيَّتِهِ وَسَلَامِهِ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ فِيهَا، وَيُفَضِّلُهَا عَلَى بَغْدَادَ وَأَحْيَائِهَا، وَنَهْرَ المَعْلَى، مَتَسَائِلاً هَلْ بَقِيَ أَهْلُهَا عَلَى العَهْدِ أَمْ لَا؟: {الخفيف}

فَقُرَى جَلِقَ، فَبَابُ الفَرَادِيْسِ سَ فَبَابُ البَرِيدِ (1) عَيشُ تَوَلَّى
يَمَنْ هُنَّ لِي أَحَبُّ مِنَ الكَرِّ خ (2) وَأَشْهَى مِنْ شَطِّ نَهْرٍ مُعْلَى (3)
أُتْرَى النَّازِلُونَ أَكْثَفَ جَيُّرٍ ن عَلَى عَهْدِنَا، مُقِيمُونَ أَمْ لَا (4)

ويصور ابن جبير (5) إحساسه الشَّدِيدَ بالغربة والحنين إلى وطنه، فيرى أن مجده وعزه ببقائه في وطنه وبين أهله، فالغربة ذل ومهانة وضياع، فقد قيل " حين دخول ابن جبير بغداد اقتطع غصناً نضيراً من أحد بساتينها فذوى في يده" (6) فقال: {مجزوء الرجز}

لَا تَعْتَرِبْ عَنِّ وَطَنٍ وَانكُرْ تَصَارِيْفَ التَّوَى
أَمَا تُرَى العُصْنَ إِذَا مَا فَارَقَ الأَصْلَ دَوَى (7)

والبعد عن الوطن يجعل الشَّاعر يعيش حالة من الحزن والألم والحسرة على فراقه لوطنه، يقول ابن النَّجَّار (8): {البسيط}

وَقَائِلٌ قَالَ يَوْمَ العِيدِ لِي وَرَأَى تَمَلِّمِي وَدَمُوعَ العَيْنِ تَنْهَمِرُ
مَالِي أَرَاكَ حَزِيناً بَاكِياً أَسْفَا كَأَنَّ قَلْبُكَ فِيهِ النَّارُ تَسْتَعْرُ
فَقُلْتُ: إِنِّي بَعِيدُ الدَّارِ عَنِّ وَطَنِي مُمَلِّقُ الكَفِّ والأَحْبَابِ قَدْ هَجَرُوا (9)

- (1) باب الفراديس، وباب البريد: بابان من أبواب دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 364/1.
- (2) الكرخ، حي كبير من أحياء بغداد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 507/4.
- (3) نهر المعلى، نهر بالعراق، يدخل بين بابين، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 374/5.
- (4) عرقله الكلبى، الديوان، 73.
- (5) ابن جبير، هو محمد بن أحمد بن جبير، سعيد بن جبير بن محمد بن عيد السلام الكنانى، ولد سنة 539هـ، وتوفي بالإسكندرية سنة 614هـ، ينظر: المقري، بنفح الطيب، 142/2.
- (6) المقري، نفح الطيب، 382/2.
- (7) ابن جبير، الديوان، 30.
- (8) ابن النجار: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن الحافظ الكبير بن النجار البغدادي، ولد في ذي القعدة، سنة 578هـ. وتوفي سنة، 643هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 11/5.
- (9) الصفدي، الوافي بالوفيات، 11/5..

ولا يملكُ الحِصصَ بيبص⁽¹⁾، إلا أن يذرفَ الدَّموعَ شوقاً وحنيناً إلى العراق التي فارقتها، فينتابه شعور بالألم والحسرة فيقول: **{السريع}**

يَبْكِي الْعِرَاقَ الدَّمُّ مِنْ فُرْقَتِي وَلَيْسَ لِي مِنْ غَمْرِكُمْ بَشْرُ
وَلَمْ تَزَلِ الْأَمَالَ غُرَّارَةً يُشْقِي بِهَا الْحَازِمُ الْعُمْرُ
كُلُّ بَعِيدٍ ذَائِعٌ صِيئِهِ كَدَّبَ فَرَطَ الْخَبَرِ الْخُبْرُ⁽²⁾
ويحُنُّ ابن الفقيه⁽³⁾ إلى أرض العراق ويشتاقُ إليها، فالتَّسِيمُ العليل يزيد من غرامه ، فيقول: **{الكامل}**

مَا هَبَّ مِنْ أَرْضِ الْعِرَاقِ نَسِيمٌ إِلَّا دَعَانِي لِلْغَرَامِ غَرِيمٌ⁽⁴⁾

ويتشوق ابن المنجم⁽⁵⁾ إلى حلب ويحُنُّ إليها، فيرسل من مصر تحياته، داعياً لها بالسِّقْيَا والخير، قائلاً: **{السريع}**

يَا حَلْبًا حَيَّتِ مِنْ مِصْرٍ وَجَادَ مَعْنَاكَ حَيَا الْقَطْرِ
أَصْبَحْتُ فِي جِلْقِ حَيْرَانَ مِنْ وَجَدِي إِلَى مَرْبِعِكَ النَّضْرِ
وَالْعَيْنُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى الْعَيْنِ وَالـ فَيُضْ غَدَتَ نَابِعَةَ تَجْرِي⁽⁶⁾
وقال ابن أبي الفضل المصري⁽⁷⁾، وهو بالشَّام شعراً يتشوقُ فيه إلى مصر، فلم ينسها وإن رحل إلى الشَّام فقد بقيت في البال: **{البسيط}**

يَا مُنِيَةَ الْقَلْبِ لَوْلَا أَنْ يُقَالَ سَلَا لَقُلْتُ: مَا كُنْتُ أَعْصِي الْقَلْبَ لَوْلَاكَ
رَمَيْتَ مِنْ مِصْرَ قَلْبًا بِالشَّامِ فَمَا أَسْرَاكَ سَهْمًا إِلَى أَحْشَاءِ أَسْرَاكَ⁽⁸⁾

(1) الحِصصَ بيبص: سعد بن محمد بن سعد بن الصفي التميمي، شاعر مشهور، من أهل بغداد كان يلقب بأبي الفوارس، توفي سنة 574هـ، ببغداد. ينظر: ابن خلكان، وفيان الأعيان، 1/ 202.

(2) الحِصصَ بيبص، الديوان، 200/1.

(3) ابن الفقيه: عبد الواحد بن إبراهيم بن الحسن بن نصر الله بن عبد الواحد بن أحمد بن الحسين بن الحسين، أبو المنصور المعروف ابن الفقيه الموصل، ولد في الموصل، سنة 561هـ، وتوفي سنة 636هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 19/ 247.

(4) الصفدي، الوافي بالوفيات، 9/ 249.

(5) ابن المنجم: محمد بن إبراهيم بن الخضر، أبو النصر بن البرهان المنجم أصله من طبرية، ولد في حلب وله شعر، ينظر: ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 6/ 222.

(6) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 6/ 223.

(7) أبو الفضل المصري: هبة الله بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد رزين القاضي السعيد، أبو القاسم بن أبي الفضل وكان جده يلقب بسناء الملك، ولد سنة 545هـ، وكانت وفاته يوم الأربعاء، الرابع من رمضان سنة 608، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 5/ 129.

(8) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 9/ 129.

ويحسُّ ابن البطريق⁽¹⁾ إلى بغداد التي أبعدها، وبقيت في وجدانه، حنيناً مملوءاً بالحسرة والألم على فراقها، فهو لا يملك إلا الشوق الملتهب، والنزوع الدائم إلى بغداد، إذ يقول: { البسيط }

الشَّمَامُ دَارِي وَالْأَشْجَانُ بَغْدَادُ فِي سِرِّ وَجْدِي فِي الْأَحْيَانِ إِعْلَانُ
وَكُلُّ يَوْمٍ يُوَافِي مُؤَذِّنُ بَنَوِي كَأَتَمَّا هَذِهِ الْأَيَّامُ غَرْبَانُ
يَا صَاحِبِي قَفَا تَمَّ اسْمَعَا خَبْرًا مِنْ مُسْتَهَامٍ لَهُ عِنْدَ الْحَمِي شَانُ
يَهْزُهُ الشُّوقُ وَالتَّذْكَارُ يُطْرِبُهُ كَأَنَّهُ مِنْ مُدَامِ الْوَجْدِ نَشْوَانُ⁽²⁾

ويتلهف ابن الهبارية⁽³⁾ على بغداد فهي دار الهوى والعشق والحب، وموطن النساء الجميلات، فالحُسن يحيط كل مكان فيها، يقول: { السريخ }

لَهْفِي عَلَى بَغْدَادَ دَارِ الْهُوَى فَاإِنِّي مِنْ حَبَّهَا مَا أَفِيْقُ
وَكُلُّ وَجْهِ مِثْلِ شَمْسِ الضُّحَى فَوْقَ قَوَامٍ مِثْلِ عُصْنِ رَشِيْقُ
مَا شِئْتُ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ مَنْظَرٍ زَاهٍ وَمِنْ حُسْنٍ وَطَيْبٍ وَضِيْقٍ⁽⁴⁾

ويحسُّ ابن الكتاني⁽⁵⁾ إلى بلده العراق ومدنها، ولاسيما إلى مدينة الزوراء، التي فارقها، تاركاً فيها الأهل والأحبة، فيقول: { مجزوء الرمل }

صَاحَ بِالزُّورَاءِ عُجْ بِئِي زَادَ بِالزُّورَاءِ عُجْبِي
وَأَسْأَلُ الدَّارَ عَنِ الْغِي دِ لَعَلَّ الدَّارَ تُنْبِي
وَإِذَا مَاعَنَّ سِرُّ رَبِّ مِنْ نَوَاحِيهَا فَسِرُّ بِي
أَوْ رَأَتْ عَيْنُكَ صَاحِبِي فَعَلَى حَالِكَ صِيْحُ بِي⁽⁶⁾

(1) ابن البطريق: علي بن يحيى بن الحسن بن الحسين علي بن محمد، المعروف ابن البطريق الحلبي الأصل، توفي سنة 641هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 309/22.

(2) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 357/4.

(3) ابن الهبارية: هو محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيس بن محمد بن عبد الله العباسي الحنيفة، ابن الهبارية، ولد سنة 414هـ، وتوفي سنة 509هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 77/4.

(4) ابن الهبارية، الديوان، 160.

(5) ابن الكتاني: يوسف بن سليمان بن صالح بن رهيح بن صالح، أبو يعقوب المضري المعروف بابن الكتاني، يبرز بالبغل، وكانت ولد بمدينة السلام سنة 536هـ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 214/10.

(6) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 217/10.

3- الحنين إلى الوطن وطبيعته الجميلة.

ومن مظاهر الحنين إلى الوطن، الحنين إلى الطبيعة، فقد مزج بعض الشعراء بين الحنين إلى البلاد وطبيعتها، فلم يعد يرى وهو خارج الوطن إلا الصّور الجميلة الزّاهية للوطن ، ففتيان الشّاعوري يحن إلى دمشق، التي حرّمته النّوم لبعده عنها، وما فيها من أماكن مختلفة، ويرسل بسلامه إلى ضواحي دمشق التي كانت مكان تنزّهه، ومرتع صباه، حيث الهواء العليل، والماء العذب، إذ يقول:

{الطويل}

ألا هل إلى باب البريد سبيل فأئلي بزوراء العراق طويل
مّتى تلتقي أجفان عيني والكري وهل يتلاقى بكرة وأصيل
سلام على أكناف جلق إنها لأوطار قلبي مسرّح ومّقبل
ربوع الهوى أمّا الهواء فشمال بهنّ وأما الماء فهو شمول⁽¹⁾

ويمزج ظافر الحداد⁽²⁾ بين حنينه إلى الإسكندرية ووصفه لها ،حيث يهيم خياله في مسارح الشّباب والصّبا، وتبدو له على البعد ساحرة جميلة، فيقف عند كل مكان ارتبط معه بذكرى، ويصور كل موضع كان له فيه مع أحبائه وأصدقائه، أو مجلس من مجالس الأّنس، أو قصة من قصص اللّهُو، وهذا يوحي بأن الإسكندرية تعيش في وجدان ظافر بكل معالمها التي لم يزلها البعد إلا فتنة وجمالاً⁽³⁾، يقول: {الطويل}

لألقى من الإسكندرية نشوة أغضُّ بها ما بين جنبي من وقد
وأودع هبات الجنوب تضحيتي فهل بلغنكم ما أقول على البعد؟
سقى الله أيامي بها العرّ وإبلاً كدّمني على ما فات من عيشها الرّعد
فكم لي بها من زورة جدّدت رضاء بديها على غير انتظار ولا وعد
وفي جانبي ذاك الخليج مرابع سحبت بها ذيل الصّبا والصّبا بُردي⁽⁴⁾

(1) فتیان الشاعوري، الديوان، 334، 335.

(2) ظافر الحداد: ظافر بن القاسم بن منصور الجذامي، أبو نصر الحداد شاعر من أهل الإسكندرية، كان حدادا

له "ديوان"، توفي بمصر، سنة 529هـ، ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 10/ 376.

(3) أمين فوزي، محمد، الحركة الفكرية والأدبية في الإسكندرية في القرن السادس هجري، 347.

(4) ظافر الحداد، الديوان، 98.

ويرسل ظافر الحداد سلاماً إلى مدينته الإسكندرية، واصفاً جمال طبيعتها التي غمرتها الأمطار، متذكراً زمانه فيها، حيث العيش الرغيد الممزوج بالسرور والهناء، فيقول: **{الطويل}**

عَلَى الْجَانِبِ الْإِسْكَانِيِّ سَلَامٌ يُكْرِرُهُ مِنِّي عَلَيْهِ دَوَامٌ
سَلَامٌ يُنَاجِي ذَلِكَ الثَّغْرِ مُضْحِكاً رُبَاهُ بِنُورٍ قَدْ بَكَاهُ غَمَامٌ
ذَكَرْتُ زَمَانِي فِيهِ وَالْعَيْشُ أَخْضَرُ وَإِنَا طِفْلٌ وَالزَّمَانُ غُلَامٌ⁽¹⁾
وكرر الشعراء في حنينهم لمواطنهم فكرة تصوير الوطن بالجنة، فابن مطروح يصور حلب بجنة الخلد، لما فيها من بهجة وروعة، يقول: **{الطويل}**

عَلَى حَلَبِ الْغُرَاءِ مِنِّي تَحِيَّةٌ لَهَا أَرْجُ كَالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ الْوَرْدِي
وَمَا هِيَ إِلَّا جَنَّةُ الْخُلْدِ بِهَجَّةٍ وَلَا عَجَبٌ شَوْقِي إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ⁽²⁾
ويرى أسامة بن منقذ في مصر جنة الخلد، لما تحويه من المذاذات والنعم والخيرات، يقول: **{البيسيط}**

هَبْ أَنْ مِصْرَ جِنَانِ الْخُلْدِ: مَا اشْتَهتِ الدُّ ففوسٌ فيها من اللذات مَوجودٌ⁽³⁾
وكان العماد الأصبهاني شديد الوفاء لدمشق يتشوق إليها، ويحن حنين الفاقذ، الذي ينتابه مشاعر الحزن والألم، ولوعة الحنين إلى الوطن، ذلك الوطن الذي يمثل في نظره جنة الله على الأرض، بما فيه من طبيعة خلابة، وميادين واسعة، وأنهار متدفقة بمياهها العذبة، يقول: **{المتقارب}**

وَمَا جَنَّةُ الْخُلْدِ إِلَّا دِمَشْقٌ وَفِي الْقَلْبِ شَوْقاً إِلَيْهَا سَاعِيرٌ
مِيَادِينُهَا الْخُضْرُ فَيُحِ الرِّحَابِ وَسَأَلَهَا الْعَذْبُ صَافٍ نَمِيرٌ⁽⁴⁾
ويتشوق ابن الساعاتي إلى دمشق وما فيها من أماكن معروفة، ويصفها بالجنة بما تحويه من مظاهر الطبيعة الخلابة، قائلاً: **{الرجز}**

وَاطْرَبَا إِلَى دِمَشْقٍ وَإِلَى جَيْرُونِهَا شَوْقاً إِلَى جَيْرَانِهَا
وَالشَّرْقَيْنِ وَالْمُصَلَى⁽⁵⁾ وَدُرَى رَبُّوتِهَا وَالْوَهْدِ مِنْ مِيَادِنِهَا

(1) ظافر الحداد، الديوان، 273.

(2) ابن مطروح، الديوان، 50.

(3) أسامة بن منقذ، الديوان، 65.

(4) العماد الأصبهاني، الديوان، 187، 188.

(5) الشرفين والمصلى، أماكن معروفة في دمشق، ينظر: ابن الساعاتي، الديوان، حاشية المحقق، 134/2.

دارٌ هِيَ الْجَنَّةُ خَابَ عَاذِلٌ فِي حُورِهَا الْعَيْنُ وَفِي وِلْدَانِهَا(1)
4- الحنين إلى الوطن وأنهاره ومياهه.

ومن شعر الحنين إلى الوطن، ورد ذكر الحنين إلى الأنهار، فقد عمق الشعراء إحساسهم بالحنين إلى بلادهم وطبيعتها، بتشوقهم إلى أنهارها ومنتزهاتها ليظهروا محاسنها وجمالها، ويفضلونها على غيرها من البلاد، وإن كان ذكر الأنهار قليلاً عند شعراء العصرين الزنكي والأيوبي فقد ورد في شعر العماد الأصبهاني حنين إلى ثلاثة أنهار من أنهار دمشق في قصيدة نظمها في مدح صلاح الدين الأيوبي، يتشوق فيها إلى دمشق ويتأسف على فرقتها، فالدهر متقلب لا يبقي شيئاً على حاله إذ يقول: {المتقارب}

يَزِيدُ اشْتِيَاقِي وَيَنْمُو كَمَا "يَزِيدُ"(2) يَزِيدُ وَ "ثُوراً" يَثُورُ(3)
وَمَنْ "بَرْدَى"(4) بَرْدُ قَلْبِي الْمَشُوقُ فَهَذَا مِنْ حَرِّهِ مُسْتَجِيرُ(5)

ويعمق ابن الخياط إحساسه بالحنين إلى بلاده وطبيعتها، بتشوقه إلى نهر ثورا، فقد فَقَدَ الصَّبْرَ وَالإنتظار، لذلك لن يستطيع التوقف عن البكاء لشدة شوقه وحنينه، يقول: {الطويل}

جَرَى النَّهْرُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى ماحِلِ الثَّرَى وَأَجْرِيَتْ دَمْعاً شَاقَهُ الْمَنْزِلُ الْفَقْرُ
فِي نَهْرِ ثُورَا قَدْ أَثَرَتْ مِنَ الْهَوَى دَفِيناً أَجْنَثُهُ الْجَوَانِحُ وَالصِّدْرُ
قَلْو كَانِ بِي صَبْرٌ كَفَفْتُ مَدَامَعِي وَلَكِنْ مِنْ يَشْتِاقُ لَيْسَ صَبُورُ(6)

ويتشوق الأبيوردي إلى نهر الصّراة في بغداد، حتى أن إبله تحنُّ إلى الشّرب من ماء النهر، ويتمنى أن يرى نفسه مسروراً ببياته وقيلولته بها، فيقول: {الطويل}

(1) ابن الساعاتي، الديوان، 134/2.

(2) يزيد: نهر بدمشق ينسب إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان يجيء لحف جبل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 499/2.

(3) ثورا: اسم نهر عظيم في دمشق، وقد وصف في بردى، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 100/2.

(4) بردى أعظم أنهر دمشق، مخرجه قرية كورة الزبداني، على خمسة فراسخ من دمشق، مما يلي بعلبك، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 450/1.

(5) العماد الأصبهاني، الديوان، 185، 186.

(6) ابن الخياط، الديوان، 283.

تَحَنُّ إِلَى مَاءِ الصَّرَاةِ⁽¹⁾ أَرْكَائِبِي وَصَحْبِي بِشَطِّي زَرَنرُودَ⁽²⁾ حُلُولُ
أَشْوَاقًا وَأَجَوازُ المَهِمَةِ بَيْنَنَا يَطِيحُ وَجِيفٌ⁽³⁾ دُونَهَا وَدَمِيلٌ⁽⁴⁾
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي بِغِبْطَةٍ أَيْبَتٌ عَلَيَّ أَرْجَائِهَا وَأَقِيلٌ⁽⁵⁾

ويعظم الزبير بن المهذب نهر النيل، ويفضل ماءه على ماء غيره، حتى ولو كان هذا الماء، هو الماء المقدس (ماء زمزم) الذي تفجر تحت أقدام إسماعيل عليه السلام: {الطويل}

وَمَالِي إِلَى مَاءِ سِوَى النَّيْلِ غُلَّةٌ وَلَوْ أَنَّهُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ زَمَزَمٌ⁽⁶⁾

وكتب ابن نوبي الأنباري⁽⁷⁾، متشوقاً إلى نهر "معلى" معبراً عما يختلج صدره من حنين صادق ممزوج بالحزن وألم لنهر المعلى، وحي الكرخ، وإن نسي الآخرون، فهو باق على العهد لهذا المكان ، فقد تعلق سرور الشاعر به تعلقاً دائماً لا يفارقه، كمن تعلق بزوجة يحبها فلا يطلقها أبداً، يقول: {الخفيف}

لِي بِالكَرْخِ دُونَ نَهْرِ مُعْلَى شَجَنٌ لَا يَحُولُ عَنِ مِيثَاقِ
كَلَّمَا أَخْلَفَ الزَّمَانَ هَوَاهُ جَدَدَتْهُ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
وَإِذَا مَا سَلَاهُ غَيْرِي فَعِنْدِي حُسْنُ عَهْدِ الْحَنِينِ وَالْأَشْوَاقِ

(1) زرنرود: نهر مشهور عند أصبهان عليه قرى ومزارع، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/173.

(2) نهر الصرارة: نهر ببغداد يأخذ من نهر عيسى ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/453

(3) الوجيف: نوع من السَّيْرِ السَّرِيعِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وجف)

(4) الدَّمِيلُ: نوع من السَّيْرِ السَّرِيعِ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذمل).

(5) الأبيوردي، الديوان، 569/1.

(6) الزبير بن المهذب، الديوان، 217.

(7) ابن نوبي الأنباري: هبة الله بن محمد بن أحمد بن علي بن نوبي، أبو علي الأنباري، الكاتب، المعروف بالقاضي الموفق، كان كاتباً جليلاً أديباً فاضلاً، توفي سنة 553هـ، ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، 322/27.

مَنْزَلٌ فِيهِ لِلسَّرُورِ مَعَ النَّفْسِ — س نكاحُ المُنَى بِغَيْرِ طَلَاقٍ (1)

5- الحنين إلى نجد.

تحتل نجد مكانة كبيرة في الشعر العربي في مختلف العصور، فقد تغنى بها الشعراء وحنوا إليها، وذكروا مراتبها، سواء من عاش بنجد أم من كان بعيداً عنها، فقد ظلت نجد ملهمة للشعراء يتغنون بها وصارت رمزاً للشوق والحنين إلى الأرض والوطن (2).

" ما أحب الشعراء نجداً إلا أنها ترمز للأصالة العربية والفروسية والنقاء اللغوي بالإضافة إلى جمال الطبيعة وجمال أهلها وطيبتهم ونقاء أصولهم وأعرافهم" (3).

ومن شعراء العصرين الزنكي والأيوبي الذين حنوا إلى نجد، الأبيوردي والطغرائي.

ولع الأبيوردي بنجد وتغنى بربوعها، واشتاق إلى حماها وأهلها، فقد قسم ديوانه إلى أقسام منها: العراقيات، والنجديات، والوجديات، وجاءت النجديات في القسم الثاني من الديوان، وقيل: إنه زار نجداً ومكث فيها، وتعلق بامرأة نجدية وصار يذكرها في شعره وأحب لأجلها نجداً وأهلها (4).

يشتاق الأبيوردي إلى نجد، فيحن إلى رباها وحماها، ونبتها طيب الرائحة، يقول:

{ الطويل }

خَلِيلِي إِنَّ الحُبَّ مَا تَعْرِفَانَهُ فَلَا تُنْكِرَا أَنَّ الحَنِينَ مِنَ الوَجْدِ
أَجْنُ وَلِلأنْضَاءِ بِالغُورِ حِنَّةً إِذَا نَكَرْتَ أوطَانَهَا بِرُبَا نَجْدِ
وَتَصْبُو إِلَى رَدِّ الحِمَى وَعَرَارِهِ وَمَنْ أَيْنَ تَدْرِي مَا العَرَارُ مِنَ الرَّدِّ
وَمَا شَجَانِي أَنْ لَيْلِي تَعَيَّظْتُ فَقَالَتْ سِرَاراً وَالْمَطِيُّ بِنَا تَخْدي (5)

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، 323 / 27.

(2) ينظر: الجبوري، يحيى، الغربية والحنين في الشعر العربي، 173.

(3) نفسه، 192.

(4) نفسه، 173.

(5) الأبيوردي، الديوان، 219/2، 220.

ويتذكر الأبيوردي ديار نجد ومن يحب من أهلها، ويقسم بالبيت الحرام في سياق الغزل (1) في قصيدة نونية، يقول فيها: {الطويل}،

ألياننا بالحزن عُودي فإني أطامنُ أحشائي على لوعة الحزن
وأذري به دمعاً يُروِّي غليله فلم يتحمل بعده مئة المزن
وأقسمُ بالبيتِ الرَّحيبِ فناؤه وبالجر الماثوم والجر الركن
لأنتِ إلى نفسي أحبُّ من الغنى وذكركِ أخلى في فؤادي من الأمن (2)

ومن ثم ينتقل إلى ذكر نجد قائلاً: {الطويل}

فقالوا من السَّاري وقد بلَّه الندى فقلتُ ابنُ أرضِ ضلَّ في ليلة الدَّجن
لَهُ حاجةٌ بالغورِ والدارُ بالحِمى وتجدُّ هواهُ وهي تعرفُ ما أعني (3)

ويتشوق الأبيوردي إلى نجد ويحن إليها، فيبكي صباية ووجداً، إذ يقول: {الطويل}

ألامُ على نجدٍ وأبكي صبايةً رويدكُ يا دَمعي ويا عاذلي رفقا
فلي بالحِمى مَنْ لا أطيقُ فراقه به يسعدُ الواشي ولكنني أشقى (4)

ويصرح الأبيوردي بحنينه وشوقه إلى أرض نجد، التي رحل عنها متمنياً عودته إليها، ولقاء أهله الذين يفتقدهم، يقول: {البيسيط}

أصبو إلى أرضِ نجدٍ وهي نازحةٌ والقلبُ مُشتملٌ مني على الحزن
وأسألُ الركبَ عنها والدموعُ دمٌ بناظرٌ لم يخطِ جفناً على وسن
وإن سرى البرقُ من تلقائها غرّضتُ عيسى بذي سلمٍ من مبركٍ خشين
والريحُ إن نَسَمَتْ علويةً نَضحتُ بالدمعِ حنةً علويٍّ إلى الوطن

(1) ينظر: الجبوري، يحيى، الغربة والحنين في الشعر العربي، 186.

(2) الأبيوردي، الديوان، 219/2، 220.

(3) نفسه، 220/2.

(4) نفسه، 227/2.

فَهَلْ سَبِيلٌ إِلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ يَهْزُ مِنْ أَلْفِ الْمَصْرِينَ (1) لِلظَّعْنِ (2)

ويطلبُ الأبيوردي من صاحبيه أن يقفا في أرض نجد، ليسلما عليها، وعلى أهلها،
فقد اشتاق إلى نجد وحن لأهلها، وبكى وجداً وشوقاً: {المجتث}

قَفَا بِنَجْدٍ نُسَلَّمَ عَلَى دِيَارِ سُعَادِ
فَلِي دُمُوعٌ نُرَوَّى بِهَا الطَّلُوءُ الصَّوَادِي
وَالنَّاحِيَاتُ إِلَيْهَا يَخْدَنَ مَيْلَ الْهَوَادِي
لَهَا مِنَ الشَّقِّ هَادٍ وَمِنْ زَفِيرِي حَادٍ (3)

وما يكاد النسيم أن يهب من صوب نجد حتى يوقظ ذكريات الشاعر الماضية
لأرض نجد ومrabعها، وهذا يثير أشجان الشاعر وأشواقه، فيقول حاناً: {البيسط}

وَسَرْحَةَ بَرِّبَا نَجْدٍ مُهَدَّلَةٍ أَغْصَانُهَا فِي غَدِيرِ ظَلٍّ يُرْوِيهَا
إِذَا الصَّبَا نَسَمَتْ وَالْمُزْنَ يَهْضِبُهَا مَشَى النَّسِيمُ عَلَى أَيْنٍ يُنَاجِيهَا (4)

ويطلب الأبيوردي من صاحبه أن يبكي شوقاً وألماً على نجد وساكنيها فهي
الوطن المفقود الذي ينزع إليه الشاعر ويحن، يقول: {البيسط}

هَلُمَّ تَبْكِي عَلَى نَجْدٍ وَسَاكِنِهِ قَلَنْ تَرَى بَعْدَ نَجْدٍ عَيْشَةَ رَغْدَا
وَدَعْ هُدَيْمًا فَقَدْ طَافَ السُّلُوبُ بِهِ وَعَنْ قَرِيبٍ تَرَاهُ يَلْتَوِي كَمَدَا
وَيَا هَدَيْمُ أَلَا تَبْكِي عَلَى وَطَنِ يُذِيبُ مِنْ أَدْمَعِي ذِكْرَاهُ مَا جَمَدَا (5)

(1) المصربين، الكوفة والبصرة، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (مصر).

(2) الأبيوردي، الديوان، 237/2، 236.

(3) نفسه، 288 / 2.

(4) نفسه، 288 / 2.

(5) نفسه، 291 / 2، 292.

ويتساءل الأبيوردي عن رحيل الأهل والأحبة، من أرض نجد فهم حماتها، وبرحيلهم تركوا ألماً وحنناً في قلبه، فيقول متشوقاً إلى نجد وأهلها:
{الكامل}

يَا نَجْدُ مَا لِأَحِبَّتِي شَطُّوا لَمْ يَحْمِ أَرْضَكَ مِثْلَهُمْ قَطُّ
ظَعْنُوا فَمَالِكَ لَا تُفَارِقُهُمْ يَا قَلْبُ إِنْ رَحَلُوا وَإِنْ حَطُّوا
وَكَانَ عَيْسَهُمْ عَلَى حَدَقٍ تُذْمَى الْجُفُونَ دُمُوعَهَا تَخْطُو (1)

تظهر المقطعات الشعرية السابقة التي قيلت في الحنين إلى نجد وديارها مدى تعلق الأبيوردي وحبه وحنينه إلى نجد .

وحنّ الطغرائي (2)، إلى نجد، وإلى أيامها، فقد فارقتها قسراً لا بإرادته، قائلاً:
{الوافر}

تَعَزُّ أَخَا الْعُرَيْبِ فَمَا "بِنَجْدٍ" لَنَا أُخْرَى اللَّيَالِي مِنْ قَرَارٍ
وَمَا فَارَقْتَهُمْ طَوْعاً وَلَكِنْ قَضَاءٌ مَا مَلَكَتْ لَهُ اخْتِيَارِي
هُمُومٌ قَدْ مَنِيَتْ بِهَا طِوَالٌ لِأَيَّامٍ مَضَيْنَ بِهِ قِصَارٍ (3)

ويحنّ الطغرائي إلى نجد، ومواضعها وقاطنيها، متغزلاً بالغيد الحسان، فيقول:
{الطويل}

أَيَا حَادِي الْأَظْعَانِ غَرَّدَ فَقَدْ بَدَا لَنَا "حَصِينٌ" وَاسْتَقْبَلْنَا صَبَا "نَجْدٍ"
وَبَشَّرْنَا وَعَدُّ مِنَ الْمُزْنِ صَادِقٌ بِوَاوِصٍ مِنَ الْحَوْدَانِ وَالنَّقْلِ الْجَعْدِ
فَإِنَّ بِذَاكَ الْجَوْ فَاتِنَةَ اللَّمَى أَسِيلَةَ مَجْرَى الدَّمَعِ وَاضِحَةَ الْخَدِّ
إِذَا مَا الْمَدَارِي خُضْنَ سُودَ لِمَامِهَا خَاطِنَ قُنَاتِ الْمِسْكِ بِالْعَنْبَرِ الْوَرْدِ (4)

(1) الأبيوردي، الديوان، 231/2.

(2) الطغرائي: الحسين بن علي بن محمد عبد الصمد، أبو إسماعيل مؤيد الدين، الأصبهاني، الطغرائي شاعر من الوزراء والكتاب، وكان ينعى بالأستاذ، ولد بأصبهان سنة 455هـ كانت وفاته 513هـ ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات 159/1.

(3) الطغرائي، الديوان، 168.

(4) نفسه، 138، 139.

ويذكر البرق الشاعر بنجد ومن بها، فيشتاق إليها ويتحدث عن ذكرياته في نجد
ومن حل نجداً (1) إذ يقول: {الطويل}

أرقتُ لبرقٍ لاحٍ عني وميضُهُ وإنسانٌ عيني في صرى الدَّمعِ سَابِحٌ (2)
ويحُنُّ الطُّغْرَائِيَّ إِلَى نَجْدٍ، فيصف طبيعتها، ومحاسن أرضها، وبطولة
رجالها (3)، المتمثلة بالسيوف الحادة، والرمّاح المصوبة تجاه الأعداء، متحدثاً عن
كرم الرجال، وبخل النساء الجميلات وتمنعهنّ على المحبوب، يقول: {الكامل}

يا حَبَّذا "نَجْدٌ" وَأَعْرَاقُ الثُّرَى لَدُنْ وَأَنْفَاسُ النَّسِيمِ رَقَاقُ
فَهَوَاؤُهُ خِصْرُ النَّسِيمِ وَثُرْبُهُ حَالِي الْأَدِيمِ وَمَاؤُهُ رَقَرَاقُ
بِساكنيه إن استقرَّ بنا النَّوى تُشَقِّى النَّفُوسَ وَتُمْسِكُ الْأَرْمَاقُ
والحيُّ "بالجرعاء" بين بُيوتِهِمْ أَسَدٌ وَعَيْنٌ جَاذِرٌ وَعِئَاقُ
والبيضُ أمثالُ، الخُدودِ صَقِيلَةٌ وَالسُّمْرُ أَشْبَاهُ الْفُدودِ رَشَاقُ
والجُودُ والإقدامُ في فِتْيَانِهِمْ وَالْبُخْلُ فِي الْفَتِيَّاتِ وَالإشْفَاقُ (4)

"ويتذكر أيامه في نجد حين شد الرِّحال ووصل أرض الأحبة وتنسم نسائم البادية
وما فيها من أريج نباتها وعليل هوائها، ويفوح العطر حين ترعد السماء وينزل
القطر، فحبذا العيش هناك فتلك جنته بين أحبائه الذين يحن إليهم أبداً" (5) إذ يقول:
{الطويل}

ألا حَبَّذا شَدُّ الرِّكَايِبِ ضَحْوَةٌ وَالظِّلُّ فِي أَحْفَافِهِنَّ مَقِيلٌ
وَمُدَّةُ ظِلِّ بَيْنِ عُصْنِي أَرَاكَةٍ وَقَد كَادَ مِيزَانُ النَّهَارِ يَمِيلُ
ومن شَيْحٍ "نَجْدٍ" نَفْحَةٌ سَحْرِيَّةٌ تَسَاهَمَ فِيهَا شَمْلٌ وَقَبُولُ
وَمَرْتَجَزٍ بِالرَّعْدِ يَرِضِعُ دُرَّهُ نَبَاتَ رِيَاضٍ مَسَّهِنَّ دَبُولُ (6)
وهكذا، فقد حظيت نجد بنصيب وافر من شعر الطُّغْرَائِيَّ، التي حن إليها وإلى
مواضعها المختلفة وأهلها.

(1) ينظر: الجبوري، يحيى الحنين والغربة في الشعر العربي، 196.

(2) الطُّغْرَائِيَّ، الديوان، 108 / 1.

(3) ينظر: الجبوري، يحيى الحنين والغربة في الشعر العربي، 196،

(4) الطُّغْرَائِيَّ، الديوان، 261.

(5) ينظر: الجبوري، يحيى الحنين والغربة في الشعر العربي، 196، 197.

(6) الطُّغْرَائِيَّ، الديوان، 280.

أساليب الحنين إلى الوطن.

أ- الدعاء بالسقيار للديار.

اتبع الشعراء الزنكيون والأيوبيون أساليب القدماء في التعبير عن حنينهم وأشواقهم لمواطنهم، ومن هذه الأساليب، الدعاء بالسقياء، الذي ورد في بعض قصائد هذه الفترة، على نحو ما يظهر في قول الطغرائي، من قصيدة يتشوق فيها إلى أصبهان ويتمنى لها الثماء والخير، فهو يحن إلى نسيمها الرقيق، وتراها اللدي، ومائها العذب، طالباً من الله عزّ وجلّ أن يعود إلى بلاده، وأن يحسن خاتمته، إذ يقول: {الطويل}

سَقَى اللهُ جِيًّا (1) مَا أَرَقَّ نَسِيمَهَا
وَأَنْدَى تَرَاهَا وَالغَوَادِي شَحِيحَةٌ
وَأَطِيبَ مَغْنَاهَا وَأَعَذَبَ مَاءَهَا
وَأَبْهَى رَبَاعَا وَسَطَهَا وَمَنَازِلَا
عَسَى اللهُ يَقْضِي أَوْبَةً بَعْدَ غَيْبَةٍ
إِذَا الظِّلُّ مِنْ لَفْحِ الهَوَاجِرِ ذَابَا
بِصُوبِ حَيَاهَا أَنْ تُبَلَّ تَرَابَا
وَأَفِيحَهَا لِلطَّارِقِينَ رَحَابَا
وَأَزْكَى صُحُونَا حَوْلَهَا وَهَضَابَا
وَيَخْتَمُ بِالْحُسْنَى وَيَفْتَحُ بِأَبَا (2)

وقال الكندي البغدادي (3) يتشوق إلى بغداد ويدعو لها ولأهلها بالسقياء، فهي المنزل المأهول يفوق فخره كل المرباع والمنازل الأخرى، إذ يقول: {الطويل}

سَقَى اللهُ بَغْدَاداً وَسَاكِنَهَا الْحَيَا
تَنَاءَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ عَنْهَا فَمَالُهُ
هِيَ الْمَنْزَلُ الْمَأْهُولُ وَالْمَرْبَعُ الَّذِي
دُعَاءُ مَشُوقٍ بِاللَّذْكَرِ مُوَلِّعٍ
عَلَى ذِكْرِهَا غَيْرِ الْحَنِينِ الْمَرْجِعِ
لَهُ الْفَخْرُ فِي الدُّنْيَا عَلَى كُلِّ مَرْبَعٍ (4)

(1) جيا أوجي: اسم مدينة ناحية أصبهان القديمة، وتسمى عند العجم شهر ستان أصبهان، ينظر: ياقوت

الحموي، معجم البلدان، 2/235.

(2) الطغرائي، الديوان، 73.

(3) الكندي البغدادي: هو زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن خمير بن الحارث، تاج

الدين أبو اليمن البغدادي، وهو بغدادي المولد والمنشأ، ولد يوم الأربعاء الخامس من شعبان سنة 520هـ،

وكانت وفاته سنة 613هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 2/339، وابن العماد، شذرات الذهب،

216/4.

(4) الكندي البغدادي: الديوان، 67:66.

يتمسك الإنسان المغترب بالدُّعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى، حيث يجد في الدُّعاء وسيلة للتخفيف من أشجانه وأحزانه في الغربة، فابن جبير يدعو لباب الطاق بالسُّقيا والخصب، ويدعو الله أن يرد كل مغترب إلى وطنه، يقول: {الطويل}

سقى الله بَابَ الطاق(1) صَوْبَ عَمَامَةَ وَرَدَّ إِلَى الْأوطانِ كُلَّ غَرِيبٍ(2)
وكتب ابن يوسف التنوخي(2)، وهو بدمشق، يتشوق إلى حلب، ويدعو لروايبها بالسُّقيا والأمطار الغزيرة، متذكراً أيام شبابه وطيب عيشه في حلب الشهباء، حيث يقول: {البيسط}

عَرَّجَ عَلَى حَلَبٍ وَاسْأَلَ مَغَانِيهَا بِمَ اسْتَحَلَّتْ دَمِي ظُلْمًا غَوَانِيهَا
سَقَى رُبَى حَلَبٍ سُحْبُ رَوَائِحُهَا تَهْمِي إِذَا أَقْلَعْتَ عَنْهَا غَوَادِيهَا
كَمْ قَدْ نَعَمْنَا بِلَدَاتِ الشَّبَابِ بِهَا فِي عَيْشَةٍ طَابَ مُخْلِئُهَا لَجَانِيهَا(3)

ويدعو ابن أبي الوفاء التكريتي(4)، بالسُّقيا والخصب والنماء لدار السلام بغداد، فيقول: {المنسرح}

سَقَيْتُكَ دَارَ السَّلَامِ غَادِيَّةً صُوبُ نَدَاهَا تَجُودُ مُزْنَتُهُ(5)
وتمثل دمشق في نظر ابن منير الطرابلسي جنة الخلد بما تحويه من المناظر البهيجة، التي تستوقف النظر، فيدعو لها بالأمطار الوفيرة العامة، إذ يقول: {البيسط}

سَقَى دِمَشْقَ وَمَعْنَى لَلهُوى فِيهَا حَيَّا تَهَزُّ لَهُ أَعْطَافُهَا تِيهَا
لَا زَالَ لِلرُّوحِ عَطَارٌ يُرَاوِحُهَا وَلِلسَّحَابِ خَمَّارٌ يُعَادِلُهَا

(1) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد، بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 366/1.

(2) ابن جبير، الديوان، 32.

(3) ابن يوسف التنوخي: عبد المحسن بن حمود، هو أبو الفضل عبد المحسن بن حمود بن عبد المحسن بن علي بن يوسف التنوخي، نشأ في حلب، كانت ولادته بها سنة 560هـ، وتوفي سنة 643هـ ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 38/19.

(4) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 103/4، 104.

(5) ابن أبي الوفاء التكريتي: هو يحيى بن سعيد بن محمد بن سعيد بن أحمد بن إبراهيم بن الحارث بن سليم بن أبي تمام القاضي، أبو المجد بن أبي الوفاء التكريتي، من ربيعة، قاضي مارددين، ولد في الثاني عشر من جمادى الآخرة، سنة 556هـ، وكان بمارددين في ذي الحجة سنة 620، وقيل توفي في ليلة الاثنين التاسع من ذي القعدة، ينظر: ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 254/9.

(6) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 256/9.

دَارٌ هِيَ الْجَبَّةُ الْمَحْبُورُ سَاكِنُهَا فَإِنْ تَكُنْهَا وَإِلَّا فَهِيَ تَحْكِيهَا
تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ مِنْ مَنْظَرٍ بِهِجٍ يَسْتَوْقِفُ الطَّرْفَ فِي بَطْحَاءٍ وَادِيهَا (1)
ويدعو السنجاري⁽²⁾ الله أن يجعل الأمطار تعم أرض العراق لتسقيها بعد الجفاف،
يقول: { الطويل }

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا بِالْعِرَاقِ وَإِنْ خَلَتْ تَهَانُمَهَا مِنْ بَعْدِكُمْ وَتُجُودَهَا
سَحَابٌ يَسْحَبِينَ الدُّيُولَ كَأَنَّهَا نَجَائِبٌ قَدْ مَالَتْ عَلَيْهَا فُنُودَهَا
إِذَا شَارَفَتْ مِنْهَا الشَّوَارِفُ بَلْدَةً وَقَدْ مَاتَ مَشْرَبُهَا وَجَفَّ صَعِيدُهَا (3)
ب- السّلام على الدّيار.

وعبر ابن منير الطرابلسي عن حنينه إلى دمشق، بإرسال التّحية والسّلام لكل ناحية
من نواحيها، يقول: { البسيط }

حَيِّ الدِّيَارَ عَلَى عِلْيَاءٍ "جَيْرُونَ" مَهْوَى الْهَوَى وَمَعَانِي الْخُرْدِ الْعَيْنِ
مَرَادَ لَهْوِي إِذْ كَفَى مُصْرَفُهُ أَعْنَةَ الْعَيْشِ فِي فَيْحِ الْمِيَادِينِ
بِالنَّيْرَيْنِ بـ "مَقْرَى" فـ "الدَّيْر" فَـ جَمـ رَايَا" (4) فَجَوَّ حَوَاشِي جِسْرٍ "جَسْرَيْنِ" (5)
فـ "القَصْر" فـ "المَرَج" فَـ "المِيدَان" وَ"الشَّرْفِ" الدـ أَعْلَى فـ "سَطْرَا" فـ "جَرْمَانَا" (6) فـ "قُلْبَيْنِ" (7)
فـ "المَاطِرُونَ" (8) فـ "دَارِيَا" فَجَارَتَهَا فـ "أَبَل" فـ "مَغَانِي" دَيْرِ قَانُونِ" (9)
هَيْهَاتَ شَطِّ حَمِيمِ الشَّطِّ عَن خَصْرِ يَشْدُو فَيَسْعُدُهُ طَيْرُ الْبَسَاتِينِ (10)

ووجد ابن النّبيه المصري في البرق باعثاً للشّوق والحنين إلى العراق، وما فيها من
أمكنة معروفة، يقول: { الخفيف }

أَنَسْتُ بِالْعِرَاقِ بَرَقًا مَنِيرًا فَطَوْتُ غَيْهَبًا وَخَاضَتْ هَجِيرًا

(1) ابن منير الطرابلسي، الديوان، 132.

(2) السنجاري: إسماعيل بن أبي الفتح بن رزق بن الهائم السنجاري، ينظر: ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمان، 435/1.

(3) ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمان، 435/1، 436.

(4) جمرايا: موضع في بلاد الشام، ينظر: البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، 510/2.

(5) جسرين: قرية من قرى غوطة دمشق، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 160/2.

(6) جرمانا: بالفتح، وبين الألفين نون، من نواحي غوطة دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 150/2.

(7) قلابين: من قرى دمشق، وهي عند طرمس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، 386/4.

(8) الماطرون: بكسر الطاء، موضع بالشام قرب دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 51/5.

(9) دير قانون: من نواحي دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 526/2.

(10) ابن منير الطرابلسي، الديوان، 142، 141.

ذَكَرَتْ مِنْ مَسَارِحِ وَالكَرْحِ رَوْضًا لَمْ يَزَلْ نَاضِرًا وَمَاءً نَمِيرًا⁽¹⁾
وَاجْتَلَّتْ مِنْ رَبَا المَحْوَلِ نُورًا وَاجْتَلَّتْ مِنْ مَطَالِحِ التَّاجِ نُورًا⁽²⁾

ويحُنُّ ابن الكتاني إلى مدينة الزّوراء، التي طال بعده عنها وهو في ربوع الملك الصالح، إذ يقول: { مجزوء الرّمل }

يَا بَنِي الزَّورَاءِ كُلُّ مِنْكُمْ جَارِي وَتَرْبِي
خَبَرُوا بَعْدَ إِذْ أَنْ رتُ عَنْ بَعْدَ إِذْ كُنِّي
إِنِّي مُذْ غَبِيتُ عَنْهَا بَيْنَ جَنَاتٍ وَقَضْبِ
فِي رُبُوعِ الْمَلِكِ الصَّاحِبِ لِحِ لِي أَبْقَاهُ رَبِّي⁽³⁾

وقد عبر الشعراء الزنكيون و الأيوبيون عن صدق أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه الوطن، وجاء حنينهم حنيناً صادقاً معبراً، يلمس من خلال شدة ارتباطهم بأوطانهم، التي حنوا إلى طبيعتها وأنها، ومدنها المفتقدة، وتمنوا العودة إليها لتطمئن قلوبهم، ويهدأ بالهم.

(1) النمير، الماء البارد، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نمر).

(2) ابن النبية المصري، الديوان، 100، 101

(3) ابن الشعار الموصل، قلند الجمان، 10/217، 218.

ثانياً: الحنين إلى المحبوب.

يعد الحنين عند شعراء العصرين الزنكي والأيوبي إلى المحبوب أحد المظاهر البارزة في نتاجهم الشعري، حيث عبر الشعراء عن حنينهم وشوقهم تجاه من يحبون، والحنين إلى المحبوب هو " موقف شعوري صادق، تغذيه التجربة بالألم، وترفده برقة المشاعر ورهافتها، فيفيض على لسان الشاعر قصائد ومقطوعات عذبة، تتم عن شفافية الإحساس، وزخم العواطف المتقدة في صدره"(1).

ويقصد بالمحبوب هو الحبيبة أو المعشوقة التي تراءت في حنين الشاعر فأحس بفقدائها، وانعكست ذكرياته معها في أشعاره (2).

وكان غرض الغزل هو الأكثر نتاجاً على صعيد شعر الحنين إلى المحبوب في شعر العصرين الزنكي والأيوبي، ومن ذلك: ما يظهر في شعر الأرجاني في قصيدة له حيث بعث الصبا برسوله إلى المعشوق، فأهداه السلام، فشفى نفسه العاشقة، فهو لا يعرف السلوان والراحة منذ أن غاب الحبيب، ويبدو أن أيام الوصال ذهبت، لتبقى مكانها ليلاً طويلاً من الفراق والأشجان، وتلك الليالي وما يذمُّ الشاعر أواخرها حتى يتذكر أوائلها، يقول: {الكامل}

وَجَدَ الصَّبَا لِلْعَاشِقِينَ رَسُولاً فَشَفَى بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ عَلِيلاً
فَلْ لِلأَحْبَبَةِ إِنِّي مُذْ غَبِئْتُمْ لَمْ أَلْقَ وَجْهًا لِلسُّلُوِّ جَمِيلاً
وَخَلَعْتُ أَيَّامَ الوصالِ قَصِيرَةً وَلَبِستُ لَيْلاً لِلْفِراقِ طَوِيلاً
وَأَبَى اللِيالي ما دَمَمْتُ أُخِيرَها إِلا ذَكَرتُ بِها العُهُودَ الأولى
أَنجُومَ ليلي أَيَّنَ بَدري طالِعاً أو مِئُهُ ما تَتَعَلَّمِينَ أَقْولا(3)

ويتحدث أسامة بن منقذ عن محبوبته المرتحلة، ويصف ديارها ورحيلها، ثم يبكي ألماً لفراقها، ثم يصف جمال المحبوبة ويتحدث عن حنينه إليها(4)، يقول: {الكامل}

هَذَا وَفُوقُكَ لِلوَداعِ ، وَهذِهِ أَطْعانُ مَنْ تَهَوَى ، وَتِلْكَ ديارُهُ
فَأَسْتَبِقُ دَمْعَكَ فَهُوَ أَوَّلُ خَازِلٍ بَعْدَ الفِراقِ وَإِنْ طَمَّاتِيارُهُ
مَدَدُ الدُّمُوعِ يَقلُّ عَن أَمَدِ التَّوَى إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ لَجَّةٍ تَمْتارُهُ

(1) حبيب محمود، وهران، الحنين في شعر صدر الإسلام، 121، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003.

(2) ينظر: دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 241.

(3) الأرجاني، الديوان، 175/2.

(4) ينظر: سليمان رولا ناصر، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 186، 187، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م.) (د.ت.)

لَيْتَ الْمَطَايَا مَا خُلِقْنَ، فَكَمْ دِمَّ
مَا مَاتَ صَبُّ إِثْرِ الْفِ نَازِحٍ
سَفَكَتَهُ يَثْقُلُ غَيْرَهَا أَوْزَارُهُ
وَجَدَّأَ بِهِ إِلَّا لَذِيهَا تَارُهُ
أَشْتَأْفُهُ، وَهُوَ السَّوَادُ بِنَاطِرِي
مَا حَيْلَتِي، وَغَدَّأَ يَشْطُ مَزَارُهُ (1)

و يبحث أسامة عن عزاء له يخفف من أشواقه وحنينه إلى المحبوب البعيد، فلا يجد إلا طيف المحبوب الذي يداعب أجفانه أو يزوره في نومه، فلم يكن يستطيع رؤية محبوبته إلا في خياله، وكان ذلك كافياً لإخماد شيء من مشاعر الحنين والشوق، إلا أن الفراق يُحزنُ الشاعر ويؤلمه، فلا يجد الصبر والعزاء: { الكامل }

إِنْ تَقَطَّعَ الْأَيَّامَ مِنْكَ عَلَائِقِي
أَرْضَى مِنَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بِرَعِيهِ
فَأَنَا الْمُواصِلُ بِالْوَدَادِ الصَّادِقِ
وَمِنَ الزِّيَارَةِ بِالْخِيَالِ الطَّارِقِ
هَذَا، وَعِنْدِي لِلْفِرَاقِ مَا تَمُّ
فِيهَا التَّجْمُلُ وَالْعَزَاءُ مُفَارِقِي (2)

وطيف المحبوبة لا يقف عائقاً في طريق أسامة بن منقذ، وإن لم يف بالغرض المطلوب يقول: { الرجز }

أَفِذِي خَيْالاً زَارَ رَحْلِي مَوْهِنَا (3)
عَهْدُهُ مُوسَّناً (4) رَأَدَ الضُّحَى
عَلَى تَنَائِي دَارَهُ كَيْفَ اهْتَدَى
عَلَالَةَ عَلَنِي الشَّقِيقُ بِهَا
فَكَيْفَ جَابَ فِي الظَّلَامِ الْفَدَقْدَا
تُمَّ هَبَيْتُ، لَأَبْكُ الْوَجْدُ الَّذِي
وَالْمَاءُ فِي الْأَحْلَامِ لِأَيُّرُوي الصَّدَى
حَرَكَةُ طَيْفُهُمْ وَجَدَّأَ (5)

"إن التذكر يزيد الحنين، ويوجب نيرانه في قلب المحب الولهان، فإذا ذكر العذول محبوبة بغية نصحه، أشعل النيران في قلبه بدلاً من أن يطفئها" (6): { الطويل }

بِنَفْسِي عَذُولٌ، لَأَمْ فَيْكُمْ فَرْدًا لِي
بِذِكْرِكُمْ رَوْحَ الْحَيَاةِ عَذُولٌ

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 70، 71.

(2) نفسه، 91.

(3) موهنا: نحو من نصف الليل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وهن).

(4) موسنا: من الوسن، وهو شدة النوم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (وسن).

(5) أسامة بن منقذ، الديوان، 67.

(6) سليمان، رولا ناصر، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 189، رسالة ماجستير، جامعة

تشرين، (د.م) (د.ت)

لَحَى ناصِحاً فيكُمْ، فأذكى صَبَابَتِي وُثْكَي الرِّيحُ النَّارَ، وَهِيَ بَلِيلٌ⁽¹⁾

يشكل الهجران مادة أساسية تغني موضوع الحنين، فالفراق تتبعه دوماً مشاعر الشوق والحنين إلى المحبوب⁽²⁾، وهذا ما جعل أسامة بن منقذ يبكي المأ على فراق المحبوبة التي يحن إليها، يقول: { مجزوء الكامل }

وَكَمَّ التَّفَرُّقُ؟ أْنَ أَنْ تَدْنُو الدِّيَارُ وَأَنْ تَرُوخُوا
مَاذَا يُجِنُّ مِنَ الحَايِ مِنْ إِلَيْكُمْ القَلْبُ القَرِيحُ
أَنَا بَعْدَكُمْ كَالوَرُقِ فِي أَغْصَانِهَا أَبَدًا تَنوُحُ
لَكِنَّهَا غَاضَتِ مَدَا مَعَهَا، وَلِي دَمْعٌ سَفُوخٌ⁽³⁾

ويذكر أسامة بن منقذ أيام الوصال التي قضاها قرب المحبوبة، فهو يحن إلى تلك الأيام السعيدة، إذ يقول: { المنسرح }

أَيَّامُ وَرَدِي مِنْ مَاءِ أَوْجِهَكُمْ عَذْبٌ وَقَلْبِي بَعْدَ الوُرُودِ صَدِي
فَقَرَّ قَتْنَا النَّوَى، فَوَاطَمَيْ إِلَى ارْتِشَافِ العُقَارِ مِنْ بَرْدِ⁽⁴⁾
وهؤلاء أحبة المهذب بن الزبير يرحلون عنه، فيظل متذكراً لهم متردداً بين أوطانهم حيران أسفاً، يشتمّ الديار، ويقبل الآثار، لعلها تخفف ما من شوقه، إنه مازال متعلقاً بهم متمنياً أن يكون معهم؛ ليروي قلبه بنظرة منهم، كما في قوله: { الكامل }

رَحَلُوا وَفِي القَلْبِ المَعْتَى بَعْدَهُمْ وَجَدُّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ مُخَيِّمٌ
وَسَرَوْا وَقَدِ كَتَمُوا المَسِيرَ، وَإِنَّمَا تَسْرِي إِذَا جَنَّ الظُّلَامُ الأَجْمُ
وَتَعَوَّضَتْ بِالْأُنْسِ رُوحي وَحَشَّةٌ لَا أَوْحَشَ اللهُ المَنَازِلَ مِنْهُمْ

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 95.
(2) سليمان، رولا ناصر، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 190، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م.)، (د.ت.).
(3) أسامة بن منقذ، الديوان، 59.
(4) نفسه، 62.

لولا هُم ما فُمتَ بين ديارهُم حيرانَ أسْتأفُ الدِّيارَ وألثمُ
أمنازلَ الأحبابِ، أين هُم وأيـ من الصَّبْرِ مِنْ بعد التَّفَرُّقِ عَنْهُمُ (1)

وقصد أحباب ابن الزبير الشّام، فبقي وحيداً يبيري جسمه الشّوق والحنين لهم،
ويطير قلبه صباة من أجلهم، وكلما لمح طرفه برق الشّام على بعده، يتخيل أن
البروق سيوف قاتلة وجهت صوبه: {الطويل}

أحبابنا مالي إذا ما ذكرتكم وما أنا ناس- غال صبري غول؟!
وإن شام برق الشّام طرفي وشمرت على البعد عنه للظلام ديول
وحيل لي أن السيوف بجوه سئلن، وأني بينهن قتيل
لئن أفرت من الديار ومنكم وأمست مغانيهن وهي طول (2)

أما الأرجاني، فيطلب من سامعيه ألا يتعجبوا من احتراق قلبه ونضب دموعه،
فقد تحول كله إلى فؤاد مشتاق ولهان عند ذكر الأحبة: {الطويل}

فلا تتعجب أن خدي مجذب لحرّ الجوى أو أن دمعي ناضب
فكلي فؤاد عند ذكر أحبتي من الشّوق لا ما أودعته الترائب (3)

وفي قصيدة أخرى يبين المهذب بن الزبير كيف أن صور أحبابه ظلت ماثلة
أمامه، وكيف بقي ذكرهم مقيماً بفؤاده، تنهمر الدّموع لوعة وحسرة على فراقهم،
يقول: {الكامل}

لكم خيال في الجفون ممثّل أبداً، وذكر بالفؤاد مؤغل
والى دياركم نحن صباة ونفض أوعية الدّموع وترسيل (4)
ويخاطب القاضي الفاضل أحبته الذين فارقوه وأبعدوا عنه، فزادوا من لوعته
وألمه، وأحرقوا قلبه الذي نزلوا فيه ثم أهلكوه، وما الغيث سوى دمعه النازل

(1) المهذب بن الزبير، الديوان، 220.

(2) نفسه، 206، 207.

(3) الأرجاني الديوان، 138/1.

(4) المهذب بن الزبير، الديوان، 209.

المنهمر دون توقف، وما الرّعد إلا حنينه الدائم الملتهب، فهو يكابد الشّوق والحنين في غيابهم.

إذ يقول: {الطويل}

رِيَّاحُ زَفِيرٍ لِلدُّمُوعِ لَوَافِحُ وَمَا هِيَ إِلَّا الْفُلُوبُ لَوَائِحُ
وَعِنْدِي وَقَدْ فَارَقْتُمْ كُلَّ زَفْرَةٍ نُمِلُّ بِهَا الْأَشْجَانَ، وَالسَّرُّ شَارِحُ
لَقَدْ مَنَحَ الْحِصْنَ الَّذِي هُوَ مَانِعُ كَمَا مَنَعَ الدَّهْرُ الَّذِي هُوَ مَانِحُ
سَلَامٌ عَلَيكُمْ، إِنَّ قَلْبِي دَارُكُمْ أَقْرَبُ بِهَا، وَالِدَمُّعُ سَاقٍ وَسَافِحُ
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَلْبِي طَائِرٌ وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ لُبِّي طَائِحُ
وَمَا الْغَيْثُ إِلَّا مَنْ دُمُوعِي سَاكِبٌ وَلَا الرَّعْدُ إِلَّا مَنْ حَنِينِي نَائِحٌ⁽¹⁾

ويسأل الشاعر ديار الأعبة لعله يجد جواباً، وما جوابه إلا البكاء الدائم، فهو غريب في الأوطان بعد رحيل الأعبة وتغير المعالم، فموطنه الأصلي هو الوصال واللقاء بالأعبة، يقول القاضي الفاضل: {الخفيف}

يَا دِيَارَ الْأَحْبَابِ، عَابَتْكَ الدَّهْرُ رُفَّكَانَ الْجَوَابُ مِنْ أَجْفَانِي
وَأُيُولِي الدُّمُوعِ وَالنَّفْسُ الصَّا عِدُّ شَوْطِي وَوَجَّتِي مِيدَانِي
فَإِذَا قُلْتُ: أَيْنَ دَارِي؟ وَقَالُوا هِيَ هَذِي، أَقُولُ: أَيْنَ زَمَانِي
وَطَنُ الْعَاشِقِ الْوَصَالُ، وَإِلَّا فَهُوَ عَيْنُ الْغَرِيبِ فِي الْأَوْطَانِ⁽²⁾

إن الحنين إلى الأحباب والتلهف عليهم يصور انشطار الشاعر المحب بين ما هو روعي ويمثله القلب، وما هو مادي يمثله الجسد⁽³⁾، وقد يتحقق هذا الانشطار عند الشاعر الذي يبعد عن الأعبة جسدياً ويقربون منه روحياً، وهذا ما يلمس في أبيات ابن مطروح مخاطباً طيف الحبيب، داعياً له بالسّلام والخير، متسائلاً هل يجتمع الشّمل من جديد، ومتمنياً أن تعود الأيام الماضية بما تحمله من لذة العيش المفتقدة،

(1) القاضي الفاضل، الديوان، 138/1.

(2) نفسه، 122/1.

(3) ينظر: دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 296.

فيقول: { الطويل }

عَرَامِي إِلَيْكُمْ مَا عَلَيَّه مَزِيد
أَحْنُ إِلَيْكُمْ وَالْمَهَامَةُ بَيْنَنَا
عَسَى طَيْبُ أَيَّامِ الْوَصَالِ تَعُودُ لِي
أَلَا فَاثْعَمُوا لِي بِالسَّلَامِ مَعَ الصَّبَا
تُرَى: هَلْ تَعُودُ الدَّارُ تَجْمَعُ بَيْنَنَا
لِئِنْ رَجَعْتُ تِلْكَ اللَّيَالِي الَّتِي مَضَتْ
وَطَرْفِي وَدَمْعِي شَاهِدٌ وَشَهْوَةٌ
فُؤَادِي قَرِيبٌ وَالْمَزَارُ بَعِيدٌ
نَعَمْ، وَلِيَالِي الْوَصْلِ عَلَّ تَجُودُ
فَلِإِنْ فُؤَادِي مُدْنَفٌ وَعَمِيدٌ
وَتَرَجَعُ أَيَّامُ الْحَمَى وَتَعُودُ
وَعَاتِبُكُمْ، إِيَّيْ إِنْ لَسَعِيدٌ(1)

ويسأل ابن مطروح إذا ما جلب التَّسِيمَ الْحَاجِرِيَّ بعض أخبار الأعبة المضمخة
برائحة المسك، و إذا ما حمل البريق رسالة حب منهم تحمل الحديث نفسه الذي
جرى بينه وبينهم، يقول: {الكامل}

هَلْ فِي التَّسِيمِ الْحَاجِرِيِّ(2) إِذَا سَرَى خَبْرٌ، أَظُنُّ شَذَاهُ مِسْكَاً أَذْفَرًا(3)
أَمْ عِنْدَ خَقَّاقِ الْبُرَيْقِ رِسَالَةٌ جَاءَتْ تُعِيدُ لَنَا الْحَدِيثَ كَمَا جَرَى؟(4)
يمثل البرق هاجساً كبيراً للشاعر المحب، وباعثاً على الشجن والحنين حيث
يستحضر الذكريات، وتتصارع العواطف والأحاسيس، فالملك الأمجد يورقه البرق
المنعطف من الوادي، ويهيج أشواقه وأوجاعه، ويذكره بالمحبوب الغائب
يقول: {البيسط}

أَرَقْتُ مِنْ بَارِقِ بِالْجَزْعِ لَمَّاع
أَهْدَى الْحَنِينَ، وَقَدْ لَاحَتْ لَوَامِعُهُ
مُصَاحِبُ الْبَيْنِ مَا تَنَفَّكَ أَيْنُقُهُ
تَعَافُ أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الْجَمَامَ وَأَنْ
بَدَا فَهَيَّجَ أَشْوَاقِي وَأَوْجَاعِي
لِمُعْرَمٍ، مِنْ بَعَادِ الْحَيِّ مُرْتَاع
مُغْدَّةً بَيْنَ أَجْرَاعٍ وَأَجْزَاع
تُرْعَى الْجَمِيمِ(5) عَلَى خِصْبٍ وَإِضَاع(6)

(1) ابن مطروح، الديوان، 119.

(2) الحاجرِي: هو موضع في ديار بني تميم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 236/2.

(3) الأذفر: طيب الرائحة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ذفر).

(4) ابن مطروح، الديوان، 132.

(5) الجميم: النبات الكثير، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جمم).

(6) الملك الأمجد، الديوان، 87.

ويؤرق طيف الأحبة نوم ابن قسيم الحموي⁽¹⁾، الذي لعبت به زفرات الشوق والحنين، وهذا ما جعله يقدم على الصعاب والخطر دون تردد،

يقول: {الوافر}

سَرَى طَيْفُ الْأَحْبَةِ مِنْ بَعِيدٍ فَعَوَّضَنَا السُّهَادَ مِنَ الْهُجُودِ
وَقَدْ لَعِبَتْ بِهِ زَفَرَاتُ شَوْقٍ تُجَسِّرُهُ عَلَى الْخَطَرِ الشَّدِيدِ⁽²⁾

ويغمر الشوق والحنين عرقلة الكلبي تجاه من يحب، ويصور تملكه لجميع جوانحه، فصورة المحبوب لا تفارق خياله، وهو لا يستطيع نسيانه، وقد حاول جاهداً المحافظة على عدم البوح بسرّه، غير أن الفراق والبعد جعلاً دمه ينهمر، ولو كان المحب يسبح في دموعه المسكوبة من لوعة الحب، لكان الشاعر أول السابحين في دموعه، ولو علم أن الفراق يقتل المحب لما فارقهم، ولكن كان ما كان،

إذ يقول: {البيسط}

عِنْدِي إِلَيْكُمْ مِنَ الْأَشْوَاقِ وَالْبُرْحَا مَا صُيِّرَ الْقَلْبُ مِنْ فِرْطِ الْهَوَى سَبْحَا
أَحْبَابِنَا لَا تَظُنُونِي سَلَوْتُكُمْ مَا حَالَتِ الْحَالُ، وَالتَّبْرِيحُ مَا بَرِحَا
لَوْ كَانَ يَسْبُحُ صَبَّ فِي مَدَامِعِهِ لَكُنْتُ أَوْلَ مَنْ فِي دَمْعِهِ سَبْحَا
أَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ يَفْتَانِي مَا بِنْتُ عَنْكُمْ، وَلَكِنْ فَاتَ مَا دُبْحَا⁽³⁾

وتصاعد الشوق والحنين بالعماد الأصبهاني، فأقسم إلى الأحبة بالوفاء والإخلاص، والبقاء على العهد في القرب و البعد، يقول: {السريع}

وَحُرْمَةِ الْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا وَمَا لَنَا مِنْ كَرَمِ الْعَهْدِ
مَا نَقَضْتُ عَهْدِي لَكُمْ جَفْوَةً وَلَا أَحَالَاتٍ حَالِيَةً وَدِّي
وَلَا تَغَيَّرْتُ، وَيَأْبَى الْهَوَى وَذَلِكَ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدِ⁽⁴⁾

(1) ابن قسيم الحموي: هو شرف الدين أبو المجد مسلم بن الخضر بن قسيم التنوخي الحموي، ولد بحماة، وكانت وفاته سنة 542هـ، ينظر: ابن شاعر الكتبي، فوات الوفيات، 4/ 134، والبغدادي، هدية العارفين، 2/ 432.

(2) ابن قسيم الحموي، الديوان، 43.

(3) عرقلة الكلبي، الديوان، 17.

(4) ابن العماد الأصبهاني، الديوان، 136.

إن رحيل المحبوب أكثر ما يقاسيه الشاعر وأشد ما يعانيه، فليل الشاعر يطول، وتتوالى الهموم، وتلتهب نيران الأشواق، حتى لم يعد يطيق ألم الفراق، أو حتى يتحمل أشجانه ولواعجه، يقول العماد الأصبهاني: {الوافر}

أحبة قلبي طال ليلي بعدكم أسى فمتى ألقى بوجهكم الفجرا
سكنتم فؤادي، وهو في نار شوقكم فهلاً أخذتم فيه من ناره حذرا
فقدت حياتي منذ فقدت لقاءكم فهل بحياتي منكم نشأة أخرى
لقد عاد أنسي وحشة بفرأقكم كما عاد عرف الدهر بعدكم نكرا
وقد كنت مغتراً بأيام وصلكم ولا يامن الأيام من كان مغتراً(1)

ويتحدث الشاعر عن رحيل الأحبة، فيكون الليل مصدر قلق واضطراب وباعثاً على الكثير من الأشواق واللواعج، وتزيد حداثها خاصة عندما يتذكر الحبيب فيتصاعد حنين الشاعر(2). وهذا ما يظهر في قول الكندي البغدادي: {الطويل}

سرى معكم نومي فأصبحت بعدكم أوم السرى منه وأبكي سراكم
رضيتم بعادي عنكم فرضيته لأنني أهواكم وأهوى هواكم
شجاني غرام لو وفيتم ببعضه لقلب المعنى فيكم لشجاكم
أعيدوا لنا عيد الوصال- على اللوى سقى الله أيام اللوى وسقاكم
وداواوا بلقياكم فؤادي من الضنا فهيهاات أن تلقى طيباً سواكم
دهاني اشتياق لم تُصبكم سيهامه فيا ليت له لما دهاني دهاكم(3)

ويتضاعف الشوق والحنين بالبغدادي، فيبعث رسالة من قلبه إلى المحبوبة، قائلاً: {الكامل}

إني كتبت إلى الحبيب رسالة من مهجة لم يبق غير ذمائها
من فرط شوق إن أراد طمسها من مقلتي بسوادها لا مائها(4)

(1) العماد الأصبهاني، الديوان،، 155.

(2) ينظر: دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 298.

(3) الكندي البغدادي،، الديوان، 74، 75..

(4) نفسه، 80.

ويطغى الشوق والحنين على ابن الخياط تجاه من يحب، فيصور تملكه لجميع جوانحه فلا يستطيع الوقوف عن البكاء والحب، فرحيل الأعبة يزيد الشاعر ألما وحسرة، إذ يقول: **{الطويل}**

أما والهوى يوم استقلّ فريفها لقد حملتني لوعة لا أطيّفها
تعجب من شوقي وما طال نأيها وغير حبيب النفس من لا يشوقها
فلا شقها ما شقني يوم أعرضت صوداً وزمت للترحّل نوقها (1)
ويعتذر ابن النبيه المصري، من نوقه، فالشوق الملتهب كلفه بالذهاب إلى ديار الأعبة، فلا غاية له، ولا هدف بعدها، يقول: **{البيسط}**

يانوق عُذراً فإنّ الشوق كلفني إلى الحبيب يمسرانا فلا تلمى
مالي ولا لك بعد الدار من أرب هذى الظباء وبيت المورد الشيم (2)

ويتصاعد الشوق والحنين بابت الساعاتي، ولكن دون فائدة منهما فهما لا يطفئان عطشه وتلفه إلى هند، إذ يقول: **{الطويل}**

أحن إلى هند وهل ينفع الصدى وبرح الحشا قولي أحن إلى هند (3)
والحنين إلى المحبوبة حالة شعورية، تنفجر في نفوس الشعراء حيثما حلوا، وأينما نزلوا، فلا ينفك خيالها يورق الشاعر، ويضاعف إحساسه بثقل الغربة، فيبيت حنينه حسرات يائسة، يشكو فيها فراق المحبوبة (4)، فهذه زفرات ياقوت الرومي (5) تتصاعد حنيناً وأشواقاً حارة يبكي فيها لوعة الفقد وأسى الاغتراب، فيقول: **{البيسط}**
إن غاض دمّك والأحاب قد بانوا فكلماء تدعي زوراً ويهتان

(1) ابن الخياط، الديوان، 44.

(2) ابن النبيه المصري، الديوان، 449.

(3) ابن الساعاتي، الديوان، 99/1.

(4) ينظر: حبيب محمود، وهران، الحنين في شعر صدر الإسلام، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، 2003م.

(5) ياقوت الرومي: عبد الرحمن بن عبد الله الرومي، أبو الدر الشاعر مولى أبي منصور الجبلي، كان اسمه،

ياقوت، وجد ميتاً بداره، سنة 622هـ، ينظر: الوافي بالوفيات، 169/18.

وَكَيْفَ تَأْنِسُ أَوْ تَنْسِي خِيَالَهُمْ
لَا أَوْحَشَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ نَأَوْا فَنَأَى
وَقَدْ خَلَا مِنْهُمْ رَبْعٌ وَسُكَّانٌ؟
عَنِ النَّوَظِرِ أَقْمَارٌ وَأَغْصَانٌ(1)

يتضاعف مدى الألم في نفس ابن الرشيد النابلسي(2)، حين يقسو عليه المحبوب بهجره، وينسى عهده مما يجعله يبكي بكاء حاراً، إذا خطر بباله، ورغم الألم والقسوة، فإنه يتحمل هجران الحبيب وصدوده، إذ يقول: {الوافر}

أَقَاسِي مِنْ صُدُودِكَ مَا أَقَاسِي
وَقَابُوكَ لَا يَزَالُ عَلَيَّ قَاسِي
وَعَهْدُكَ ذِكْرُهُ أَبَدًا سَمِيرِي
وَأَنْتَ مَضِيْعٌ لِلْعَهْدِ نَاسِي
وَمَا مُثِّلْتَ لِي وَشَرِبْتَ إِلَا
مَزَجْتَ بِدَمْعِي الْمَنْهَلِ كَاسِي
تَحَكَّمْ فِيَّ مَا تَهْوَى وَغَادِرُ
سَقَامِي لَا تَدَارِكُهُ الْأَوَاسِي
فَمَهْمَا تَأْتِي مِنْ فِعْلٍ سُوءٍ
فَمَحْمُولٌ عَلَيَّ عَيْنِي وَرَاسِي(3)
ويبرز مدى حنين أبي عبد الله الأنصاري(4) للأحباب في خطابه لمنزلهم واستحضار صورهم من خلال الهجر والبعد وإفقار الديار، والبين، وذوبان الجسم الذي هاجه الشوق المبرح إلى المحبوب: {الطويل}

أَيَا مَنْزِلَ الْأَحْبَابِ هَلْ فِيكَ مُخْبِرُ
يُخَبِّرُنِي أَمْ هَلْ نَرَى فِيكَ مُجِدَا
عَفَوْتَ فَأَعْفَى رَسْمَكَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى
وَأَفْقَرْتُ حَتَّى لَا أَرَى فِيكَ مُسْعِدَا
أَحَبَّةَ قَلْبِي فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
فَلَا تُشْمِئُوا بِالْبَيْنِ أَشْرَارَ حُسْدَا
بَعْدْتُمْ فَذَابَ الْجِسْمُ بَعْدَ بَعَادِكُمْ
وَأَخْلَيْتُمُ الْأَوْطَانَ أَشْمَمُ الْعِدَا
فَعُودُوا يَعُودُ الْوَصْلُ بَعْدَ قَطِيعَةٍ
فَهِيهَاتَ رَاحَ الْيَوْمَ فَاصْبِرْ إِلَى غَدَا(5)

(1) ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمان، 268/3.

(2) ابن الرشيد النابلسي: عبد الرحمن بن الحسن بن المفرج بن بكار، رشيد الدين النابلسي، مدح الناصر وأولاد

ينظر: ابن الشعار، الموصلي قلاند الجمان، 271/3، 272.

(3) ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمان، 284/3.

(4) أبو عبد الله الأنصاري: محمد بن غسان بن غافل بن نجاد بن غسان بن غافل بن نجاد بن تامر بن الأمير

الأنصاري الحمصي، ولد بحمص، وقدم دمشق وهو صبي، كانت وفاته سنة 632هـ، ينظر: الصفدي،

الوافي بالوفيات، 313/9.

(5) ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمان، 300/7.

ويشتاق ابن قاضي بالس⁽¹⁾ إلى محبوبته فيتساءل: أما زالت على عهد عشقها قبل الفراق؟ أم تغيرت، فالأشواق تتصاعد في قلبه كل يوم أملاً باللقاء، ويتمنى أن تجود بطيفها، وإن حرمته الوصل، يقول: { الخفيف }

أُتْرَاهَا تَرَقُّ لِّلْعُشْقِ رَحْمَةً مِنْ لَوَاعِجِ الْأَشْوَاقِ
وَأُتْرَى وَدَّهَا عَلَى مَا عَهَدْنَا قَبْلَ أَنْ يَحْدُثَ التَّقَرُّقُ بَاقِي
كُلُّ يَوْمٍ أَرَى بِقَلْبِي أَشْوَا قَاءَ إِلَى فُرَيْهَا وَوَشَكَ التَّلَاقِي
لَمْ أَجْذُهَا بِالْأَمْسِ فِيهِ فَحَسْبِي ضَرَّةَ الْبَدْرِ فِي الْهَوَى مَا أَلْقِي
قَدْ حُرْمْنَا مِنْكَ الْوَصَالَ فَجُودِي بَخِيَالٍ مِنْ طَيْفِكَ الطَّرَاقِ⁽²⁾

يظل الليل فضاء الحنين، حيث يسيطر الخيال على نفس الشاعر، فيتخيل هاجس الحبيب وطيفه، فالليل فسحة اللقاء بين المحبين، وبارقة الأمل بينهما، مهما تعددت المسافات وشط المزار⁽³⁾، وتظهر هذه التجربة عند ياقوت الرومي، فالشوق والحنين يسيطران على كل جوانحه، فلولا المحبوب لما ذاب فؤاد ولا شاببت مفارق، فلم يعد يهتم بالفراق بعد غيابه، فقد دام سهره وقلّ نومه، كما في قوله: { الطويل }

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ مَا جَنَّ غَاسِقُ وَأَظْلَمَ إِلَّا حَنٌّ إِذْ جُنَّ عَاشِقُ
أَجِبْ سَوَادَ اللَّيْلِ حُبًّا لِشَادِنِ يُوَاصِلُنِي لَيْلًا وَصُبحًا يُفَارِقُ
إِذَا سُمْتُ قَلْبِي الصَّبْرَ زَادَ تَشَوِّقًا فَقَلْبِي مَشُوقٌ وَاصْطِيبَارِي شَائِقُ
وَمَا الصَّبْرُ بِالمُشْتَقِ عَمَّنْ يُحِبُّهُ وَإِنْ سَاءَهُ مِنْهُ خَلَائِقُ لِائِقُ
بِرُوحِي مَنْ رُوحِي تُسَاقُ إِذَا حَادَا مَطَايَاهُ حَادِي الْبَيْنِ أَوْ سَاقَ سَائِقُ
مَفَارِقَةَ الْأَحْبَابِ لَوْلَاكَ لَمْ يَدُبْ فُؤَادٌ وَلَا شَابِتٌ لِصَبِّ مَفَارِقُ
أَمِنْتُ الْجَوَى وَالْبَيْنَ غَبَّ فِرَاقِهِ فَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَهُ مَنْ أَفَارِقُ
وَأَنكحْتُ أَجْفَانِي السُّهَادَ لِئُعَدِّهِ وَقُلْتُ لِنَوْمِي بَعْدَهُ أَنْتَ طَالِقُ⁽⁴⁾

وتقترن الغربة والفراق بحنين الأحباب، فالبعد يؤرق الشاعر، ورؤيته البرق في الليل تبعث الشجن، فيتذكر المحبوب ويحن إليه، فيموت شوقاً وحنناً على ذلك، على نحو ما يظهر في قول ابن قاضي بالس:

(1) ابن قاضي بالس: نصر بن يوسف بن عبد الرازق بن عبد الوهاب بن الخضر بن عجلان بن عبد الله بن ربيعة، المعروف بابن قاضي بالس، ويعرف بالجعيري، توفي بدمشق، في ذي القعدة سنة 623هـ، وكان قد توفي له ولدان قبله فحملوا جميعهم إلى بالس، فدفنوا بها، ينظر: ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 9/9.
(2) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 12/9.
(3) دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 299.
(4) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 269/3.

{ الخفيف }

عَاوَدَ الْقَلْبَ وَجَدَّهُ وَالْحُفُوقُ حَيْنَ لَاحَتَ مِنَ الْغُويِرِ الْبُرُوقُ
أَذْكُرْتُهُ الْأَحْبَابَ فَارْتَحَ شَوْقًا وَحَنِيئًا مِنْهُ الْفُؤَادُ الْمَشْتَوْقُ
وَكَذَا كُلُّ مُعْرَمِ الْقَلْبِ يَسْتَنَّا قُ وَمَنْ لَا يَشْتَوْفُهُ الْمَعَشْتَوْقُ⁽¹⁾

وتهيج رؤية البرق أشجان الطوسي⁽²⁾ وأحزانه، فيبكي بكاءً حاراً، لشدة الشوق والحنين، ويضطرب لصوت الحمام، فهي تثبت أشجانه، وتشاركه أحزانه وآلامه، ويشتاق ريح الصبا فكأنها برائحة المسك تفوح من صوب الحبيب الغائب، فيقول في ذلك: { الطويل }

أَهَاجَكَ بَرَقُ بِالْأَبِيرِقِ لَائِحَ فَدَمَعُكَ مِنْ سُحْبِ النَّوَظِرِ سَائِحُ
وَيُطْرِبُكَ الْوَرَقَاءُ حَتَّى كَأْتَمَّا تَبُّكَ أَشْجَانَ الْهَوَى وَتُطَارِحُ؟
وَتَشْتَاقُ عَرَفَ الرِّيحِ جَاءَتْ بِهِ الصَّبَا كَأَنَّ نَسِيمَ الرِّيحِ بِالْمَسْكِ فَائِحُ⁽³⁾

ويتصاعد الشوق والحنين بأبي الغيث البصري⁽⁴⁾ إلى محبوبته، فتناجي أشواقه الحبيب وتخبره عن غرامه الملتهب وحنينه الدائم، ويشكو له طول البعد والفراق، إذ يقول: { الطويل }

كَيْتَابِي بِأَشْوَاقِي إِلَى مَنْ أَحْبَبُهُ يُنَاجِيهِ عَنِّي بِالْغَرَامِ الْمَحْرَقُ
وَيَشْكُو إِلَيْهِ عَنِ لِسَانِي تَأَلَّمِي بطول النَّوَى عَنْهُ وَطُولَ التَّقَرُّقُ⁽⁵⁾
ويقاسي ابن الزبير الأسواني⁽⁶⁾ من رحيل الأحبة، فهو أمر عظيم وقعه صعب، فقد سلب النوم من جفونه، ودموعه دائمة النزول، حيث يهيم صباة ووجداً بأحبابه الناظرين قلبه وعقله، فالشوق يمتلك جوانحه جميعها، فلا ذنب له في بعدهم سوى

(1) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان 20/9.

(2) الطوسي: سليمان بن مسعود بن الحسن بن أحمد بن يوسف بن محمد بن محمد الطوسي، من أبناء حلب، كان شاعراً ذكياً فطناً، مقتدرًا على المعاني واستنباطها، توفي في صفر سنة 643هـ، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 164/5، وابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 45/3، 46.

(3) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 49/3، 50.

(4) أبو الغيث المصري: شعيب بن أبي طاهر بن كليب بن مقبل، أبو الغيث الضرير البصري، سكن بغداد وتفقها بها للشافعي علي أبي طالب الكرخي، وأبي القاسم الفراتي له شعر وترسل، توفي 618هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 163/16، 164.

(5) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 114/3.

(6) ابن الزبير الأسواني: أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغاني الأسواني المصري يلقب بالرشيد، كنيته، أبو الحسن، كان كاتباً شاعراً فقيهاً نحوياً لغوياً، توفي مخنوقاً، سنة 562هـ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 399/1، 400.

أنه حفظ عهدهم في حين أنهم خانوا العهد، ويسأل الأحبة أن يرفقوا بحاله، فنار
الأشواق تحرق قلبه ألماً : { الكامل }

رَحَلُوا فَلَا خَلَّتِ الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ وَتَأَوُّوا فَلَا سَلَّتِ الْجَوَانِحُ عَنْهُمْ
وَسَرُّوا وَقَدْ كَتَمُوا الْعِدَاةَ مَسِيرَهُمْ وَضِيَاءُ نُورِ الشَّمْسِ مَا لَا يُكْتَمُ
أَحْبَابِنَا مَا كَانَ أَعْظَمَ هَجْرِكُمْ عِنْدِي وَلَكِنَّ التَّفَرُّقَ أَعْظَمُ
غَيْبُكُمْ فَلَا وَاللَّهِ مَا طَرَقَ الْكَرَى جَفْنِي وَلَكِنَّ سَحَّ بَعْدِكُمُ الدَّمُ
وَإِذَا سِئَلْتُ بِمَنْ أَهَيْمُ صَبَابَةَ قُلْتُ الَّذِينَ هُمْ الَّذِينَ هُمْ هُمْ
النَّازِلِينَ بِمُهْجَتِي وَبِمُقَاتِلِي وَسَطِ السُّوَيْدِ وَالسَّوَادِ الْأَكْرَمِ
لَا ذَنْبَ لِي فِي الْبَعْدِ أَعْرَفُهُ سِوَى أَلِي حَفَظْتُ الْعَهْدَ لِمَا خُنْتُمْ
يَا مُحْرَقاً قَلْبِي بِنَارِ صُدُودِهِمْ رَفَقاً فِيهِ نَارُ شَوْقٍ تُضْرَمُ (1)

ولا تفارق صورة الحبيب خيال الأصبهاني المنشيء (2) فهو دائم الاشتياق والذكر
له، إذ يقول: { الطويل }

وَأَلِي لِمُشْتَأَقٍ إِلَيْكَ وَذَاكِرٌ مَدَى الدَّهْرِ عَهْدًا كَانَ لِلشَّمْلِ يَجْمَعُ (3)
ويتخذ ابن الحراني الفقيه (4) من إلقاء السلام على الأحبة متنفساً لآلامه فجفونه لم
تغمض منذ غيابهم، يقول: { المتقارب }

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَضَى مَا مَضَى فُرَاقِي لَكُمْ، لَمْ يَكُنْ عَنْ رِضَى
سَلُّوا اللَّيْلَ عَنِّي فَمُدَّ غَيْبُكُمْ وَجَفْنِي بِالنَّوْمِ هَلْ غَمَّضَا
أَحْبَابَ قَلْبِي وَحَقَّ الَّذِي بِمَرِّ الْفُرَاقِ عَلَيْنَا قَضَى (5)

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدياء، 403/1، 404.

(2) الأصبهاني المنشيء: الفتح بن علي بن محمد بن أحمد بن هبة الله بن علي، أبو إبراهيم بن أبي الحسن
البندياري المنشيء، نزيل دمشق، ولد بأصبهان سنة 586هـ، وتوفي سنة 643هـ، ينظر: ابن الشعار
الموصللي، قلائد الجمال، 305/5.

(3) ابن الشعار الموصللي، قلائد الجمال، 309/5.

(4) فخر الدين بن تيمية الحراني: فخر الدين بن تيمية، محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن
عبدالله الإمام فخر الدين، أبو عبيد بن أبي القاسم بن تيمية الحراني الفقيه الحنبلي، ولد في شعبان سنة
542هـ، توفي سنة 622هـ، ينظر: الصفي، الوافي بالوفيات، 38/3.

(5) الصفي، الوافي بالوفيات، 38/3.

نسي الأعبة عهد الشّاعر ونكروا حبه، مما زاد من وجده وصبابته، فيتساءل إذا بقي لهاجر وصل، ولغدار عهد، فهو صبار على ما يحل به، ولكن على بعد الأعبة غير صبار، يقول ابن العين زربي: (1) { الطويل }

تَنَاسَيْتُمْ عَهْدَ الْوَقَا بَعْدَ تَذْكَارِ فَأَجْرَى حَدِيثِي عَنْكُمْ مَذْمَعِي الْجَارِي
وَأَنْكَرْتُمُونِي بَعْدَ عِرْفَانِ صَبُوتِي فَهَيَّجْتُمْ وَجْدِي وَأَضْرَمْتُمْ نَارِي
وَهَلْ دَامَ فِي الْأَيَّامِ وَصَلٌ لِهَاجِرٍ وَوَدٌّ لِحِوَانٍ وَعَهْدٌ لِحِوَانٍ
وَإِنِّي لِحَبَّارٍ عَلَى مَا يُتُوبَنِي وَلَكِنْ عَلَى هِجْرَانِكُمْ غَيْرُ صَبَّارٍ (2)

ويبقى طيف المحبوب العزاء الوحيد، الذي يخفف من صباة الشّاعر ووجده، فهو مشتاق إلى الحبيب الغائب، الذي لا يستطيع رؤيته إلا في المنام، إذ يقول ابن الكتاني: { مجزوء الكامل }

مَا ضَرَّ طَيْفَكَ لَوْ يَجُورُ دُ بِلَيْلَةٍ فِي الدَّهْرِ أُخْرَى
حَتَّى أَبْتَ إِلَيْهِ مَا لَأَقْبِتُ مِنْكَ قَلْبِي وَهَجْرًا (3)

ويقول أيضاً: { مجزوء الكامل }

يَا طَيْفُ إِن سَاعَدْتَنِي بَعْدَ الْقَطِيعَةِ بِالْوَصَالِ
لَأَعَدُّبَ الْأَيَّامَ بِمَالٍ حَلَامٍ مِنْ قِصْرِ اللَّيَالِي (4)

ويغير فراق المحبوب حالة الشّاعر، فقد انقضت أيام السُّرور والسَّعادة وكدت حياته بائسة لا سعادة فيها بسبب البُعد والفراق، وانقطاع الوصال مع الحبيب ونسيانه الشّاعر، الذي لم يخطر في باله النسيان للحبيب الغائب، يقول ابن الكتاني:

{ مجزوء الكامل }

مَنَعَتْ وَصَالَ مِنْ الْوَصَالِ فَبَقِيَتْ مُرْتَقِبًا الْخَيَْالَ

(1) ابن العين زربي: حمزة بن علي أبو يعلى بن العين زربي، نسبة إلى عين زربي، الأديب الشاعر توفي سنة 556هـ، ينظر: ياقوت الحموي معجم الأديباء، 1221/3.

(2) ياقوت الحموي، معجم الأديباء، 1222/3

(3) ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمال، 239/10.

(4) نفسه، 253/10.

حَتَّى أَبِثَ إِلَيْهِ مَا لَأَقِيئُهُ مِنْ سُوءِ حَالِي
أُرْعَى الْعُهُودَ لِبَانَةِ صَرَمْتُ بِلا سَبَبِ حِيَالِي
مَا بِالْهَاتَا تَسْلُو وَمَا خَطَرَ السُّلُو لَهَا بِبَالِي (1)

ويمثل الليل هاجساً كبيراً عند ابن الهبارية، لأنه يذكر الشاعر بالأحبة الغائبين الذين يحن إليهم حنيناً قوياً، ولشدة بكائه تخيل أن دموعه دموع الدموع لا دموع الجفون، فيقول: { الطويل }

إِذَا جَنَّ لَيْلِي وَاسْتَقَلَّتْ نُجُومُهُ وَلَمْ أَرَ مَنْ أَهْوَاهُ جُنَّ جُنُونِي
وَلَمَّا نَهَانِي أَنْ أَحْنُ إِلَيْكُمْ ضَنَايَ وَقَرِطُ الشُّوقِ حَنَّ حَنِينِي
وَرَقَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ حَتَّى حَسَبْتُهَا دُمُوعَ دُمُوعِي لَا دُمُوعَ جُفُونِي (2)
ويذكر الريحان والراح الشاعر بالحببية، يقول الشاعر: { الطويل }

ذَكَرْتُكَ بِالرَّيْحَانِ لَمَّا شَمَمْتُهُ وَبِالرَّاحِ لَمَّا قَابَلْتِ أَوْجَةَ الشَّرْبِ (3)
ويسأل ظافر الحداد أحبته إن ظلوا على عهدهم، على الرغم من البين والفرق، فهو لم ينسهم، بل بقي مشتاقاً إليهم من فرط صباته ووجده، قائلاً: { الطويل }

أَحْبَابِنَا بِالنَّعْرِ مَا كَانَ مِنْ بَعْدِي؟ تُرَاكِمُ وَإِنْ طَالَ الْبُعَادُ عَلَى الْعَهْدِ
فَأَيُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِي الدَّارُ عَنْكُمْ مُقِيمٌ عَلَى فَرِطِ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ (4)
ويبلغ الحنين ذروته حين ينفذ صبر ابن الزعفراني اليهودي (5)، فهو يدعو الله أن يبعد البين والبعد فهما لا يطاقان، يقول: { البسيط }

يَا أَبْعَدَ اللَّهُ أَيَّامَ الْبِعَادِ لَقَدْ جُرَّعْتُ مِنْهَا كُؤُوسَ الْعَلَقَمِ الصَّبْرِ
يُحَارِبُ الشُّوقُ قَلْبِي ثُمَّ يُجِدُّهُ جَيْشُ الْأَسَى وَكَمِينُ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ (6)

(1) ابن الشعار الموصل، 253/10..

(2) ابن الهبارية، الديوان، 187.

(3) نفسه، 74.

(4) ظافر الحداد، الديوان، 97.

(5) ابن الزعفراني اليهودي: نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد أبو المعالي، المعروف بابن الزعفران اليهودي من أهل حلب، ومن أريابها المتصرفين، كان مولده سنة 576هـ، توفي سنة 635هـ، ينظر: ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 82/9.

(6) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 85/9.

ثالثاً: الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء.

من الطَّبِيعِي أن يحن المرء إلى أهله، وأقربائه وأصدقائه، وإلى الذِّكْرِيَات التي قضاها معهم بما تحمله تلك الذِّكْرِيَات، لأنها تعد جزءاً من ماضٍ عزيز يتذكره دائماً، ويحن إليه(1).

1- الحنين إلى الأهل والأقرباء.

ومن الذين تناولوا هذا الجانب أسامة بن منقذ، فقد سلب الموت طفله الصَّغِير أباً عتيق مما جعل حنينه إليه يشكل ذروة خط الحنين الذي تصاعد منذ زمن رحيله عن شيزر، فحينما كان يحن إلى طفله، كان يتذكر كل موته من الأهل والأحباب والأصدقاء، يقول: { الوافر }

أَجِنُّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَمَالِي إِلَى رُؤْيَاهُ فِي الدُّنْيَا سَبِيلُ
فَيَا لَلَّهِ مِنْ يَأْسٍ مُبِينٍ يُخَالِفُ حَالَهُ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ
يُغَالِبُنِي عَلَى عَقْلِي حَنِينٌ إِلَيْهِ لَا تُغَالِبُهُ الْعُقُولُ
فَيُنْسِينِي يَقِينِ الْيَأْسِ مِنْهُ كَمَا تُنْسِي مُعَاقِرَهَا الشَّمُولُ
وَيَلْحَانِي الْعَذُولُ وَ لَيْسَ يَدْرِي بِمَا أُخْفِي مِنَ الْكَمَدِ الْعَذُولُ
إِذَا نَامَ الْخَلْيُ أَرَا حَمَمِي وَأَسْهَرَ لَيْلِي الْحُزْنَ الدَّخِيلُ(2)

ويرضى أسامة بن منقذ بقدره، فإن خطف الموت ابنه فأجره عند الله عظيم؛ لأن الموت حق على الجميع، ولن يعيد التأسف والحنين من حواه القبر: { البسيط }

إِنْ قَصَرَ الْعُمْرُ بِي عَنْ أَنْ أَرَى خَلْفًا لَهُ، ففِي الْأَجْرِ عِنْدَ اللَّهِ لِي خَلْفُ
أَقُولُ لِلنَّفْسِ إِذْ جَدَّ النَّزَاعُ بِهَا: يَا نَفْسُ وَيَحَاكِ، أَيْنَ الْأَهْلُ وَالسَّلْفُ
أَلَيْسَ هَذَا سَبِيلُ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِمْ وَكُلُّهُمْ يَورُودُ الْمَوْتِ مُعْتَرِفُ
كَمْ ذَا التَّأْسَفُ، أَمْ كَمْ ذَا الْحَنِينِ، وَهَلْ يَرُدُّ مَنْ قَدْ حَوَاهُ قَبْرُهُ الْأَسْفُ(3)

ومن الحنين إلى الأهل، الرثاء الذي يفصح فيه الشَّاعِر عن مواجده وأشواقه إلى المرثي، فلا يعدد المناقب والخصال فحسب، بل يتجاوزها إلى بكاء حار يعبر فيه

(1) ينظر: دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 287.

(2) أسامة بن منقذ، الديوان، 303، 304.

(3) نفسه، 302.

عن حرقه الفؤاد، ونيران الفقد⁽¹⁾، فابن الساعاتي يمر بالدار التي كان يسكنها
بالمحلة فيبيكه ذكر ابنه مودود، يقول: { الوافر }

ألا يَـا دارُ لا أوَحَشتِ يَوماً فكم أصبجت في أنس وأمن
أخافُ عليكِ من نيرانِ قلبي وأشفقُ فيك من طوفانِ جفني
وأعتبُ في أحداثِ الليالي وكم فجعت أباً في الدهرِ بابن
فأوا أسفا على وجهه وقد هما شجناي من طلق ولذن
دَفَنُهما فواكَمدي وقولي دَفَنُهما مقالٌ ليس يُغني
فألمم بالمحلّة⁽²⁾ واشكُ بئي هُناك لصاحبِ القبرِ المُبين⁽³⁾
ويصور ابن عنين في حنينه إلى أخيه معاناته وما يكابد من الشوق، وحرقة الوجد،
وأنين الفقد، إذ يقول: { الطويل }

أينَ حنَّ مُشتاقٌ ففاضتِ دموعُهُ غدتْ غُدلاً شئى حواليهِ نَعِيفُ
ومَزالَ في النَّاسِ المُودَّةِ والوفا فمالي على حفظِ العهودِ أعنفُ
نعمُ إنني صبُّ مئى لَاحِ بَارقُ من العُربِ لا تَنفُكُ عيني تَذرفُ
ومَاقيلَ قد وافي من الشَّامِ مُخبرُ عن القومِ إلا أقبلَ القلبُ يَرجفُ⁽⁴⁾
وكتب إلى أخيه من الهند، يُحدثه عن مدى الشوق الذي يُكنه له، وإن لم يحظ منه
بشيء، فيقول: { الطويل }

فَعادتْ ولم تَنعِ غليلاً وقد طوت حشاها على سمِّ الأفاعي القواثل
بأكثر من شوقي إليك ولو عتي عليك وإن لم أحظ منك بطائل⁽⁵⁾
وكتب فتیان الشاغوري إلى أخيه، وكان نازلاً بالمعسكر العزيزي بالقرب من
مسجد القدم، مظهراً حالة اليأس التي تسيطر عليه، فهي تعبر عن حال الفاقد
المشتاق، الذي أضناه الوجد والشوق إلى أخيه فيبكي حنيناً وحرناً وألماً

(1) ينظر: حبيب محمود، وهران، الحنين في شعر صدر الإسلام 112، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003.

(2) المحلة، مدينة مشهورة، بالديار المصرية، وهي عدة مواضع منها المحلة الكبرى، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 46/5.

(3) ابن الساعاتي، الديوان، 276/1.

(4) ابن عنين، الديوان، 83.

(5) نفسه، 83.

قائلاً: { الطويل }

كَفَى حَزْناً أَنِّي مِنَ الشَّوْقِ لَمْ أَنْمِ وَأَنْتِي بِالشَّاعُورِ (1) تَأَوُّ وَمَنْزِلِ
وَأَنَّ مُقِيمَاتٍ يَمْنَعُ رَجَّ الأَسْوَى وَكَمْ بَيْنَنَا؛ وَالدَّارُ مِنْ قَرِيبَةٍ
أَخِي! إِنْ فِي قَلْبِي إِلَيْكَ صَبَابَةٌ شَرَابِي دُمُوعِي وَالدَّمَاءُ مِزَاجُهَا
وَلَا زِلْتُ مِنْ خَوْفِي عَلَيْكَ مَسَلماً وَهَاتِيكَ نِيرَانُ الأَحْبَابَةِ وَالخَيْمِ
أَحْبَابَةٍ فِدَامِي لَدَى مَسْجِدِ القَدَمِ (2)
لأَقْرَبُ لِي مِنْ دَارِهِمْ وَهُمْ أُمَّمُ إِذَا نَحْنُ حَاوِلْنَا الزِّيَارَةَ، مِنْ عِلْمِ
مَقْسَمَةِ أَجْزَاءِ جِسْمِي عَلَى السَّقَمِ فَهَيَّئْتِ كَاسَاتِ ابْنَةِ الكَرَمِ وَالكَرَمِ
وَعَشْتِ سَعِيداً فِي النَّعِيمِ وَفِي النَّعَمِ (3)

ومن شعر الحنين إلى الأهل حنين علي الخلاطي (4) إلى أهله بالعراق، فهو يتشوقهم ويبحث بسلامه إلى العراق وقاطنيتها وشجرها، ويتذكر أيام أنسه بصحبته، أيام كان مجتمعاً بهم بالقرب من نهر الصرّاة، إن هذه الأيام الماضية بما تحمل من سرور وهناء، تجعل الشاعر يطير شوقاً وحنيناً لها ولأهله، إذ يقول: { الطويل }

أَيَا أَثْلَاتِ (5) بِالعِرَاقِ أَلْفُهَا عَيْنِكَ سَلَامٌ لَا يَزَالُ يُفُوحُ
لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا عِنْدَ قُرْبِي بِقُرْبِهَا فَقَدْ عَادَ مَكْتُومُ القُودِ يُفُوحُ
فَمَا أَحْسَنَ الأَيَّامِ فِي ظِلِّ أَنْسِهَا فَبَيْلَ طُوعِ الشَّمْسِ حِينَ تَلُوحُ
وَقَدْ غَرَّدَ القُمْرِيُّ فِي غَسَقِ الدُّجَى وَدَاعِي حَمَامٍ فِي العُصُونِ يُفُوحُ
ذَكَرْتُ لَيَالٍ بِالصَّرَّاءِ وَطَيْبِهَا نَطِيرُ لَهَا شَوْقًا وَنَحْنُ جُمُوحُ (6)

(1) الشاعور: محلة بالبواب الصغير من دمشق مشهورة، وهي في ظاهر المدينة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/352.

(2) القدم: قرية من قرى جنوب دمشق، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/354.

(3) قتيان الشاعور، الديوان، 465، 466.

(4) الخلاطي: علي بن أحمد بن علي بن عبد المنعم بن هبل، أبو الحسن بن أبي العباس الحكيم البغدادي المولد والنشأة، الفاضل، المعروف بالخلاطي، وليس خلاطياً على الحقيقة، إلا أنه رحل إلى خلاط، وأقام بها دهراً طويلاً، كانت وفاته سنة 610، ينظر: ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمان، 4/296.

(5) أثلاث: نوع من الشجر، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أثل).

(6) ابن الشعار الموصلي، قلاند الجمان، 4/297.

ويأمل أبو الحسن الربيعي النيلبي⁽¹⁾ بالعودة إلى دياره، وبين أهله فقد أضناه الشوق والحنين إليهم، ويرى نفسه غريباً ضائعاً دونهم لا يستطيع أن يعوض نفسه عنهم،

يقول: { البسيط }

هَلْ لِيْ إِيَابٌ إِلَى أَرْضِيْ وَأَوْطَانِيْ وَجِيْرَةَ ذَكَرُهُمْ رَوْحِيْ وَرَيْحَانِيْ
أَرْضٌ هَوَيْتُ هَوَاهَا إِذْ بَهَا نَجَمْتُ قَدِمًا مَنَابِتُ أَعْرَاقِيْ وَأَغْصَانِيْ
وَجِيْرَةَ جَارَهُمْ لَا جَوْرَ يَكَلِّمُهُ وَهُمْ لَهُ مِثْلُ أَنْصَارٍ وَأَعْوَانِ
إِذَا تَعَوَّضْتُ عَنْهُمْ لَمْ أَجِدْ عَوْضًا كَلًّا وَلَمْ يَرَ إِنْسَانِيْ لِإِنْسَانِ (2)
ويتصاعد الشوق والحنين بأبي الفضل الطوسي الموصلبي الخطيب⁽³⁾ إلى الأهل، فلا يستطيع التّوم بعد غيابهم، فهو يتذكر أيام الهناء والسّرور التي جمعتهم بهم، ويتمنى أن ينتظم الشّمل مرة ثانية، يقول: { البسيط }

شَوْقِي إِلَيْكُمْ يَفُوقُ الْحَصْرَ وَالْعَدَدَا لَا أَسْتَطِيعُ أُبَيِّتُ الْوَجْدَ وَالْكَمَدَا
وَجَفْنُ عَيْنِي غَضِيضٌ مُنْذُ فَارَقْتُكُمْ أَلَيْتُ أَنْ لَا أَرَى مِنْ بَعْدِكُمْ أَحَدَا
لِلَّهِ أَيَّامُنَا وَالسَّادَارُ جَامِعَةٌ وَنَحْنُ فِيهَا نُقْضِي عَيْشَةً رَّغَدَا
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ الدَّهْرَ يُبْعِدَنِي عَنْكُمْ فَلَا كُتِبْنَا مِنْكُمْ وَلَا صَدَدَا
هَلَّا الدِّيَارُ بِنَا تَدْنُو فَيَنْتَظِمُ الشَّ شَمْلُ الشَّتَيْتِ بِكُمْ فِيهَا كَمَا عُهُدَا (4)
ويعجز ظافر الحداد عن وصف اشتياقه لأهله، فكلما تذكرهم فاضت دموعه حيناً وشوقاً، فقد كانت أيامهم مليئة بالفرح والسّرور والهناء، إذ يقول: { الطويل }

وَأَعْجَزُ عَنْ وَصْفِ اشْتِيَاقِي إِلَيْكُمْ عَلَى أَنْنِي فِي غَيْرِ ذَلِكَ بَلِيغُ
وَقَدْ طَلَّ سَلْطَانُ النَّوَى مِنْ مَدَامِعِي دَمًا لِأَسْوَدِ الشُّوقِ فِيهِ وَلُوعُ (5)
أَخْلَايَ حَاشَا وَدُّكُمْ مِنْ تَغْيِيرِ فَيَرْتَدُّ عَنْ عَهْدِ الْهَوَى وَيَزُوعُ

(1) أبو الحسن الربيعي النيلبي: علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن ثابت بن مزاحم بن عياش، ابن وديعة، أبو الحسن الربيعي النيلبي، من قرية من قرى النيل، كان مولده سنة 555هـ، توفي سنة، 620هـ، ينظر: ابن الشعار الموصلبي، قلاند الجمان، 323/4.
(2) ابن الشعار الموصلبي، قلاند الجمان، 323/4.
(3) أبو الفضل الطوسي: عبد المحسن بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد القاهر بن هشام، أبو القاسم بن أبي الفضل (الطوسي) الموصلبي، الخطيب، كان مولده بالموصل سنة 580هـ، وتوفي يوم الخميس سنة 622هـ ينظر: ابن الشعار الموصلبي، قلاند الجمان، 83/4، 84.
(4) ابن الشعار الموصلبي، قلاند الجمان، 93/92/4.
(5) الولوع: الشّرب بأطراف الأسنان، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ولع).

لَقَدْ بَانَ عَنِّي مُنْكُمْ كُلُّ سَيِّدٍ هُوَ الْفَضْلُ أَوْ فَالْفَضْلُ مِنْهُ مَصُوعٌ
سَقَى اللَّهُ أَيَّامِي بِكُمْ إِذْ زَمَانُهَا قَصِيرٌ وَفِي اللَّدَاتِ مِنْهُ سَبُوعٌ (1)
ويخاطب إخوته متشوقاً إليهم، فقد لازمه الفراق، فهو يتصبر على بعدهم بالدموع
والأسى الذي يشعل ب صدره نار الشوق الملتهبة، حيث أرغم قلبه على نسيان، وهذا
أمر لا يطاق، متسائلاً: هل له عيش بينهم؟

فيقول: { المتقارب }

أخْلَايَ بِالثَّغْرِ دَامَ الْفِرَاقُ وَلَا زَمَنِي أَسْفُ وَأَشْتِيَاقُ
تَصَبَّرْتُ عَنْكُمْ عَلَى حَالَتَيْنِ أَسَى يَنْلَظِي وَدَمْعُ يُرَاقُ
وَأَرْغَمْتُ قَلْبِي عَلَى سَلْوَةٍ فَعَايَةُ مَا نَالَ مِنْهَا الطَّلَاقُ
وَأَصْنَعُ مَا حَاوَلْتَهُ النَّفْسُ مَنْ الْأَمْرُ تَكْلِيفٌ مَا لَا يُطَاقُ
فَهَلْ لِي إِلَى الْعَيْشِ مَا بَيْنَكُمْ كَمَا كُنْتُ مُسْتَمْسِكٌ وَاعْتِلَاقُ؟ (2)

2- الحنين إلى الأصدقاء

حنَّ الشاعر الزنكي والأيوبي، إلى أصدقائه الغائبين عنه، فأرسل بأشواقه إليهم،
نادماً على فراقهم، معبراً عما يختلج صدره من لفحات الوجد والصبابة، متذكراً أيام
أنسه معهم.

وتحاول الدراسة استعراض نتاج بعض الشعراء فيما يخص هذا الجانب من شعر
الحنين. فالعماد الأصبهاني يتشوق جماعة من أصدقائه بالشام، ويندم على
مفارقتهم: فيقول { الكامل }

أَحْبَبْتِي إِنْ غَبَيْتُ عَنْكُمْ فَالْهَوَى دَانَ لِقَلْبٍ بِالْغَرَامِ مَوْلَاهُ
أَنْهَى إِلَيْكُمْ أَنْ صَبْرِي مُنْتَى (3) بَلْ مُنْتَى، وَالشَّوْقُ لَيْسَ يَمُنْتَى
أَمَّا عُقُودٌ مَدَامَعِي فَلَقَدْ وَهَتْ وَأَبَتْ عُقُودُ الْوُدِّ مَنِّي أَنْ تَهِيَ
وَلَقَدْ دُهَيْتُ بَيْنَكُمْ فَاشْتَقْتُمْ يَا مَنْ لِمُشْتَقٍ بَيْنَكُمْ دُهْيٌ

(1) ظافر الحداد، الديوان، 209.

(2) نفسه، 239، 238.

(3) منتى: الطويل، أو البعيد المدى، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (نأى).

مَا زِلْتُ عِنْدَكُمْ بِأَرْخَى عَيْشَةٍ وَبَقَيْتُ بَعْدَكُمْ بَعِيشٍ أَكْرَهَ
أَبَدْتُ دُمُوعِي مِنْهُ مَا لَمْ أَبْدِهِ وَبُدِهْتُ مِنْهُ أَسَىً بِمَا لَمْ أَبْدِهِ (1)
ويستمر العماد الأصبهاني في حنينه إلى أصدقائه، فهو لا يشتهي في الدنيا شيئاً
سواهم، فقد كانت عيشته هينة بوجودهم، ولكن الزمان منقلب لا يُبقي إنساناً على
حاله، ومن السخف مفارقة الأصدقاء: { الكامل }

لَوْ قِيلَ لِي: مَا تَشْتَهِي مِنْ هَذِهِ الدُّ
مَا كَانَ أَرْفَهُ عَيْشَتِي وَأَلْدَهَا
وَمِنَ السَّفَاهَةِ أَنْتَنِي فَارَقْتَكُمْ
نِيا! لَقَلْتُ: سِوَاكُمْ لَا أَشْتَهِي
مَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى بَعِيشٍ أَرْفَهُ
مَنْ أَيْنَ ذُو الْحُلْمِ الَّذِي لَمْ يَسْفَهْ (2)

أحب العماد الأصبهاني القاهرة وتشوقها، وتذكر من سكنها من الأصدقاء والخلان
الأدباء، الذين ندم على فراقهم، وأسف على نأيهم، ودعا لهم بالعيشة الكريمة،
والصحة المستديمة، قائلاً: { الطويل }

أَيَا سَاكِنِي مِصْرَ عَفَا اللَّهُ عَنْكُمْ
أَبَيْتُ عَلَى هِجْرَانِكُمْ مُتَنَدِّمًا
فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَا لَقِيْتُهُ
بِقَيْتُمْ، وَعِشْتُمْ سَالِمِينَ مِنَ الْأَذَى
وَعَافَاكُمْ مِمَّا الْأَقْيَمِ مِنْكُمْ
وَمِنْ يَنَاءٍ عَنْكُمْ كَيْفَ لَا يَتَنَدَّمُ
مِنْ الْوَجْدِ وَالْأَشْوَاقِ قَالَ اللَّهُ يَعْلَمُ
وَمَنْيَةُ قَلْبِي أَنْ تَعِيشُوا وَتَسْلَمُوا (3)

ويشكو فتیان الشاغوري من فراق صديقه، ويبكيه حنيناً إليه، فالهجر لم يمنعه من
الشوق إلى وجهه الكريم، والتلّيف لرؤيته، يقول: { المنسرح }

إِرْحَمْ بُكَاءَ الرَّأْوُوقِ فِي الظُّلْمِ بِأُدْمَعٍ مِثْلِ وَاكِفِ الدِّيمِ
شَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَمَا حَوِيَّتُهُ مِنْ مَحَاسِنِ الشِّيمِ (4)
ويتشوق الكندي البغدادي من دمشق إلى صديقه الموجود بالقاهرة، فيسأله هل
يتشوق إليه؟ فقد غلب بالحرمان والبعد، ويعجز عن اللقاء سواء أكان بالذهاب إلى
صديقه المقيم بالقاهرة أم بقدم صديقه إلى الشام: { الخفيف }

(1) العماد الأصبهاني، الديوان، 447

(2) نفسه، 448.

(3) نفسه، الديوان، 379.

(4) فتیان الشاغوري، الديوان، 464.

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الْمُحَافِظُ قَدْ حَمَّ
نَحْنُ بِالسَّامِ رَهْنٌ شَوْقٌ إِلَيْكُمْ
قَدْ غُلَبْنَا بِمَا حُرْمَنَا عَلَيْكُمْ
فَعَجَزْنَا عَنْ أَنْ نُرَوِّنَا لَدَيْكُمْ
لَأَتْنَا مِنْ وَفَاءِ عَهْدِكَ دَيْنَا
هَلْ لَدَيْكُمْ بِمَصْرٍ شَوْقٌ إِلَيْنَا
وَعَابَيْتُمْ بِمَا رَزَقْتُمْ عَلَيْنَا
وَعَجَزْتُمْ عَنْ أَنْ نَرَاكُمْ لَدَيْنَا (1)

وفي خطاب الأرجاني لأصدقائه في بغداد، وخوفه من وقوع الفراق، يبرز مدى حنينه إليهم، مصوراً ذلك من خلال دموعه المنهمرة لفراقهم وشوقه الغلاب إليهم
{ الكامل }

شَوْقِي إِلَيْكُمْ غَالِبٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَغِيٌّ مَشْبُوبَةٌ
وَصَفَائِحاً بِيضَ الْمُتُونِ صَوَارِماً
وَلِفُرْقَةِ الْأَلْفِ وَالشَّمْلِ الَّذِي
كَانَ النَّوَى يَكْفِي فَكَيْفَ بِهَا إِذَا
غَيْرُ اللَّيَالِي الْعَالِيَاتِ الْعَالِيَا
أَضْحَتْ تَلْفُ أَعَاجِمًا وَأَعَارِبَا
وَسَوَابِحاً قُبَّ الْبُطُونِ شَوَازِبَا
مَا زِلْتُ لِلتَّشْتِيتِ مِنْهُ مُرَاقِبَا
جَمَعَ الزَّمَانَ لَنَا نَوَى وَنَوَائِبَا (2)

ويتشوق عبد الرحمن الصَّقِيل (3) صديقاً له يعرف بالجمال، ويعبر عن شدة حنينه إلى صديقه الذي يفضله على كل أصدقائه، ويألفه عنهم، الأمر الذي جعله يتذكر أيامه بالقرب من صديقه الوفي، المعين على نكبات الدهر ونوائبه، فهو الكنز الثمين الذي يجده في وقت الشدة والمصائب، حيث يفضله على كل الأصدقاء، فهو الأمل والعدة، قائلاً: { المتقارب }

سَلَامٌ شَجَّ مُدْنَفَ الْقَلْبِ بِبَالٍ
يَجْنُ إِذَا مَا دَجَا لِيْلُهُ
فَمَا شَاقَّهُ عَدْبَاتُ الْعُوَيْرِ
وَلَا شَاقَّهُ سُودَانُ أَهْيَافُ
وَلَكِنْ تَذَكَّرَ أَيَّامَهُ
مُعِينِي عَلَى نَكَبَاتِ الزَّمَانِ
وَكُنْزِي وَحِرْزِي وَعَزِي إِذَا
بَرَاهُ النَّفْرُ بَرِيَّ الْخِلَالِ
وَيَرْتَبُّ فِي النَّوْمِ طَيْفَ الْخِيَالِ
وَمَا بِالْحِمَى مِنْ نَوَاتِ الْمِطَالِ
بَلِينِ الْقَوَامِ وَيَبِيضِ الْحِجَالِ
وَعَيْشًا تَقْضَى بِقُرْبِ الْجَمَالِ
وَدُخْرِي عَلَى النَّائِبَاتِ الْعُضَالِ
تَوَالَتْ عَلَيَّ | صُرُوفُ اللَّيَالِي

(1) الكندي، البغدادي، الديوان، 76.

(2) الأرجاني، الديوان، 127/1.

(3) الصَّقِيل: عبد الرحمن بن عبد الله بن رشيد بن علي، أبو محمد بن أبي الغريب التميمي، المعروف بالصَّقِيل الموصلي، كانت ولادته بسكة أبي نجيب سنة 562هـ، وتوفي بالموصل يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 660هـ، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، وحاجي خليفة، كشف الظنون، 1611، ابن الشعر الموصلي، فلاند الجمال، 311/3.

أَيَا صَاحِبِي دُونَ كُلِّ الصَّحَابِ وَيَا عُدَّتِي فِي الْوَرَى يَا أَمَالِي (1)
 وبيعت المجدد الموصلية (2) سلاماً من الموصل إلى إربل (3) ويحن فيه إلى صديقه
 أبي الحسن، معبراً فيه عما يختلج ب صدره من الأشواق والمحبة والتقدير تجاه
 صديقه، ذاكراً شمائل صاحبه وصفاته، إذ يقول: { الطويل }

سَلَامٌ كَنَشْرِ الْمَسْكَ تَقْتَفُهُ الصَّبَا عَلَى سَاكِنِ الْغُرَاءِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ
 عَلَى جِيْرَةِ جَارِ الزَّمَانِ يُبْعِدُهُمْ فَلَمْ أَحْظِ إِلَّا بِالرَّسَائِلِ وَالْكَتَابِ
 أَنْاسٍ أَعَارُوا الدَّهْرَ يَهْجَةَ نُورِهِ وَقَامُوا مَقَامَ الْعَتَبِ فِي الْبَلَدِ الْجَدْبِ
 سَمَوْا بَعْلَى ذِي الْمَقَاخِرِ وَالْعُلَا جَوَادٌ إِذَا الْأَنْوَاءُ ضَنْتَتْ بِهَا السُّحْبِ
 شَمَائِلُهُ أَحْلَى مِنَ الْأَمْنِ كُلَّمَا تَذَكَّرْتُهَا لَمْ أَخْشَ مِنْ فَادِحِ الْخَطْبِ
 أَيْ حَسَنَ إِيَّيْكَ لَشَائِقٌ وَفِي الشُّوقِ مَا يُلْقِي الْمُحِبُّ إِلَى الْكَرْبِ (4)

ويحن الأبيوردي إلى أصدقائه في بغداد، فيذكر وما يعانیه من شوق، وينفس بالبكاء
 عن لوعة أشجانه (5)، فقد انقضت أيامه معهم سريعة، وأصبح ليله في بعدهم طويلاً،
 حيث لا يشعر بمن حوله؛ لأن صفاتهم متشابهة في الخسونة قائلاً: { الطويل }

فَقُلْ لِأَخِيَّائِي بَبَغْدَادَ هَلْ بِكُمْ سُؤُو؟ فَعِنْدِي رَيَّةٌ وَعَوِيْلُ
 تُرْتَحْنِي ذِكْرًا كَمَا تَرَاكُمُ فَكَأَنَّكُمْ تَمِيْلُ بِي الصَّهْبَاءُ حِينَ أَمِيْلُ
 لِيْنُ قَصْرَتِ أَيَّامُ أَنْسِي بِفَرْبِكُمْ قَائِلِي عَلَى نَأْيِ الْمَزَارِ طَوِيْلُ
 وَحَوْلِي قَوْمٌ يَعْلَمُ اللهُ أَنَّي بِهِمْ - وَهُمْ بِي يَكْتُمُونَ - قَائِلُ
 إِذَا فَتَشَّ التَّجْرِيْبُ عَنْهُمْ تَشَابَهَتْ سَجَايَا كَأَطْرَافِ الرَّمَاحِ، تُكْوِلُ (6)

يشد الحنين بابن الكتاني إلى صديقه الشهاب يوسف العقاب، فهو غير قادر على
 اختصار شوقه بكلمات موجزة، وإن حاول ذلك، يقول: { المنسرح }

شَوْقِي إِلَى يُوسُفَ الْعُقَابِ الْعَالَمِ الْمَاجِدِ الشَّهَابِ
 شَوْقٌ كَنَيْبٍ إِلَى حَبِيْبٍ وَشَوْقٌ ظَامٍ إِلَى الشَّرَابِ

(1) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 322/3.

(2) المجدد الموصلية: علي بن يونس بن سالم بن علي، أبو الحسن، المجدد، الموصلية، كانت ولادته في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة 588هـ، كان والده يعرف بالصدر المجدد، ينظر: ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 98/5

(3) إربل: بالكسر ثم السكون، وباء موحدة مكسورة ولام، مدينة كبيرة، من أعمال الموصل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 166/1، 167.

(4) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 102/5.

(5) ينظر: الجبوري، يحيى، الغربية والحنين في الشعر العربي، 202.

(6) الأبيوردي، الديوان، قلاند الجمان، 570/1.

شَوْقًا إِذَا مَا اقْتَصَرْتُ فِيهِ أَطَلْتُ فِي بَعْضِهِ خِطَابِي⁽¹⁾
ويتشوق يوسف الملتئم⁽²⁾ صديقاً له، فيذكره بالاسم ليلفت انتباهه إلى شدة شوقه إليه،
طالباً منه أن لا يهمل المودة التي بينهم: {مجزوء الكامل}

شَوْقِي إِلَيْكَ أَبَا عَلِيٍّ تَفْصِيلُهُ لِمَنْ يُجَمَلُ
مَا هَكَذَا عَوَّدَنِي مِنْ مَيَّةٍ وَتَفَضَّلُ
أَيْجُوزُ أَنْ أَمْضِي وَلَمْ تَطْرُقْ بِرَجْلِكَ مَنزِلِي
حَاشَاكَ أَنْ تُهْمَلَ مَوَدَّةَ صَاحِبِ لُكَّ أَوْل⁽³⁾
وفي مقطعة شعرية أخرى يخاطب الملتئم صديقه أبا علي، بأنه بقي محافظاً على
المودة والمحبة له: {البسيط}

لَا تَحْسَبِ الْقَلْبَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ خَلِيٍّ أَبَا عَلِيٍّ مَعَاذَ اللَّهِ لَا وَعَلِيٍّ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا عِنْدِي إِلَيْكَ كَمَا قَلْبِي عَلَيَّ بِمَا قَدْ كَانَ عِنْدَكَ لِي⁽⁴⁾

وهكذا فقد كان شعر الحنين إلى الأهل والأقرباء والأصدقاء نتاج تجربة واقعية عاشها الشاعر الزنكي والأيوبي، عبر من خلالها عن عاطفة إنسانية صادقة، أظهرت مرارة الفقد ولوعة الفراق التي سيطرت على مشاعر الشاعر وحواسه.

(1) ابن الشعار الموصللي، 224/10.

(2) الملتئم: يوسف بن محمد بن محمود بن عبيد الله بن محمد بن يوسف بن الملتئم، كان شاباً ذكياً متوقداً، ولد بدمشق، وتوفي في حدود سنة 626هـ، ولم يكن عمره غير خمس وعشرين سنة، ينظر: ابن الشعار الموصللي، فلاند الجمان، 288/10.

(3) ابن الشعار الموصللي، فلاند الجمان، 289/10.

(4) نفسه، 289/10.

رابعاً: الحنين إلى الذكريات الماضية.

كانت الشَّيخوخة واحدة من التجارب التي عمقت إحساس الشاعر بالاغتراب عن الدَّات، فأقر بغلبة الدَّهر الذي يستلب شبابه وينتزع ماضيه المفعم بالنَّشاط والحيوية، فلا يستجيب للإعادة والاسترجاع إلا من خلال الذِّكريات، التي تُورق الحاضر بلوعة الفقد، وأنين الاغتراب، إذ يستعرض الشاعر ذاته الماضية، التي لم يملكها مقارنة بالدَّات الحاضرة، فيتصاعد إحساسه بالألم وهو يرى الزَّمان يحيله شيخاً هرمًا، فيقعده عن مواصلة السَّعي في دروب الحياة، وتماديه في اللُّهو والصبابة(1).

فقد الشَّبَاب هو إحدى فواجع الدَّهر التي حولت حياة الشاعر من عز وفخر إلى ذل وانكسار فبالأمس كان الشاعر شاباً قوياً، ينعم بالصَّحة ويتمتع بعنفوان الصَّبَا، وينطلق في السَّعي الجاد نحو إثبات الذات، واليوم يمسي شيخاً مسنأً، يفقد القدرة على التَّحكم بالأمر، فيبدأ شرح الانفصال عن الدَّات، فيتوقع الشاعر في إطار هواجس الغربة، ويجذبه الحنين إلى الزَّمان الماضي الذي ولى حاملاً معه زهوة الماضي، وسجايا الشَّبَاب من غير أمل في العودة(2).

يمثل الحنين إلى الذِّكريات الماضية جزءاً من حياة الشاعر الزنكي والأيوبي فهو يحن إلى أيام الصَّبَا واللُّهو، وعصر الشَّبَاب الذي ذهب دون عودة، فابن السَّاعاتي يجذبه الحنين إلى أيام الصَّبَا، ويتألم لرحيل الشَّبَاب فيأسف على ما انقضى من زمن الفتوة والعنفوان، يقول: { الطويل }

نَعَمْ إِنَّهَا نَفْسٌ تَتَوَقُّ إِلَى الصَّبَا وَهَيْهَاتَ مَاضِي العَيْشِ لَيْسَ يَعُودُ
تُفِيمُ عَلَى بَأْسٍ وَلِلشُّوقِ فِي الحَشَا دَمِيلٌ إِلَى سُكَّانِهَا وَوَخِيدٌ(3)

ويظل زمن الصَّبَا والرَّخَاءِ هاجس فتیان الشَّاعوري، فلا ينفك يحن إلى أيام الشَّبَاب الغض، التي منحته الحيوية والنَّشاط، والإحساس بالوجود الإنساني، الذي تكون بإعجاب الغواني الحسان، يقول: { الهزج }

أَلَا يَا حَبَّذَا عَصْرُ الشَّد شَبَابِ العَضِّ مِنْ عَصْرٍ
زَمَانًا كُنْتُ أَجْبِي العَيْم شَ مِنْ أَفْنَانِهِ الخُضْرُ

(1) ينظر: حبيب محمود، وهران، الحنين في شعر صدر الإسلام، 6، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق،

2003م.

(2) ينظر: نفسه، 7.

(3) ابن السَّاعاتي، الديوان، 63/1.

لَقَدْ وُلِيَ الصَّبَا غَضًّا أُنِيقَ الرُّوضِ وَالزَّهْرِ
لَدَى كُلِّ فِتَاةٍ غَا دَةً طَيِّبَةً النَّشْرِ
وَنَقَّرُ عَنِ الدُّرِّ إِذَا افْتَرَّتْ عَنِ النَّعْرِ (1)

ويتذمر فتیان الشاغوري من زحف الشيب، ويتحسر لرحيل الشباب، وانقضاء زمن اللذات والعيش الرغيد، فقد أدرك استحالة استرجاع الماضي، قائلًا: { البسيط }

قَدَ غَادَرَ الْعَبْرَاتِ الشَّيْبُ فَايْنَهُ وَفِي مَدْمَتِهِ تَعْنِي الْعِبَارَاتُ
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى صَفْوِ الْحَيَاةِ وَفِي رَأْسِي مِنَ الشَّعْرَاتِ الْبَيْضِ حَيَاتُ
وَلْتِ لَذَاذَاتُ عَيْشِي وَالشَّبَابُ وَهَلْ مَعَ الْمَشْيِبِ تُرَى اللَّذَاتِ لَذَاتُ
جِنَايَةُ الشَّيْبِ عِنْدِي لَا خِلَافَ أَتَى فِي أَهْهَا قَصَّرْتُ عَنْهَا الْجِنَايَاتِ
فَكَيْفَ أَضْحَاكُ أَوْ أَتْنِي عَلَى زَمَنِ فِيهِ الضَّوْاحِكُ أَوْدَتْ وَالثَّنِيَّاتُ (2)

ويرسم الشاعر صورة معبرة لظهور الشيب الناصع البياض في شعره الأسود، حيث جعل منه مغيراً غازياً في الليل، وبذلك مضت أيام الشباب الحميدة بسرعة: {الهزج}

إِلَى أَنْ عَاثَ فِي اللَّيْلِ مُغْيِرًا عَسْكَرُ الْفَجْرِ
مَضَتْ أَيَّامُنَا تِلْكَ حَمِيدَاتٍ وَلَمْ نَذُرْ (3)

إن تذكر ابن مطروح لعهد شبابه، استحضر النشوة والسعادة في نفسه، حيث كان يستقطب فيه الجميلات، وهذا ما زاد من لوعته وتحسره على أيام الشبيبة، فالشيب ينذر بالشيخوخة وفراق الماضي، ويخلق في نفس الشاعر مقارنة بين الماضي الجميل عندما كان مختالاً مفتخراً بمنظره الحسن، حيث الشعر الشديد السواد، الذي جعل النساء الحسان يتوددن له؛ ليظفرن بحبه ومودته، وبين الحاضر القاسي، فقد راع منظر الشيب في رأس الشاعر الحسان فهجرنه، إذ يقول: { الكامل }

تَذَكَرُ أَيَّامَ الشَّبَابِ يُطْرَبُ وَحَدِيثُهَا يَحُلُو لَدِيَّ وَيَعْدُبُ
كَرَّرَ أَحَادِيثَ الشَّبَابِ، فَإِنَّهَا تَنْفِي الهمومَ عَنِ الْقَوَادِ، وَتَسْلُبُ
عِنْدِي بَقَايَا نَشْوَةٍ مِنْ عَصْرِهِ أَفْنَى، وَبَاقِي نَشْوَتِي لَا يَذْهَبُ
وَأَهَاءَ عَلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ، فَإِنَّهُ عِنْدِي مِنَ الْعُمَرِ الزَّمَانُ الْأَطْيَبُ

(1) فتیان الشاغوري، الديوان 209، 210.

(2) نفسه، 52/51.

(3) نفسه، 210.

أَيَّامُ أُرْفُلُ فِي مَلَابِسِ صَبُوءٍ وَالْفَوْدِ مِنْ حُسْنِ التَّضَارَةِ غَيْهَبُ
وَتَمُوجُ فِي بَحْرِ الْعَرَامِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ لِغَيْرِي بِالْغَوَايَةِ مَرْكَبُ
وَالْغَانِيَاتُ تَحُومُ حَوْلَ مَوَدَّتِي هَذَا نُوَاصِلُنِي - وَهَذَا نَعْتَبُ
وَيَزِيدُنِي - مَهْمَا هَمَمْتُ بِسَلْوَةٍ فِي الْحَبِّ وَجَدْتُ حُبًّا مَنْ يَتَحَبَّبُ
وَالْيَوْمُ قَدْ رَاعَ الْعَذَارَى مَنظَرُ يَكْرَهْنَهُ، وَهُوَ الْعَذَارُ الْأَشْيَبُ⁽¹⁾

ويسترجع الأرجاني ذكرياته الماضية فيحن إلى أول أيام عمره بصباحها وضحاها ومساءها، تلك الليالي التي تشبه ثوب العروس في جماله وبهائه، مما جعل الشاعر متبخرراً في مشيته، مفتخراً بشبابه الزاهي بالقوة والحيوية، إلا أن هذه الليالي مضت قصيرة لأنها في أول العمر، ويتمنى لو أنها لم تذهب، ولكن أتى له أن يتحقق ما تمناه، فالماضي لا يقبل الإعادة والاسترجاع يقول: { الطويل }

أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الضُّحَى وَالْأَصَائِلِ وَمَا سَرَّ فِي أَيَّامِنَ الْقَلَائِلِ
قَصْرُنَ وَكَانَتْ أَوَّلَ الْعُمُرِ لَدَّةً كَمَا قَصُرْتُ ذُرْعاً كُغُوبِ الْعَوَامِلِ
لَيْالٍ كَجِبَابِ الْعَرُوسِ لِبَسْنِهَا أَجْرُّ مِنْهَا الدَّيْلُ تَجْرِيرَ رَافِلِ
سَوَالِفُ بَيْضٍ مِنْ زَمَانٍ كَأْتِهَا سَوَالِفُ بَيْضٍ مِنْ حَسَنِ عَقَائِلِ
وَقَدْ مُلِّتُ مِنْ كُلِّ حَلِيٍّ لِنَاطِرِ فَيَا حُسْنَهَا لَوْ كُنَّ غَيْرَ زَوَائِلِ
فَلَيْهِ أَيَّامٌ قِصَارٌ تَتَابَعَتْ فَلَمَّا تَقَضَّتْ أَعْقَبَتْ بِأَطْوَالِ
كَأَنَّ اللَّيَالِي حَاسِبَتْنَا فَأَرْسَلَتْ أَوَائِلَ فَاسْتَوْفَتْ بَقَايَا الْأَوَائِلِ⁽²⁾

ويهيج هديل الحمام على غصنه أحزان الشاعر المشتاق، وتذكره بزمان مضى بلذة عيشه المفقدة، حيث يقول الأرجاني: { البسيط }

إِذَا الْحَمَامُ عَلَى الْأَغْصَانِ غَنَانَا فِي الصُّبْحِ هَيِّجَ لِلْمُشْتَقِ أَحْزَانَا
وَرُقٌّ يُرَدِّدُنَا لِحْنًا وَاحِدًا أَبَدًا مِنَ الْغِنَاءِ وَلَا يُحْسِنُ الْحَانَا
ذَكَّرْنَا زَمَنًا عِشْنَا دَوِي طَرْبِ لِذِكْرِهِ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَرْنَا أَرْزَانَا
ظَلْمٌ، مِنَ الْآنَ يَنْسَانَا وَنَذْكُرُهُ حَتَّى مَ نَذْكُرُ الْإِفَاءَ وَهُوَ يَنْسَانَا؟⁽³⁾

(1) ابن مطروح، الديوان، 210.

(2) الأرجاني، الديوان، 209/2.

(3) نفسه، 353 /2.

ويحن أسامة بن منقذ إلى الأيام الجميلة التي قضاها برفقة محبوبته، ففراق أسامة لمحبوبته ثم فراقه لأهله لم يتركها في نفسه إلا لواعج الحنين، الذي غدته ذاكرته، فراح يستذكر أيامه التي قضاها بالقرب من محبوبته(1)،

يقول: { المنسرح }

أه لِعَيْشِي، مَا كَانَ أَنْعَمَهُ بِفُرْيُكُم، وَالزَّمَانُ طَوْعُ يَدِي
أَيَّامَ وَرَدِي مِنْ مَاءِ أَوْجُهُكُمْ عَذْبٌ، وَقَلْبِي بَعْدَ الْوُرْدِ صَدِي
فَقَرَّقْنَا النَّوَى، فَوَاطَمْنِي إِلَى ارْتِشَافِ الْعُقَارِ مِنْ بَرْدِ(2)

أما حياة أسامة بن منقذ بعد ذلك الفراق أصبحت حزينة يائسة، لم يشعر فيها بالسعادة، وكيف يأتيه الفرح بعد أن انقضت أيام السعادة والوصال، فلا تنفع كلمة كُنَّا الشاعِر بشيء، وذلك لأن الماضي لا يعود، والأيام دول، يقول: { الرَّمْل }

يَا زَمَانَ الْفُرْبِ سُقِيًا لَكَ، مِنْ زَمَنٍ، لَوْ كَانَ قُرْبُ الدَّارِ أُغْنَى
لَمْ تَكُنْ إِلَّا كَظَلِّ زَائِلٍ وَالْمَسْرَاتُ تَلَاشِي، ثُمَّ تَقْفَى
سَاءَنَا مَا سَرَرْنَا مِنْ عَيْشِنَا بَعْدَ مَا رَاقَ لَنَا مَرَأَى وَمَجْنَى
فَا فُتِرْنَا بَعْدَ مَا كُنَّا صَدَى إِنَّ دَعْوَنَا وَكَفَانَا قَوْلٌ: كُنَّا
وَكَذَا الْآيَامُ: مِنْ عَادَاتِهَا أَهَّا تُعْقِبُ سَهْلَ الْعَيْشِ حَزْنَا
خُلِقَ لِلدَّهْرِ: مَا أَوْلَى امْرَأً نِعْمَةً مِنْهُ، فَمَأَاهُ، وَهَنَّا(3)

ويتلذذ أسامة بن منقذ بالحنين إلى الأيام الماضية، فتلك الأيام ألد وأجمل من حاضره الذي أصبح كله هموماً وأحزاناً: { البسيط }

سُقِيًا لِدَهْرٍ، نَعْمَنَا فِي غَضَارَتِهِ إِذْ فِي الْحَوَادِثِ عَمَّا سَاءَنَا بَلَهُ
وَعَيْشِنَا لَمْ يُخَالِطْ صَفْوَهُ كَدْرٌ وَوَدْنَا لَمْ تَشْبُ إِخْلَاصَهُ الشُّبُهَ
مَضَى، وَجَاءَ زَمَانٌ لَا نُسْرِيهِ كُلُّ الْبَرِيَّةِ مِنْهُ فِي الَّذِي كَرُّهُوا(4)

(1) ينظر: سليمان ، رولا ناصر ، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية ، 190، رسالة ماجستير

جامعة دمشق ، (د.م.)،(د.ت).

(2) أسامة بن منقذ ، الديوان 62.

(3) نفسه 100، 101.

(4) نفسه، 107.

ويؤرق الملك الأمجد الأيوبي رحيل زمن الشباب والصبوة، وقدم الشيب، الذي يوحى بالشيخوخة والكبر، ويهدد الذات بالفناء، فيكون سبباً في نفرة النساء الجميلات، وبذلك ينهي شبابه بالهجران والصدود إذ يقول: { المتقارب }

فَهَلْ لِي شَفِيعٌ إِلَى فُرَيْهَاءِ؟ وَهَلْ لَوْصَالٍ مَضَى مَرْجِعُ؟
أَبْعَدَ الْمَشِيبِ أرومُ الشَّفِيعِ؟ وَهَيْهَاتَ، بَانَ الَّذِي يَشْفَعُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بِيضٌ يَسُوءُ عُيُونَ الْغَوَانِي، وَلَا يَنْفَعُ
شَبَابُ الْفَتَى دُونَ هِجْرَانِهِ إِذَا رُمِنَ هِجْرَانُهُ يَمْنَعُ⁽¹⁾
وقال أيضاً: { الكامل }

عَهْدُ الصَّبَا، وَمَعَاهِدُ الْأَحْبَابِ دَرَسَا، كَمَا دَرَسَتْ رُقُومُ كِتَابِ⁽²⁾
يخيم الإحساس باليأس على ابن الهبارية، فيبدي تدمره من ثقل الضيف ويوحى بتخوفه من بوادر الشيخوخة فقد رحل الشباب أخذاً معه الحيوية، والنشاط⁽³⁾ ولم يبق للشاعر سوى لوعة الفقد والحرمان، إلا أن قلبه بقي حياً يعشق العشق، ويحب الخسارة، فالشاعر يرفض الواقع المرير، فيقول: { المديد }

نَزَلَ الشَّيْبُ بِفُودِي ضَيْفًا يَا سَقَاهُ اللهُ ضَيْفًا وَجَارًا
وَكَسَانِي وَقَدَهُ كُلَّ وَصْفٍ مِنْ صِفَاتِ الشَّيْخِ إِلَّا الْوَقَارَا
وَسَقَانِي مِنْ أَذَاهُ كُؤُوسًا مُرَّةً تَعْقِرُ لَيْسَتْ عُقَارَا
مُتَ إِلَّا أَنْ قَلْبِي حَيٌّ يَعَشِقُ الْعَشِقَ وَيَهْوَى الْخَسَارَا
يَتَّصَابِي بَعْدَ مَا رَدَّ كَرَهًا مِنْ غِيَابَاتِ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا
مَا الَّذِي تَصْنَعُ بِاللهِ قُلْ لِي مَا أَرَى فِيهِ عَائِيكَ أَقْتَدَارَا
فَإِنْ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ نِضْوٌ مَا أَطِيقُ الْخَطُوَ إِلَّا قِصَارَا⁽⁴⁾

ويتصاعد الحنين إلى عصر الشباب عند الكندي البغدادي، فيظهر تفجعه على رحيل زمن الصبا واللهو، متأسفًا على فراقه. يقول: { الطويل }

زَمَانُ الصَّبَا وَاللهو حُيِّتَ بَائِنًا وَإِنْ كُنْتَ بِالذِّكْرِى عَلَى الْبُعْدِ دَانِيَا

(1) الملك الأمجد، الديوان، 173، 174..

(2) نفسه، 187.

(3) ينظر: حبيب، محمود وهران، الحنين في شعر صدر الإسلام، 8، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق،

2003م.

(4) الديوان، 92.

تَحْيَاةً مَفْجُوعَ بَفَقْدِكَ عَالِمٍ عَلَى طَمَعِ الْأَشْوَاقِ أَنْ لَا تَلْقَايَا
 أَقَامَ حَمِيداً ثُمَّ وَدَّعَ مُعْذِراً فَسَاعَفَ بِالْعُتْبَى مُقِيماً وَمَاضِياً (1)
 ويبرز الشّاعر المفارقة بين الحاضر في صورته الانهزامية، وبين الماضي،
 ويعمق إحساسه بفاجعة الفقد، ويتيح للذّات مزيداً من التفجع على زمن الشّباب الذي
 غَادَرَ دون رجعة، و في الغالب كان تفجع الشّاعر يخفي في طياته حنيناً مُبْطِناً إلى
 مواصلة السّعي في الحياة والإحساس بالوجود والكينونة(2)، إذ يقول الكندي البغدادي
 { الطويل }

وَأَقْبَلَ عَصْرُ الشَّيْبِ بَعْدَ وَدَاعِهِ عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَيْسَ يَبْرُحَ تَأْوِيَاً
 فَأَيَّتَ شَبَابِي كَانَ عِنْدِي شَبِيهَةً وَلَيْتَ مَشِيبي كَانَ عِنْدِي شَبَابِيَاً
 وَقَالُوا تَعَوَّضَ بِالتَّصَابِي عَنِ الصَّبَا فَأَيَّتَ لَهْمٌ: هَزُوٌّ بِنَفْسِي أَنَّنِي
 زَمَاناً عَسَى أَنْ تَسْتَلِدَّ التَّصَابِيَا أُحَاوِلُ إِخْفَاءً لِمَا لَيْسَ خَافِيَاً (3)

ويتحسر أبو الحسن الدمشقي(4)، على أيام شبابه الزاهية، متذكراً قوته وصابه، ثم
 واصفاً ما آلت حاله إليه من ضعف وعجز، منعته من اللهو والصبابة: { الكامل }

لَهْفِي عَلَى عَصْرِ الشَّبَابِ وَطَيْبِهِ وَبَعْضَ حَقِّي إِنَّنِي أَتْلَهْفُ
 أَيَّامَ غَصْنِي نَاضِرٌ وَشَمَائِلِي نُصْبِي الْحَكِيمَ وَبَدْرٌ تَمِّي مُشْرِفٌ
 وَيُوجِنِّي مَاءٌ وَنَارٌ غَالَةٌ لَيْلُ الْعِدَارِ فَشَمْسٌ صَحْوِي تَكْسِفُ (5)

يظل المزدقاني(6) متصلاً بماضيه من خلال مشاعر الحنين إلى زمن الشّباب
 المفعم بالحوية والنشاط، فيظهر رغبة بالعودة إلى ذلك الزّمن، فيقول: { البسيط }

(1) الكندي البغدادي، الديوان، 68.

(2) ينظر: حبيب، محمود وهران، الحنين في شعر صدر الإسلام، 14، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003م.

(3) ينظر: حبيب، محمود وهران، الحنين في شعر صدر الإسلام، 14، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003م.

(4) أبو الحسن الدمشقي: علي بن إسماعيل بن المجن بن يوسف بن غازي بن محمود، أبو الحسن الدمشقي، يعرف بعلين النيف، أقام بالوصل، توفي فيها سنة 634هـ، ينظر: ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 135/5.

(5) ابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 135/5

(6) المزدقاني: أحمد بن أسعد بن أحمد بن عبد الرزاق بن بكران، أبو الفضل المزدقاني صفي الدين، المعروف بابن الكريم الملك، كان من سلالة الوزراء، مولده بدمشق سنة 573هـ، وتوفي في بعلبك سنة 615هـ، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 425/6، وابن الشعار الموصل، قلاند الجمان، 158/1.

رُدُّوا زَمَانَ الصَّبَا وَاللَّهُو وَالْكَاسِ وَعَالُونَ بِئُذْمَانِي وَجَلَّاسِي
وَأَسْتَيْقِنُوا أَنْ أَقْصَى مَا أَوْمَلَهُ وَأَشْتَهِي شَرْبَهُ مِنْ مَاءِ بِلْنَسٍ (1)
وَأَنْ تَحَقَّقْتُمْ أَنْ لَيْسَ يُمَكِّنُكُمْ هَذَا فَحَسْبِي صَبَابَاتِي وَوَسْوَاسِي
مَنْ لَيْسَ يَقْدِرُ أَنْ يَقْضِيَ لِصَاحِبِهِ حَقًّا يُعَدُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ فِي النَّاسِ (2)
ويتألم ابن المقرئ العباسي الموصلية (3) على أيامه الماضية، متذكراً شبابه
وصبابه، مظهراً استسلامه وإقراره بالواقع المرير، فالحنين لا يشفي ما في القلب
من حسرة ولوعة، إذ يقول: { الطويل }

تَذَكَّرَ أَيَّامَ الصَّبَا فَتَأَلَّمَا وَحَنَّ وَهَلْ يَشْفِي الْحَنِينُ الْمُتَيْمًا؟
وَفِي النَّفْسِ أَشْوَاقٌ وَفِي الْقَلْبِ حَسْرَةٌ أَبَتْ طَوْلَ هَذَا الدَّهْرِ أَنْ تَنْصَرَّمَ (4)
يجذب الحنين إلى الزمان الماضي ابن النجم الليلي (5)، فقد ولى أول الشباب
ونضارته، وذلك العصر الذي يتمتع به بالعنفوان والنشاط، وأمسى اليوم شيخاً مسناً
غير قادر على الفوز بحب الغواني ورضاهن، فلم يعد يهيمه حوادث الدهر وخطوبه
وهذا ما يظهر بقوله: { الكامل }

شَرَّخُ الشَّبَابِ مَضَى وَرَيَعَانُ الصَّبَا وَلَى وَمَا ظَفَرَتْ يَدَايَ بِطَائِلِ
وَالْغَانِيَاتُ صَدَدْنَ حَيْثُ رَأَيْتَنِي غَرَضَ الْحَوَادِثِ وَالزَّمَانَ الْمَائِلِ
وَالْأَقْرَبُونَ تَفَرَّقَتْ أَرَاؤُهُمْ عَنِّي وَصَدَّ مُعَاشِرِي وَمُواصِلِي
فَعَلَامُ أَجْزَعُ لِلْخُطُوبِ وَصَرَفَهَا وَلَايِمًا حَالَ تَهَيُّجِ بِلَابِي (6)
ويشعر سبط بن التعاويذي باليأس والإحباط، فقد سلب عصر الشباب الماضي
بطيب عيشه، وليالي أنسه المفتقدة، وهذا ما يعمق المأساة، فالحاضر يهدد بالشيخوخة،
التي لا أمل منها باللهو والصبابة، فيقول: { الكامل }

(1) بلناس: كورة ومدينة صغيرة، وحصن بسواحل حمص على البحر، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان ، 580/1، 581.

(2) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 159/1.

(3) ابن المقرئ العباسي الموصلية: عبد الله بن الخضر بن محمود المقرئ، أبو العباس الموصلية، المولد النشأة، لم يرد له سنة ولادة، ووفاة، ولكن ورد أنه نزل بمدينة إربل سنة 627هـ، ينظر: ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 236/3.

(4) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 236/3.

(5) ابن النجم الليلي: محمد بن بدر بن الحسين بن مقبل بن السمين، أبو الفرج بن أبي النجم الليلي البصري، ولد سنة 584هـ، بقرية تدعى قرية فاطمة من أعمال وأسط، ونشأ بالعفر قرية بنواحي البصرة، لم ترد سنة وفاته، ولكن المؤلف ذكر أنه شاهد ابن نجم الليلي في رمضان سنة 633هـ، ينظر: ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 164/7.

(6) ابن الشعار الموصلية، قلاند الجمان، 165/7.

عَصْرُ الشَّبَابِ تَصَرَّمَتْ أَوْقَاتُهُ
أَوْدَى بِجِدَّتِهِ الْمَشْيِبُ فَأَخْلَقَتْ
كَانَ الشَّفِيعُ إِلَى الْحِسَانِ فَمُدَّ مَضَى
وَالشَّيْبُ لَا يُعْضَى لَهُ عَن هَفْوَةٍ
وَلَقَدْ عَلَوْتُ سَرَاةَ أَشْهَبَ نُجْتَوَى
لَا يَبْعُدَنَّ زَمَنُ الشَّبَابِ وَالْهَوَى
زَمَنٌ خَلَّتْ أَيَّامُهُ وَعُهُودُهُ

ويحزن الزمخشري (2) إلى أيام الشباب والعنفوان والنشاط ، بما تحمله من ذكريات جميلة عزيزة على قلبه، ولذات العيش المفتقدة، وليالي اللهو الداهية، ويتمنى عودتها، فيقول: { البسيط }

ليالي اللهو في سِفْطِ اللَّوَى عُودِي
غَبْنٌ عَلَيَّ بَطَالَتِي إِذَا فُقِدْتُ
عُودِي وَغَصْنُ شَبَابِي أَخْضَرُ الْعُودِ
فِي عُنْفُوَانِ شَبَابٍ غَيْرِ مَقْفُودِ
إِلَّا بِشْرِبِ مِنَ اللَّذَاتِ مَوْزُودِ (3)

ويتأسف ظافر الحداد على رحيل زمن الشباب، ويعض أصابعه ندما على ذهابه، إذ لا أمل من عودته، إذ يقول: { الكامل }

أَسْفِي عَلَى زَمَنِ الشَّبَابِ الزَّائِلِ
وَأَلَى فَلَا طَمَعٌ بِعَطْفَةِ هَاجِرِ
أَسْفٌ أَدِيمٌ عَلَيْهِ عَضٌّ أَنْامِلِي
لَمْ يُظْفِرَا حَظِّي لَدَيْهِ بِطَائِلِ (4)

(1) سبط بن التعاويذي، الديوان، 63.

(2) الزمخشري: محمود بن عمر بن محمد الخوازمي الزمخشري، لقب بجار الله، لأنه أقام في مكة مدة مجاورا البيت الحرام، ولد 467هـ، بقرية زمخشر، توفي سنة 538هـ، في الجراجانية، إحدى قرى خوارزم، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 81/2.

(3) الزمخشري، الديوان، 243.

(4) ظافر الحداد، الديوان، 247.

وخلص القول، إنّ الشاعر الزّنكي والأيوبي عبر عن حنينه إلى الذّكريات الماضية بما تحمله من أوقات الهناء والسّرور، ورغد العيش المفقّد، وتمنى عودة تلك الأوقات، وعقد مقارنة بين الماضي بصورته الجميلة، والحاضر بصورته الانهزامية المريرة، وأظهر، كيف تحول ذلك الحنين إلى نقمة على الحاضر بشيخوخته، وشيب رأسه الذي نفرّ الجميلات منه وهذا ما زاد من حزنه وألمه.

خامساً: الحنين الديني.

عبر الشعراء في العصرين الزنكي والأيوبي عن حنينهم الديني من خلال قصائد التّصوف والرّهد، والحنين إلى الأماكن المقدسة، فقد تكرر ذكر هذه الأماكن في نتاجهم الشعري، ليظهروا ما في أنفسهم من شوق وحنين إلى تلك الرّحاب الطاهرة.

وقسمت الدّراسة الحنين الديني إلى قسمين، وهما:

1-الحنين إلى الدّيار الحجازية والأماكن المقدسة.

حنّ الشّاعر الزنكي والأيوبي إلى الرّحاب الطاهرة، حيث أورد ذكرها في قصائده الشعريّة، من مثل: مكة، والمدينة، وغيرها، ومن الشعراء الذين تناولوا هذا الجانب، الزّمخشري: فقد قال قصائد في الحنين إلى مكة والبيت الحرام وغيرها من المواضع التي تعبر عن شوقه وحنينه إلى تلك الدّيار المقدسة، فبكى شوقاً وحنيناً إلى مكة وأيامها، مظهراً تلهفه وحنينه إليها وإلى صخرها المبارك، وما يحيط بها من مواضع، مشبهاً حنينه بحنين النّاقة التي فقدت البكر، ولا يفوت الزّمخشري أن يشبّه حزنه لفراق مكة وبكائه عليها ببكاء الخنساء على أخيها صخر⁽¹⁾، فيقول:

{ الطويل }

بُغَاءَ عَلَى أَيَّامِ مَكَّةِ إِنَّ يِي
تَذَكَّرْتُ أَيَّامِي بِهَا فَكَأَنِّي
أَبَيْتُ عَلَى الصَّخْرِ الْمُبَارِكِ بَاكِيًا
وَحِينَ تَخَطَيْنَا الْمَنَاقِبَ⁽²⁾ وَارْتَمَتْ
وَشَطَّ بِأَصْحَابِي عَنِ الْأَبْطَحِ⁽³⁾ السُّرَى
وَقُلْتُ أَلَا أَيْنَ الْحَطِيمِ⁽⁴⁾ وَزَمَزَمُ
وَقُلْتُ لِقَلْبِي قَدْ مَلَأْتُكَ مَرَّةً
إِلَيْهَا حَنِينَ النَّابِ فَاقِدَةَ الْبَكْرِ
قَدْ اخْتَلَفْتُ زُرْقَ الْأَسِنَّةِ فِي صَدْرِي
كَمَا كَانَتْ الْخَنَسَاءُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ
بَنَّا الْعَيْسُ تَهْوِي فِي مَسَالِكِهَا الْعُبْرِ
وَلَطَّ الْجِبَالَ الْمَشْمَخِرَاتِ بِالسُّرَى
وَمَالِي مَحْجُورًا عَنِ الرُّكْنِ وَالْحَجْرِ
فَمَا أَنْتَ إِلَّا طَائِرٌ طَارَ عَنْ وَكْرٍ⁽⁵⁾

(1) ينظر: عمرو، علي عبد الله، تحقيق: ديوان الزّمخشري، ودراسة لشعره، 122، رسالة دكتوراة، جامعة

القاهرة، 1979م.

(2) المناقب: طرق الجبال، واسم الطريق إلى الطائف، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة (نقب).

(3) الأبطح: مسيل فيه دقاق الحصى المنبسط على الأرض، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى لأن المسافة

بينه وبينهما واحدة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 95/1.

(4) الحطيم: حجر الكعبة أو جداره أو ما بين الركن وزمزم، والمقام، وزاد بعضهم الحجر، أو من المقام إلى

الباب أو ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام حيث يتحاطم الناس للدعاء، ينظر: الفيروز آبادي،

القاموس المحيط، مادة (حطم).

(5) الزّمخشري، الديوان، 50، 51.

ويهيح ذكر مكة المكرمة وما فيها من أماكن مقدسة أشواق الزمخشري وحنينه، فقد ضعف صبره وتمنى الذهاب إلى عرفات، ومنى ومسجدها لما يعترى صدره من خلجات الوجد والصبابة إلى تلك الأماكن، متذكراً مناسك الحج، فالشوق يضعف صبره ويجعله دائم الحنين والاشتياق إلى البقاع الطاهرة، حيث يقول: { الطويل }

وَهَاجَ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ هَاجِجٌ
فُؤَادِي إِذَا أُمُّ الْقُرَى مَرَّ ذِكْرُهَا
وَيَصْبُحُ وَجْهِي شَاحِبًا فَإِذَا جَرَى
أَيَا حَبَّبَا سَوقِي الرِّكَابَ مُلَبِّيًا
وَلَيْلَةَ جَمْعٍ وَالبُكُورُ إِلَى مَنَى
وَوَطْأُ بِسَاطِ الرِّحْمَةِ وَالمُبْتَعَى وَأَنْ
تَذَكَّرْتُهَا فَارْقُضْ صَبْرِي وَفُؤَاتِي
مِنْ الشَّوْقِ يَنْهَى النَفْسَ أَنْ تَتَّصَبَّرَا
يَرْفُ رَقِيفَ الأَفْحَوانِ مُؤَوَّرَا
تَبَلَّجْ وَجْهِي كَالصَّبَّاحِ وَأَسْفَرَا
إِلَى عَرَفاتِ أَشْعَثِ الرَّأْسِ أُغْبَرَا
وَعَنْ مَسْجِدِ الخَيْفِ انْحِدَارِي مُجَمَّرَا
أَهْرُولَ فِيهِ حَالِقًا وَمُقَصِّرَا
وَلَا بُدَّ لِلْمُشْتَّاقِ أَنْ يَتَذَكَّرَا (1)

ويغمر الشوق والحنين الزمخشري في الوصول إلى مكة والبيت الحرام، فقلبه يحترق بنار الشوق فتخرج أنفاسه كلهيب النار، وتنسكب دموعه فتحرق وجنتيه (2)، ويندم على فراق حرم الله، فيقول: { الخفيف }

حَرَمَ اللهُ لِي إِلَيْكَ اشْتِيَاقُ
نَفْسٌ وَاقْدُ مَنَى يَتَصَاعَدُ
مَا ذَكَرْتُ السُّكْنَى بِمَكَّةَ إِلا
مَعَ بُؤْسِ الحِجَازِ أَصْبُو إِلَيْهِ
ثُمَّ بَيْتُ اللهِ العَتِيقُ إِلَيْهِ
حَوْلَهُ أَهْلُ خَشْيَةِ تَخْشَعُ الأَبْ
مِنْهُمْ طَائِفٌ وَقَائِمٌ لَيْلِ
أَيُّ فُؤْمٍ فَارْقُضْتُ فِي أَيِّ أَرْضِ
دُونَ أَدْنَاهُ تُقْرِحُ الأَمَاقُ
يَنْحَدِرُ دَمْعُ عَيْنِي المُهُرَاقُ
قَدَحَتْ فِي فُؤَادِي الأَشْواقُ
لَمْ يَرُقْنِي مَعَ التَّعِيمِ العِرَاقُ
تَنَرَّامِي بِأَهْلِهَا الأَفْاقُ
صَارَ مِنْهُمْ وَتَخَضَعُ الأَعْناقُ
قَانَتْ تَسْتَغِيثٌ مِنْهُ السَّاقُ
أَيُّ يَوْمٍ بِهِ دَهَانِي الفِرَاقُ (3)

(1) الزمخشري، الديوان، 192.

(2) ينظر: عمرو، علي عبد الله، تحقيق: ديوان الزمخشري، ودراسة لشعره، 120، رسالة دكتوراة، جامعة

القاهرة، 1979م.

(3) الزمخشري، الديوان، 531.

ويحُنُّ الزَّمَخْشَرِيَّ إِلَى وَقُوفِهِ بِعَرَفَاتٍ وَاصْفَاءً قَدُومِ الْحَجِيجِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصُوبٍ،
حَيْثُ تَسْمَعُ الْأَدْعِيَةَ وَالْأَنْكَارَ، يَقُولُ: { الْخَفِيفُ }

حَبَّذَا نَهَضْتِي إِلَى عَرَفَاتٍ مِنْ مَيِّ أَرْجُرُ الْمَطِيَّ ابْتِكَارًا
حَيْثُ لِلْوَافِدِينَ مَنْ كُلِّ فَجٍّ زَجَلٌ طَبَّقُوا بِهِ الْأَقْطَارَا
حَيْثُمَا مَالَتْ الْمَسَامِعُ مِنْهَا تَسْمَعُ الْأَدْعِيَّاتِ وَالْأَنْكَارَا
وَعُدُويُّ أَهْلَ مَكَّةَ حَوْلِ— يُّ تُلَّبِّي بِذِي طُويِّ عَمَّارَا
وَقِيَامِي فِي الْقَائِمِينَ بِئِيلِ وَصِيَامِي فِي الصَّائِمِينَ نَهَارَا(1)
كما يحنُّ إلى زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وَزَفِيفُ الرِّكَّابِ أُمَّهُ قَبْرُ الـ مُصْطَفَى تَحْتَ أَرْحَلِي مُزْدَارَا(2)
ويتمنى الزَّمَخْشَرِيَّ فِي حَنِينِهِ إِلَى الْحَرَمِ الشَّرِيفِ، أَنْ تَعُودَ تِلْكَ الْوَقْفَاتِ فِي عَرَفَةَ،
وَأَنْ يَشْرَبَ مِنْ مَاءِ زَمَزَمَ قَبْلَ أَنْ يَتُوفَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيقول: { الْخَفِيفُ }

وَقَفَّاتِي بِالْقَاعِ مِنْ عَرَفَاتٍ عُنْدَ أَهْلٍ بِكَنْ مِنْ وَقَفَّاتِ
وَقَفَّاتِي ذِكْرِي لَكُنَّ غَرَامٍ مِنْهُ قَطْرُ الْجُفُونِ دُوْ وَكَفَّاتِ
حَبَّذَا أَنْ يَقْطُرَ الْمَاءُ فِي حَلْقِ— ي مِنْ زَمَزَمِ قُبَيْلِ وَقَفَّاتِي(3)
ويشتد الحنين بالشاعر فيشتاق إلى حنين وأرضها الفقراء، حتى أن الإبل عطشت
شوقاً إلى تلك الديار، إذ يقول: { الوافر }

وَجَدَّ بِنَا الْحَنِينُ إِلَى حُنِينِ وَحَنَّتْ تَحْتَ أَرْحَانَا الْمَهَارِي
لَنَا وَلَهْنٌ أَكْبَادُ حِرَارٍ إِلَى تِلْكَ الْأَبَارِقِ وَالْحِرَارِ
أَنْحَنَا فِي رِيَاضِ الْحَزْنِ نَبْكَي دَمًا حُرْنًا عَلَى تِلْكَ الْقَقَارِ
وَمَحْضُ شَيْبٍ بِالْعَسَلِ الْمُصَفَّى فِدَاءُ الْقَعْبِ(4) مِنْ ذَاكَ السَّمَارِ(5)
وَدَارٍ قَدْ بَسَأْتُ(6) بِهَا فَكَأَنْتِ - وَمَا هِيَ خَيْرُ دَارٍ - خَيْرُ دَارٍ(7)

(1) الزمخشري، الديوان، 533.

(2) نفسه، 533.

(3) نفسه، 532.

(4) القعب: القدح الغليظ، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(قعب).

(5) السمار: اللبن الكثير الماء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(سمر).

(6) بسأت: مررت، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (بسأ).

(7) الزمخشري، الديوان، 302.

تظهر الأبيات السابقة عاطفة الزمخشري الجياشة إلى البلد الحرام، وإلى الأماكن المقدسة فيه(1).

ومن الشعراء الذين حنوا إلى الأماكن المقدسة ، ابن جبير، فقد عبر عن شوقه وحنينه إلى مكة المكرمة بتهنئة الحجيج الذين اجتمعوا في تلك الرحاب الطاهرة،
قائلاً: { الرمل }

يَا وَفُودَ اللَّهِ فُزْتُمْ بِالْمُنَى فَهَنِيئًا لَكُمْ أَهْلَ مَنَى
قَدْ عَرَفْنَا عَرَفَاتٍ مَعَكُمْ فَلَهَذَا بَرَحَ الشُّوقُ بِنَا(2)

وفي أبيات أخرى يكون أكثر تعلقاً وحنيناً إلى الديار المقدسة مشبهاً نفسه بالطائر الذي يحاول أن يقع على بغيته، وهي البقاع الثلاث، البيت الحرام، ومسجد الرسول، صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى(3) { الخفيف }

طَالَ شَوْقِي إِلَى بَقَاعِ ثَلَاثٍ لَا تَشُدُّ الرَّجَالَ إِلَّا إِلَيْهَا
إِنَّ لِلنَّفْسِ فِي سَمَاءِ الْأَمَانِي طَائِرًا لَا يَحُومُ إِلَّا عَلَيْهَا
فَصَّ مِنْهُ الْجَنَاحُ فَهُوَ مَهِيضٌ كُلُّ يَوْمٍ يَرْجُو الْوَفُوعَ عَلَيْهَا(4)

كما يشناقُ ابن جبير إلى طيبة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو يرى أن السعادة ضمنت لكل من نال زيارة طيبة وحج إلى بيت الله الحرام، وحط عن النفس ذنوبها، قائلاً: { المتقارب }

هَنِيئًا لِمَنْ حَجَّ بَيْتَ الْهُدَى وَحَطَّ عَنِ النَّفْسِ أَوْزَارَهَا
وَإِنَّ السَّعَادَةَ مَضْمُونَةٌ لِمَنْ حَجَّ طَيْبَةَ أَوْ زَارَهَا(5)

(1) ينظر: عمرو، علي عبد الله، تحقيق: ديوان الزمخشري، ودراسة لشعره، 124، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

(2) ابن جبير، الديوان، 90.

(3) دقالي، محمد أحمد ، الحنين في الشعر الأندلسي، 344.

(4) ابن جبير، الديوان، 107.

(5) نفسه، 65.

2- الحنين الصوفي.

عبر الشعراء الزنكيون و الأيوبيون عن حنينه الصوفي بمعناه الظاهر حسب ألفاظه الظاهرة، وبمعناه الباطن الذي يرمز إلى الحنين إلى الذات الإلهية، ومن الشعراء الذين امتازوا بالتعبير عن الحنين الصوفي والحب الإلهي ابن الفارض⁽¹⁾، فقد امتلأ شعره بألفاظ العشاق العذريين، من مثل: العشق، الشغف، الوجد، والهوى، والوصل، والاشتياق ، ، والهجر، والقرب، والبعد، والتور، والحسن والجمال، كما رمز بمشاهير نساء العرب مثل: هند، وليلى، وسلمى وغيرهن إلى حبه المطلق إلى الذات الإلهية.

الحنين الصوفي في شعر ابن الفارض:

عبر ابن الفارض عن حنينه الصوفي من خلال قصائد احتوت أشرف الألفاظ والمعاني في محبة الله تعالى، والتقرب إليه سبحانه⁽²⁾ واتخذ ابن الفارض من الشعر العذري العفيف طريقه للتعبير عن أذواقه ومواجهه، في شكل غنائي⁽³⁾.

واستخدم ابن الفارض في حنينه الصوفي عدة أساليب، منها :

أ- الوقوف على الأطلال

عبر ابن الفارض عن حنينه الصوفي من خلال مخاطبته لحادي الأطلال، طالباً منه أن يعرّج على ديار المحبوب، وأن يبلغ التّحية إلى سكان الحي، وأن يطرح ذكره عندهم، فقد ترك محباً متيماً، أضناه الحب والشوق، وهذا المعنى الظاهر.

إذ يقول: { الرَّمْل }

سَائِقَ الْأَطْعَانِ يَطْوِي الْبَيْدَ طِيٍّ مُنِعْمًا عَرَجَ عَلَى كُؤْبَانِ طِيٍّ
وَبَدَاتِ الشَّيْخِ⁽⁴⁾ عَنِّي إِنْ مَرَرُ تَ بَحَيٍّ مِنْ عُرَيْبِ الْجَزَعِ حَيٍّ

(1) ابن الفارض: هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي الأصل، المصري المولد والدار، عرف بابن الفارض ينحو في شعره منحى الصوفية، ولد سنة 576هـ، وتوفي في القاهرة ودفن في سفح الجبل المقطم سنة 632هـ، ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، 149/5، 153.

(2) البوريني والنايلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 1/ 3.

(3) نصر، عاطف جودة، شعر عمر بن الفارض دراسة في الشعر الصوفي، 249.

(4) ذات الشيخ: بالكسر ثم السكون، وجاء مهملة، موضع بالحزن من ديار بني بربوع، ينظر: ياقوت الحموي معجم البلدان، 430/3.

(2) ابن الفارض، الديوان، 7.

(3) ينظر: دقالي، محمد أحمد ، الحنين في الشعر الأندلسي، 360.

وَتَلَطَّفَ وَاجْرَ نِكْرِي عِنْدَهُمْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْظُرُوا عَطْفًا إِلَيَّ
 فُلْ تَرَكْتُ الصَّبَّ فَيَكُم شَبَحًا مَا لَهُ مِمَّا بَرَاهُ الشَّقُّوقُ فِيَّ
 خَافِيًا عَنِ عَائِدِ لِحَاكِ كَمَا لِحَاكِ فِي بُرْدِيهِ، بَعْدَ النَّشْرِ، طَيِّ
 صَارَ وَصَفُ الضَّرِّ ذَاتِيًّا لَهُ عَنِ عَنَاءِ وَالْكَلامِ الْحَيِّ لِي⁽²⁾

أما المعنى الباطن، فقد رمز الشاعر بوقوفه على الأطلال، وإظهاره الحنين والشوق إلى المحبوب، فإنه يدل على حنينه إلى الذات الإلهية،⁽³⁾ فقصده بسائق الأظعان، الله سبحانه تعالى، و"الأظعان" الناس واستعمال الشوق إليه، وكثبان طي" كناية عن المقامات المحمدية التي عددها كرمال الكثيب، ورمز "بذات الشيخ" إلى مقام الحيرة في الله يشم رائحة طيبة من غير أن يدرك شيئاً، "والحي" يقصد به المناظر العلا، والجزع الذي هو منعطف الوادي إشارة إلى هذا الحي انعطفت عليه جميع الآمال يقصد "بالضر" البلاء الشديد⁽⁴⁾.

وفي موضوع آخر يخاطب الشاعر صاحبه للوقوف بديار الأحبة، وإلقاء التحية والسلام على منازلها، لعل هناك من يجيب النداء، وإن توحشت تلك، فنار شوقه تشعل ظلماتها، يقول: { البسيط }

قِفْ بِالذِّيارِ، وَحَيِّ الأَرْبَعِ الدُّرُسا وَنَادِها، فَعَساهَا أَنْ تُجِيبَ، عَسَى
 وَإِنْ أَجَبَكَ لَيْلٌ مِنْ تَوَحُّشِها فَاشعَلْ مِنْ الشَّقِّوقِ فِي ظِلْمائِها، قَبَسًا
 يَا هَلْ دَرَى النَّقْرُ العادُونَ عَنِ كَلْفِ يَبِيتُ جِنْحَ اللَّيالي، يَرُقُّبُ الغَلَسَا
 فَإِنْ بَغَى فِي قَفَّارِ خِلَّتِها لُجْجًا وَإِنْ تَنَفَّسَ عَادتْ كُلُّها يَبَسًا⁽⁵⁾

المعنى الباطن، عبر ابن الفارض عن حنينه إلى الذات الإلهية من خلال مخاطبته لكل سالك في طريق الله، وقوله "الديار" يكنى بها عن مجموع الصور الإنسانية وغيرها من أشخاص العالمين في الملك والملكوت، والوقوف كناية عن عدم تخطيها لأن الظهور الإلهي والتجلي الرباني ليست إلا بها وعليها، ويقصد بقوله: "حي"

(4) ينظر: البوريني والنابلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 36/1، 37، 40.
 (5) ابن الفارض، الديوان، 177.

الأربع الدّرسا" النفوس، وهي إشارة إلى أنه أمر بإيصال التّحية منه إلى العارفين بربهم المتحقّقين بتجليه بهم وعليهم، وعلى الكشف والشهود، وفي قوله "فعاها أن تجيب" بإجابة هذه المحبوبة المذكورة إلى معنى انكشافها له بكل شيء، و "توحشها" يقصد بها ظلمة الكون، "فأشعل" يكنى بذلك عن نار المحبة الإلهية في قلوب السّالّكين إلى المعرفة⁽¹⁾.

ب-الدعاء بالسّقيا والخير.

ومن الأساليب التي استخدمها ابن الفارض في حنينه الصّوفي الدّعاء بالسّقيا والخير للمكان الذي رمز فيه إلى حبه الإلهي، فهو يدعو بالسّقيا والخير والنّماء للعقيق الكائن باللوى، كما أنه يدعو إلى الأوقات الطيبة المحببة إليه، فقد كانت الرّاحة بإرادته وتصرفه يبرزها متى يشاء متمنياً أن يحفظ الله المكان الذي عهده، ولازم فيه البكاء حتى نبت من ماء أجفانه أزهاراً لطيفة زينت ربا ذلك المنزل⁽²⁾، يقول: { الرّمْل }

يَا سَقَى اللهُ عَقِيْقًا، بِاللَّوَى وَرَعَى تُمَّ فَرِيْقًا مِنْ لَوَى
وَأُوَيْقَاتٍ بِوَادٍ سَلَفَتْ فِيهِ، كَانَتْ رَاحَتِي فِي رَاحَتِي
مَعَهْدٍ مِنْ عَهْدِ أَجْفَانِي، عَلَى حِيْدِهِ، مِنْ عَقْدِ أَزْهَارِ حُلِي⁽³⁾

يظهر المعنى الظاهر شوق الشّاعر للأحبة والدّعاء لهم بالسّقيا، أما المعنى الباطن فيعبر فيه الشّاعر عن حنينه وشوقه إلى الدّات الإلهية من خلال الدّعاء بالخير والسّقيا للعقيق، فقد أشار بقوله "عقيقاً" إلى المقام المحمدي الذي هو موضع الفيض الرّباني والوحي الرّحماني⁽⁴⁾.

وفي البيت الثّاني "يقصد "بواد" " الوادي المقدس طوى قلب العارفين الكامل الذي يطوى بأمر الله وينشر بأمر الله"⁽⁵⁾ وقوله "سلفت" أي مضت في ذلك العالم الرّوحاني قبل التّفخ في الأجسام⁽⁶⁾ "ورمز براحته إلى العالم الرّوحاني الأصلي الذي كان فيه قبل أن ينزل إلى عالم الطّبيعة"⁽⁷⁾.

(1) ينظر: البوريني والناقلي، شرح ديوان ابن الفارض، 235/2، 236.

(2) ينظر: نفسه، 135/1، 154، 155.

(3) ابن الفارض، الديوان، 24.

(4) ينظر: البوريني والناقلي، شرح ديوان ابن الفارض، 153/1.

(5) نفسه، 154/1.

(6) نفسه، 154/1.

(7) نفسه، 154/1.

وفي البيت الثالث أراد بقوله "معهد" ما يعهد فيه ساكنيه من التوجيهات الربانية وهو وادي باعتبار سيول الأمطار إليه النازلة من سماوات الغيوب، وحضرات التجليات الإلهية، وقوله "من عهد أجداني" يرمز به إلى البكاء وسيلان الدموع وحجب العين⁽¹⁾، وقصد بالأزهار عن الأحوال التي ينتجها ذلك البكاء من الدل والانكسار، والشكر والتناء الجميل⁽²⁾.

وفي بيت آخر يدعو مطر الربيع إلى أن يحيي منزل الاستحياء والأحياء، وهذا المعنى الظاهر: { الرمل }

حَيِّ، رَبْعِيَّ الحَيَا، رَبْعَ الحَيَا، بِأبي حيرتْنَا فيه، وَبِي⁽³⁾
أما المعنى الباطن فالشاعر يقصد به من خلال حنينه الصوفي بـ"ربعي الحيا" "مطر العلم الإلهي من سماء الغيب المحقق في ربيع قوة الحال الشوقي الإلهي"⁽⁴⁾ و"ربيع الحيا" منزل الحياة بمعنى هيكل الإنسان الكامل وجيرته المجاور له في المقام العارفين⁽⁵⁾. "والحياء" وجود الهيبة في القلب⁽⁶⁾.

وفي موضع آخر يدعو الشاعر بالسقيا إلى مكة، فهو يحن إلى ذلك المكان الذي أقام فيه زمن الصبا، حيث لذة العيش المفقدة، وموضع الأئس بالقرب من الحبيب، فقد هام غراماً وشوقاً، يقول: { الطويل }

سَقَى بالصِّفَا الرَّبْعِيَّ رَبْعاً به الصِّفَا وَجَادَ بِأَجِيَادٍ ثَرِيٍّ مِنْهُ ثَرَوَتِي
مُخَيِّمٍ لِذَاتِي، وَسَوِّقَ مَآرِبِي وَقَبِيلَةَ آمَالِي، وَمَوْطِنَ صَبُوتِي
مَنَازِلَ أُنْسٍ، كُنَّ لَمْ أُنْسَ ذِكْرَهَا بِمَنْ بَعْدَهَا وَالقُرْبُ: نَارِي وَجَنَّتِي⁽⁷⁾

يريد الشاعر من خلال حبه الإلهي في قوله: "الربعي" العلوم الإلهية، وقوله: "ربعا" قصد به قول العارف المحقق كون ذلك الربيع في الصفا أي المقام الروحاني والسر الإنساني، وقوله "بأجياد" وهي أرض مكة كناية عن الجسم العنصري للإنسان الكامل، "والثري" أصل جسم الإنسان الذي نشأ منه كاملاً، بتربته في حجر

(1) ينظر: البوريني والنايلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 1 / 155.

(2) ينظر: نفسه، 155/1.

(3) ابن الفارض، الديوان، 25.

(4) البوريني والنايلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 157/1.

(5) ينظر: نفسه، 157/1.

(6) أبو خزام، أنور فؤاد، معجم المصطلحات الصوفية، 77.

(7) ابن الفارض، الديوان، 43.

أحكامه، وهو الحقيقة المحمدية التورانية⁽¹⁾، والمقصود بالحقيقة المحمدية التورانية، هو أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق كله؛ لكي يخلق محمد صلى الله عليه وسلم، ويبعثه فيهم رسولاً.

ج- ذكر شهيرات النساء في شعر الغزل.

ذكر ابن الفارض في حنينه الصوفي أسماء شهيرات النساء اللاتي تكرر ذكرهن في الشعر العربي، مثل: (ليلي العامرية وسلمي، ولبنى، وغيرهن).

من ذلك قوله من قصيدته الحائية: { الكامل }

أوميضُ برقٍ، بالأبيرق لَحَا أم، في رُبى نجدٍ، أرى مصباحًا؟!
أم تلكَ ليلي العامرية أسفرتَ ليلاً، فصيرتِ المساءَ صباحًا⁽²⁾
ما يراه الشاعر في الليالي الداجية، لم يكن البرق والأنوار الساطعة بل هو نور ليلي العامرية وهذا المعنى الظاهر، أما المعنى الباطن: "فقد رمز بليلى إلى حبه المطلق لأنها اشتهرت بذلك الوصف، فقد رمز بالبرق إلى الحق لأنه نور، والأبيرق إلى عالم الأجسام المؤلفة من العناصر والطبائع المختلفة"⁽³⁾.

وقوله في البيت الثاني (أسفرت) أي أن المحبوبة لما كشفت عن وجهها توجهت بأمرها القديم على ما في علمها، وهو الذكر الحكيم، ظهرت من ظلال المعلومات بنوره فكان ذلك الظاهر هو النور، وهو وجود الحق وجميع العوالم على ما هي عليه من عدمها"⁽⁴⁾. ومعنى قوله "فصيرت المساء صباحاً" أي نار حبه ليلي، أرجعت الظلمة بظهور وجهها وانكشافه نوراً وجودياً، فالجود لها، والصور العدمية للأكوان"⁽⁵⁾.

(1) ينظر: البوريني والنايلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 264/1، 265.

(2) ابن الفارض، الديوان، 123.

(3) البوريني والنايلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 55/2.

(4) نفسه، 52/2.

(5) نفسه، 56/2.

ويكرر ابن الفارض ذكر ليلي في شعره، فهي مطلق الحبيبة، متسائلاً هل ما ظهر
لعينه ليلاً نار حبه لليلي، أم هو بارق ظهر في الزوراء إذ يقول: { البسيط }

هَلْ نَارُ لَيْلَى بَدَتْ لَيْلًا بِذِي سَلْمٍ أَمْ بَارِقٌ لَحَّاحٌ فِي الزَّوْرَاءِ، فَالْعَلَمُ (1)
المعنى الباطن: عبر ابن الفارض باسم ليلي إلى أسماء الحقائق على اختلافها
"وقصد بنار ليلي عز ظهور الوجود الحق على صور التقادير العلمية، إذا توجهت
بتلك المقادير الإرادة الأزلية، وقوله: "بدت ليلاً" أي ظلمة الليل وهو عالم الأكون
في ظلمة المكان" (2).

وقوله " أم بارق " كناية عن القطب فإنه سحاب على شمس الأحدية ذو برق
روحاني" (3) وقوله بالزوراء يقصد بها بغداد وبغداد من الزور بالتحريك وهو الميل
وبغداد مسكن القطب" (4).

وفي موضع آخر استحضر الشاعر صورة المحبوب الذي كنى عنه باسم سلمى،
طارحاً سؤاله هل أضاءت نار الغضا أم هي ابتسامه سلمى التي كشفت عن درر
بيضاء، شابقتها دموع الشاعر في كبر مقدارها وفي بياضها، يقول: { الطويل }

أَنَارُ الْعُضَا ضَاءَتْ، وَسَلْمَى بِذِي الْعُضَا أَمْ ابْتَسَمَتْ، عَمَّا حَكَتْهُ، الْمَدَامُ (5)
المعنى الباطن، يعبر الشاعر عن حبه الإلهي، وحنينه الإلهي، بذكره اسم سلمى،
وهي إشارة إلى حبه المطلق عند الصوفيين.

ويظهر ابن الفارض شوقاً وحنيناً إلى منزله الذي فارقه فلم يصف له منزلاً بعد
النقا، ولا يستحسن محبوباً بعد مفارقتها "لمي" هذا المعنى الظاهر فيقول: { الرمل }

لَمْ يُرَقِنِي مَنَزَلٌ بَعْدَ النَّقَا لَا وَلَا مُسْتَحْسَنٌ مِّنْ بَعْدَ مَيِّ (6)
وما يريده من المعنى الباطن هو الحنين إلى المقام المحمدي، الذي هو مقام محمد
صلّى الله عليه وسلّم الذي اختاره من جميع القبائل، وهو كناية عن الحضرة
الوجودية المحتجة بصور الأكون العدمية (7).

(1) ابن الفارض، الديوان، 128.

(2) البوريني والنايلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 56/2.

(3) نفسه، 72/2.

(4) ابن الفارض، الديوان، 166.

(5) ابن الفارض، الديوان، 166.

(6) نفسه، 13.

(7) ينظر: البوريني والنايلسي، شرح ديوان ابن الفارض، 81/1.

ومن الأسماء الأخرى التي أورد لها ذكراً " لبني " التي فاقت بهجتها كل المحبوبات،
فزادت من وجده وصابته، يقول: { الطويل }

بفِرْطِ غَرَامِي ذِكْرَ قَيْسٍ يَوْجِدُهُ وَبَهْجَتِهَا لِبَنِي، أَمْتُ، وَأَمْتِ (1)

لقد استحضر ابن الفارض في تجربته الصوفية أسماء مشاهير النساء في شعر
الغزل العذري ليعبر عن أسماء الحقائق الإلهية على اختلافها، وهو بذلك يعبر عن
حنينه إلى الذات الإلهية المتمثلة في الحب الوجودي المطلق.

(1) ابن الفارض، الديوان، 36.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

أولاً: بناء القصيدة.

ثانياً: الأسلوب.

ثالثاً: الموسيقى

رابعاً: الصورة الشعرية.

أولاً: بناء القصيدة.

ميّز النقاد العرب في حديثهم عن بنية القصيدة العربية بين ثلاثة أجزاء رئيسة تتألف منها القصيدة، هي: المطلع، والتخلص، والخاتمة، وفي شعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي، يوجد صورتين لغرض الحنين، هما: المقطعات، والقصائد.

أ-المقطعات:

كثرت المقطعات الشعرية التي جاءت في الحنين إلى الوطن، والأحبة والأهل، والأصدقاء، وعصر الشباب وغيرها من المفتقات، حيث بلغ عددها ما يقارب الخمسين مقطعة؛ لأنها تعبر عن حالة نفسية يعيشها الشاعر، فقد مثلت إحساسه بالفقد والحنين إلى تلك المفتقات بأبيات شعرية لم تتجاوز الأبيات السبعة فلا وقت لديه للشرح والتفصيل، ومن هذه المقطعات قول ابن عنين: {الطويل}

دَعَتْ فِي أَعَالِي الصُّغْدِ (1) يَوْمًا حَمَامَةً عَلَى فَنَنْ فِي ظِلِّ رِيَانِ كَالِيَمِّ
فَهَاجَتْ مَشَوْقًا وَاسْتَفَزَتْ مُتِيَمًا وَأَبْكَتْ غَرِيْبًا وَاسْتَخَفَّتْ أَخَا حَلَمِ (2)

يجسد البيتان السابقان موقفا شعورياً صادقاً، يعبر عن أحزان الشاعر وآمه، فقد هيج هديل الحمام أشواقه وحنينه إلى وطنه الغائب.

ومنه أيضاً قول ابن القيسراني: {الوافر}

ذَكَرْتُكَ فِي حُسَيْنَةَ (3)، وَالرَّوَابِي مُلْفَعَةُ الْمَنَاكِبِ بِالرِّيَاضِ
وَرَعْنُ (4) "الْكُتْبِ" مُخْضَرُّ الْمَجَانِي عَلَى الْعُذْرَانِ مُثْرَعَةَ الْحِيَاضِ
وَقَدْ "سَأِمْتُ" مِنَ السَّيْرِ الْمَطَايَا وَمَلَّ قُتُودَهَا حَنْقُ الْعِضَاضِ
وَصَاقَتْ سَاحَةَ الْأَخْلَاقِ حَتَّى "نَبَا" الْخُلُقِ الْكَرِيمِ عَنِ النَّعَاضِي
وَعِنْدَكَ أَنْتَنِي مَعَ مَا الْأَقْيِي نَسِيْتُكَ، "لَا" "وَعَيْنَيْكَ" الْمِرَاضِ (5)

(1) الصغد: ناحية سمرقند، كثيرة المياه والأشجار، لا تقع الشمس على كثير من أراضيها ولا تبين القرى من خلال أشجارها، وفيها قرى كثيرة بين بخاري وسمرقند، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،

25/3.

(2) الديوان، 90.

(3) الحسينة: منسوبة إلى الحسن، بلد شرق الموصل على بعد يومين، بينها وبين جزيرة ابن عمر، ينظر:

ياقوت الحموي، معجم البلدان، 300/2

(4) الرعن: أنف الجبل البارز، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مادة رعن).

(5) ابن القيسراني، الديوان، 278..

استطاع الشاعر أن يقدم سرداً موجزاً لرحلته الطويلة فقد تحدث عن دابته وما أصابها من تعب وإعياء، وذكر تعلقه بصاحبة العينين الجميلتين، التي لا يمكن أن ينساها.

وهذه مقطعة أخرى يعبر فيه الشاعر عن تجربته المريرة في السجن، حيث يتوق إلى الحرية، فيحشد تعابير اللغة وألفاظها ليبث لواعجه وأشواقه، مبرزاً إحساسه بالألم والمعاناة، فيقول المهذب ابن الزبير: {الطويل}

أَيَا صَاحِبِي سِجْنِ الْخِزَانَةِ خَلِيَا نَسِيمَ الصَّبَا يُرْسِلُ إِلَى كَبْدِي نَفْحَا
وَقَوْلَا لِضَوْءِ الصُّبْحِ هَلْ أَنْتَ عَائِدٌ إِلَى نَظْرِي، أَمْ لَا أَرَى بَعْدَهَا (1)

وتمكن أسامة بن منقذ من خلال مقطعته الشعرية التي كتبها من مصر إلى أخيه في دمشق، أن يجسد إحساس وشعور من هو غريب مثله سواء أكان مقيماً في وطنه، أم نازحاً عنه، وبخاصة عندما يدنو الموت منه، فحينذاك تنفجر في قلبه كل مشاعر الحزن والأسى على من يموت غريباً بين الناس دون أن يجد حوله أحداً من أهله وأقربائه، ذلك ما شعر به أسامة عندما ماتت ابنة أخيه في شيزر ووالدها غائب عنها، وكذلك أعمامها وأخوالها، فقال (2): {الكامل}

وَيَحَ الْغَرِيبَةَ وَالِدِيَّارُ دِيَارُهَا لَمْ تَرْتَحِلْ عَنْهَا، وَلَمْ تَتَّعَرَّبْ
مَاتَتْ غَرِيبَةً وَحَدَةً: مِنْ تَرْبِهَا وَشَقِيقِهَا، وَمَنْ الْعُمُومَةَ، وَالْأَبِ
فَهِيَ الْوَحِيدَةُ، وَالْأَقْرَابُ حَوْلَهَا وَهِيَ الْبَعِيدَةُ فِي الْمَحَلِّ الْأَقْرَبِ
فَإِذَا تَضَرَّمْ فِي الْجَوَانِحِ نَكَرُهَا قَالَ الْأَسَى: بِاللهِ يَا عَيْنُ اسْكُي (3)

وقد اتسمت أغلب المقطعات الشعرية في الشعر الزنكي والأيوبي خلال القرنين السادس والسابع الهجري، بوحدة الفكرة، وقوة العاطفة، ومن ذلك الأبيات الآتية التي شكا فيها أسامة ابن منقذ من كثرة ترحاله في البلاد، والأبيات أشبه ما تكون بخاطرة، أفضى فيها أسامة بمكنونات نفسه بصورة تلقائية (4).

(1) الديوان، 182.

(2) ينظر: سليمان، رولا ناصر، شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، 199، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م) (د.ت).

(3) أسامة بن منقذ، الديوان، 294.

(4) ينظر: الرقب، شقيق محمد عبد الرحمن، الشعر العربي في بلاد الشام، 314.

يقول : {مجزوء الكامل}

يَا دَهْرُ، كَمْ هَذَا النَّفْرُ قُ وَالنَّغْرُ بُ، وَالشَّتَاتُ
أَبْدًا عَلَى سَيْرِ كَأ نِّي الشَّمْسُ، لَيْسَ لَهَا تَبَاتُ
مُتَّقِلُ الْعَزَمَاتِ كَالـ مَطْلُوبِ أفرْقَهُ الْبَيَاتُ
نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِينَ وَالـ أوطَان، وَالْأْتْرَابُ مَأثُوا(1)

ويختصر ظافر الحداد معاني الشوق والحنين في مقطعة شعرية، تمنى فيها العودة إلى الحمى، وليالي أنسه، متذكراً الأهل والأقرباء والجيران، وأيام الشباب والعنفوان، فيقول:

{الطويل}

أَلَا هَلْ إِلَى بَرْدِ الْأَصَانِلِ بِالْحِمَى عَلَى الرَّمْلِ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ إِيَابُ؟
لِيَالِي يُزْهِينِي لَدِيدُ حَدِيثِكُمْ وَأَلْفَظُهُ مَهْمَا اسْتَعَدْتُ عَذَابُ
وَلَا مُرْسَلٌ إِلَّا لِسَانِي إِلَيْكُمْ وَلَا فِي سِوَى دَمْعِي يُرَدُّ جَوَابُ
وَلَا تَسْتَنْبِيرُ الشُّوقِ مِنِّي حَمَامَةٌ وَيُذَكِّرُنِي يَوْمَ الْفِرَاقِ عُرَابُ
وَدَارٌ وَإِخْوَانٌ وَأَهْلٌ وَحَيْرَةٌ وَأَمْنٌ وَأَمْرٌ نَافِدٌ وَشَبَابُ(2)

هذه بعض المقطعات الشعرية التي أفردها الشعراء في الشوق والحنين إلى الوطن والأهل والأحبة وغيرها من المفنقات ، مبرزين فيها أسواقهم ونزوعهم الدائم إلى تلك المفنقات، وقد حاول الشعراء من خلالها أن يظهرها مهارتهم في حشد الألفاظ وتكثيف المعاني، وتكاد معظم المقطعات الشعرية التي قيلت في الحنين أن تكون ذات موضوع واحد، قائمة على فكرة واحدة، هي الشوق والحنين، فلم يظهر من خلالها البناء الفني العام للقصيد الطويلة، من حيث المقدمة، والتخلص الذي ينتقل فيه الشاعر من غرض إلى آخر دون أن يشعر المتلقي بذلك، وخاتمة تبقى في الأسماع.

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 296.

(2) ظافر الحداد، الديوان، 33.

ب- القصائد:

1-المطلع.

حرص الشاعر الزنكي والأيوبي على اختيار مطلعته كونه أول ما يقع في السمع من القصيدة، والدال على ما بعده⁽¹⁾، فالشعر "قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فإنه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة"⁽²⁾، ودعا أسامة بن منقذ إلى تحسين الابتداءات فإنها "دلائل البيان"⁽³⁾

ولذلك اشترط النقاد في المطلع جودة الأسلوب، إذ يجب أن يكون أسلوب الشاعر فحماً قوياً مؤثراً، وحلواً سهلاً، حيث يؤثر في السامع، ويشده إلى باقي أجزاء القصيدة⁽⁴⁾ واشترطوا "أن يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بنيت عليه مشعراً بغرض الناظم، من غير تصريح، بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الدوق السليم، ويستدل بها على القصيدة، من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنة أو مدح أو هجو"⁽⁵⁾.

وإذا قامت الباحثة بتطبيق ما قيل من آراء حول المطلع على شعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي، يلاحظ اهتمام الشعراء بمطالعهم فقد اختاروا الألفاظ السهلة الأنيقة، والقوية المؤثرة.

ومن المطالع قول ابن عنين في حنينه إلى دمشق: {الطويل}

حَينٌ إلى الأوطان ليس يزولُ وقلبٌ عن الأشواق ليس يحولُ⁽⁶⁾

يكشف المطلع السابق عن نفس دائمة الشوق والحنين إلى الوطن المفقود، بألفاظ سهلة وواضحة، وقوية ومؤثرة في المتلقي.

ويستهل ابن عنين قصيدته بالدعاء إلى قومه بالرعاية والحفظ، فيقول: {الطويل}

رَعَى اللهُ قَوْمًا فِي دِمَشقَ أَعزَّةٍ عَلَيَّ وَإِنْ لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ مَنْ ظَعَنُ⁽⁷⁾

يتضح أن المطلع السابق قد أشار إلى مضمون القصيدة وعرضها العام الذي يريده الشاعر، وهو الحنين إلى دمشق.

(1) ينظر: أبو الهلال العسكري، الصناعتين، 489.

(2) ابن رشيق القيرواني، العمدة، 217/1.

(3) البديع في نقد الشعر، 400.

(4) ينظر: نفسه، 217، 218.

(5) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 30/1.

(6) الديوان، 68.

(7) ابن عنين، الديوان، 77.

ومن المطالع الحسنة أيضا قول أسامة بن منقذ: {البسيط}

مَاذَا يَرَوْعُكَ مِنْ وَجْدِي وَمِنْ قَلْبِي أَمْ مَا يَرِيئُكَ مِنْ أَجْفَانِي الدُّفُقِ (1)
يشير المطلع السابق إلى حالة الشاعر النفسية، وما يعترئها من قلق وحزن، وعلى الرغم من ذلك لم يهمل الشاعر مطلع قصيدته، فقد أشار من خلاله إلى فحوى القصيدة وعرضها العام، وهو الحنين إلى المحبوب.

وكذلك قوله: {الرمل}

وَمَا يُرِيدُ الشُّوقُ مِنْ قَلْبِ مُعْنَى ذَكَرَ الأَلْفَ وَالْوَصَلَ فَحْنًا (2)
فالمطلع يدل على مضمون القصيدة بجودة أسلوبه وحلاوته حيث يؤثر في نفس المتلقي، ويشده إلى باقي القصيدة.

ومن المطالع المحمودة قول القاضي الفاضل: {الطويل}

سَقَى اللهُ تِلْكَ الدَّارَ عَوْدَةَ أَهْلِهَا فَذَلِكَ أَجْدَى مِنْ سَحَابٍ وَقَطْرِهِ (3)
فهو مطلع حسن جاء بالدعاء بجمع الشمل وعودة الأهل إلى الديار.

ومن الذين استهلوا قصائدهم بمطلع حسن الملك الأمجد حيث يقول: {السريع}

يَا أَدْمُعِي فِي رَسْمِهَا الْجَارِي أَوْضَحَتْ لِلوَّامِ أَخْبَارِي (4)
تمكن الشاعر على الرغم من حالته النفسية السيئة أن يبعث الشوق في نفس المتلقي إلى أجزاء القصيدة كلها.

(1) الديوان، 89.

(2) نفسه، 100.

(3) الديوان، 488/2.

(4) الديوان، 114.

ومن المطالع الجيدة أيضاً، مطلع قصيدة العماد الأصبهاني، حيث لوّنه الشّاعر بعناصر الموسيقى الدّاخلية، التي تحدث أثراً في نفس السّامع،

إذ يقول: { الكامل }

هَلْ عَائِدُ زَمَنُ الوَصَالِ المُنْقَضِي؟ أَمْ عَائِدُ لِي فِي الصَّبَابَةِ مُمْرَضِي (1)

وبدا ابن القيسراني قصيدته بالحديث عن الطّيف الأحبّة، حيث يقول: { الطويل }

أَمَا وَخِيَالِ زَارٍ مِمَّنْ أَحْبُّهُ لَقَدْ هَاجَ مِنْ زِكْرَاهُ مَا لَا أُغْبِيهِ (2)
فهذا مطلع حسن منسجم وموضوع القصيدة الرّئيس، وهو تذكر وقائع نور الدين الزنكي.

ويقول ابن الخيّاط : { الكامل }

لَوْ كُنْتَ شَاهِدَ عِبْرَتِي يَوْمَ النَّقَا لَمَنْعْتَ قَلْبِكَ بَعْدَهَا أَنْ يَعْشَقَا (3)
هذا مطلع جميل، يجتذب القارئ، ويترك في نفسه أثراً جميلاً؛ لأنه يعبر عن حالة الشّاعر الحزينة.

ومن المطالع المحمودة، التي حرص الشّاعر فيها على عنصري الموسيقى الدّخلي والخارجي، قول ابن السّاعاتي: { البسيط }

قَلْبٌ لِذِكْرِي الحَمَى بَعْدَ النَّوَى يَجِبُ وَأَدْمَعُ فِي الهَوَى قَامَتْ بِمَا يَجِبُ (4)
ينسجم المطلع مع الغرض الرّئيس من القصيدة وهو الحنين إلى المحبوبة.

وكذلك قوله: { الطويل }

نَعَمْ هَذِهِ آثَارُهُمُ وَالمَنَازِلُ وَإِنْ لَامَنِي فِيهَا نَصِيحٌ وَعَاذِلُ (5)

(1) ابن العماد الأصبهاني، الديوان، 262.

(2) ابن القيسراني، الديوان، 76.

(3) الديوان، 254.

(4) الديوان، 114/1.

(5) نفسه، 310/2.

ومثله أيضاً قول ابن مطروح: { الطويل }

هُمُ جِيرَتِي حَيْثُ اسْتَقَلُّوا وَيَمَّمُوا وَحَيْثُ تَوَّأَ بَعْدَ الْفِرَاقِ وَخَيَّمُوا⁽¹⁾

فقد أشار المطلع إلى فحوى القصيدة وعرضها العام.

لقد سار الشعراء الزنكيون والأيوبيون على منهج الشعراء الأوائل، حيث اعتنوا بختيار مطالعهم كونها فاتحة النص، وأول ما يطرق السمع من الكلام، ودليلاً على مقدرة الشاعر، وبراعته فيما ينظم.

(1) الديوان، 182.

2- التّخلص.

حرص النّقاد على الاهتمام بالتّخلص، لأنه نتيجة طبيعية لوجود مقدمة تمهد للدّخول في الموضوع الرّئيس للقصيدة، لذلك سار شعراء هذا العصر على طريقة القدماء في بناء قصائدهم، وإن تحرروا منها في بعض الموضوعات التي لا تستدعي اصطناع المقدمات لسيطرة عواطف الشّوق والحنين عليهم، لذلك بنيت القصيدة من أولها إلى آخرها على موضوع واحد، وفكرة واحدة، وعاطفة واحدة.

ويعرّف التّخلص بأنه " هو أن يستطرد الشّاعر المتمكن من معنى إلى آخر يتعلّق بممدوحه، بتخلص سهل يختلسه اختلاصاً رشيقاً دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السّامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقع في الثاني، لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما، حتى كأنهما أفرغا في قالب واحد" (1).

ويعتبر ابن رشيق القيرواني أن الانتقال إلى الموضوع الرّئيس، هو النّقلة المعنوية الأبرز بين تلك الموضوعات (2).

ومن الأمثلة على التّخلصات والانتقال من موضوع إلى آخر في هذه الدّراسة، قول الأبيوردّي: { الطويل }

إذا هِيَ نَاحَتُ جَاوَبَتْهَا حَمَائِمٌ كَمَا حَنَّ وَلَهِيَ فِي رَوَائِمِ أَظَارٍ (3)
كَأَنَّ رُوَاتِي عِلْمُوهُنَّ مَنطِقِي فُهِنَّ إِذَا غَرَدْنَ أَنشَدْنَ أَشْعَارِي
أَتَتْكَ الْقَوَافِي يَا بَنَ عَمْرُو، وَلَمْ تَرِدْ مُعَرَّسَ نَوَامٍ عَنِ الْحَمْدِ أَعْمَارٍ (4)

لقد تخلص الشّاعر من الأبيات الأولى التي جاءت في الحنين إلى المحبوبة تخلصاً حسناً رشيقاً دون أن يشعر المتلقي به، وانتقل إلى الحديث عن ممدوحه الشّجاع الذي لم ينم عن المجد يوماً.

(1) ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 329/1.

(2) ينظر: العمدة، 239/1.

(3) الأظار، جمع ظئر، وهي الناقة التي يموت ولدها فترضع ولدها غيرها ينظر: ابن منظور

لسان العرب، مادة (ظئر)

(4) الديوان، 261/1.

ومنه أيضاً، قوله: { الطويل }

وَقَدْ فَرَّقَ الْبَيْنَ الْمُشْتَتَّ بَيْنَنَا
وَأَشَامَ مِنْ حَيْرَانِنَا إِذْ تَزَلَّلُوا
طَلَعْنَا إِلَى الزُّورَاءِ مِنْ أَيْمَنِ الْحَمَى
نَزُورُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَدَوْنَهُ
وَلَا أَرْضَ الْإِلَوهِي مِنْ كُلِّ
فَشَطَّ مَزَارُ، وَأَسْتَقَلَّ رَفِيقُ
فَرِيقُ، وَأَعْرَفْنَا وَنَحْنُ فَرِيقُ
تَنَائِيَا بِأَخْفَافِ الْمَطِيِّ تَضْيِيقُ
خَفِيُّ الصَّوَى (1) مَرَّتُ (2) الْفِجَاجِ عَمِيقُ
إِلَى بَابِهِ لِلْمُعْتَفِينَ طَرِيقُ (3)

انتقل الشاعر من الحديث عن الفراق، والبين، ورحيل إلى الشام والعراق، إلى الحديث عن زيارته لأمير المؤمنين، ومدحه.

ومن الانتقالات المحمودة التي وردت في قصيدة الحنين قول ابن عنين: { الطويل }

دِمَشْقُ فَبِي شَوْقٍ إِلَيْهَا مُبْرَحٍ
وَأِنْ لَجَّ وَأَشَّ أَوْ أَلَحَّ عَذُولُ
دِيَارُ بِهَا الْحَصْبَاءُ دَرٌّ وَتُرْبَهَا
عَبِيرٌ وَأَنْفَاسُ الشَّمَالِ شَمُولُ
تَسْلَسَلُ فِيهَا مَآوُهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ
وَصَحَّ نَسِيمُ الرَّوْضِ وَهُوَ عَلِيلُ (4)

فقد أجاد الشاعر التخلُّص وأحسنه في البيت الأول، حيث انتقل بسلاسة وبساطة من الحنين إلى دمشق، إلى وصف جمال دمشق وما تحويه من مناظر خلابة.

ومن التخلصات الجيدة أيضاً، قول فتیان الشاغوري: { البسيط }

وَلَسْتُ أَمَلُ طَيْفًا مِنْهُ يَطْرُقُنِي
أَمَا تَرَى الطَّيْفَ مَنْ مِنْهُ الْكَرَى سُلْبَا
بَانَ الْحَبِيبُ وَبَانَ الصَّبْرُ يَتْبَعُهُ
لَا اسْتَطِيعُ لِصَبْرِي بَعْدَهُ طَلْبَا
إِنْ يَنَاءُ فَالْأَمْجَدُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ
لَدَيَّ إِحْسَانُهُ مَا زَالَ مُقْتَرِبَا (5)

أحسن الشاعر الانتقال من الحديث عن الشوق والحنين إلى المحبوب إلى الحديث عن الممدوح.

(1) الصَّوَى: حجر يكون دليلاً في الطريق، ينظر: لسان العرب، مادة (صوي).

(2) المَرَّتُ: المفازة، ينظر: لسان العرب، مادة (مرت).

(3) الأبيوردي، الديوان، 618/1، 619.

(4) الديوان، 69.

(5) الديوان، 37..

ويتفنن العماد الأصبهاني في التّخلص ويحسنه، حين صور أيام الشّباب المنصرمة بأيام الممدوح، إذ يقول: {الكامل}

يَا حُسْنَ أَيَّامِ الصَّبَا، وَكَأَنَّهَا أَيَّامُ مَوْلَانَا الْإِمَامِ الْمُسْتَضِي !
ذُو الْبَهْجَةِ الزَّهْرَاءِ، يُشْرِقُ نُورُهَا وَالطَّلَعَةِ الْغُرَاءِ، وَالْوَجْهِ الْوَضِي (1)

من التّخلصات الجيدة قول ابن السّاعاتي: { الطويل }

فَلَا خَابَ ظَنِّي فِي الْعَفِيقِ وَأَهْلِهِ كَمَا لَمْ يَخْبُ فِي الظَّافِرِ الْمَلِكِ سَائِلُ (2)
لقد جاء الانتقال من غرض الحنين إلى الممدوح انتقالاً سلساً رشيقاً، دون أن يشعر به الملتقى.

حرص الشعراء على التّخلص حرصاً شديداً، واعتنوا بالخروج من جزء إلى جزء خروجاً يشعر بالتّحام الأجزاء وتماسكها لا بوجود حواجز واضحة بينها (3).

(1) العماد الأصبهاني، الديوان، 263.

(2) الديوان، 311/2.

(3) بكار، يوسف حسين، بناء القصيدة في النقد العربي القديم، 22.

3- الخاتمة.

حرص الشعراء على أن يختموا قصائدهم بأحسن خاتمة، لأنها آخر ما يبقى في الأسماع، فإن كان ابن رشيقي القيرواني قد أشار إلى أن المطلع مفتاح، لم ينس أن يجعل لهذا المفتاح قفلاً حيث يقول: " قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له، وجب أن يكون الآخر قفلاً" (1).

واشترط بعضهم في الخاتمة أن تناسب عرضها، كأن تكون سارة في المديح والتّهاني، وحزينة في الرثاء والتعازي، إضافة إلى ذلك أن تكون ألفاظها مستعذبة، وتأليفها جزلاً متناسباً، وأن تكون أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها (2).

ومعنى ذلك أن الخاتمة خلاصة القصيدة، وعدم اهتمام الشاعر بها يعد نقصاً ومأخذاً عليه، لذلك اعتنى الشعراء الزنكيون والأيوبيون بخواتم قصائدهم التي قيلت في الحنين، ومنها قصيدة أسامة بن منقذ، التي قالها عندما خرج من مصر، حيث ختمها بحكمة اشتملت على أن الأيام لا تبقى على حالها: {الرجز}

فَقُلْ لِمَنْ أَشْمَتُهُ فَرَاقْنَا وَسَرَّهُ أَنْ جَارَ دَهْرٌ وَعَتَّى:
إِنْ سَرَكَ الدَّهْرُ بِنَا الْيَوْمَ فَهَلْ أُمُتَ أَنْ يَسِرَّتْنَا فِيكَ غَدًا (3)

ومنه أيضاً قوله: {الرجز}

لَكُنِّي أَدْعُو لِجَمْعِ شَمْلِنَا مُسِيرَ الشُّهْبِ، وَمُجْرِي السُّفْنِ (4)
قد ختم أسامة قصيدته بأحسن الكلام، حيث دعا الله أن يجمع شمله بالأحبة.

وقد جاءت خاتمة ابن عنين حسنة المأخذ، مناسبة لغرضها، ألفاظها سهلة، واشتملت على الدعاء الممزوج بالتمني بعودة أوقات السرور والهناء، إذ يقول: {الطويل}

رَعَى اللهُ أَيَّاماً نَقَضَتْ بِفُرَيْكُم وَعَصَرَ الصَّبَا يَا حَبِّذَا ذَاكَ مِنْ عَصْرِ

(1) العمدة، 239/1.

(2) ينظر: القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء، 306.

(3) أسامة بن منقذ، الديوان، 67.

(4) نفسه، 102.

فَسَائِرُ أَيَّامِي لَدَيْكُمْ مَوَاسِمٌ وَكُلُّ اللَّيَالِي عِنْدَكُمْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ (1)

وغلِبَ أسلوبُ الدِّعاءِ على خاتمةِ قصيدةِ الحنينِ في هذا العصر، فظافر الحداد يختتم قصيدته بالدِّعاءِ والتَّضرعِ إلى الله عزَّ وجلَّ بالعودةِ إلى الإسكندرية، حيث يقول:

{ الطَّوِيلُ }

عَسَى مُنِيَّةٌ قَبْلَ الْمَنِيَّةِ تَنْقُضِي فَيَرشِفَ تَغْرَ التَّغْرِ طَرْفِي إِذَا رَنَّا
سَأَلْتُكَ يَا رَبَّاهَ عَوْدًا فُجُذِبِهِ وَجَازَ بِخَيْرٍ مَنْ دَعَوْتُ فَأَمَّنَا (2)

ويحسن ابن مطروح ختام قصيدته بالسلام على الزَّمانِ الماضي، والدِّعاءِ بالسَّقيا إلى الرَّبِّوعِ، والذِّيارِ: { الطَّوِيلُ }

سَلَامٌ عَلَى ذَاكَ الزَّمانِ الَّذِي مَضَى وَسُقِيَا لِهَاتِيكَ الْمَعَالِمَ وَالرُّبَا (3)

ووفقَ الزَّمخشري في ختام قصيدته التي نَظَمها في الحنينِ إلى الحرمِ المكي الشَّريفِ، حيث تضرع بالدِّعاءِ إلى الله أن يجعلَ مثواه الجَنَّةَ مع الصَّالحين من عباده، يقول:

{ الخَفِيفُ }

رَبِّ فَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فِي صُحْبَةِ الْأَمْنِينِ فِي الْغُرُفَاتِ (4)

ويقول العماد الأصبهاني، في خاتمة قصيدة موضوعها التَّشوقُ والحنينُ إلى أصدقائه ببغداد، وهو ما يتصل بالرِّثاءِ: { الهَزَجُ }

تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ إِذَا ضَاقَتْ بِي السُّبُلُ
وَعَلَّقْتُ بِحَبْلِ اللَّهِ كَقِيَ، فَهُوَ الْحَبْلُ (5)

فقد أجاد فيها بإيمانه القوي بالله سبحانه وتعالى وتوكله عليه في الأمور كلها، فلا ملجأ له سوى الله.

(1) ابن عنين، الديوان، 80.

(2) ظافر الحداد، الديوان، 348.

(3) ابن مطروح، الديوان، 88.

(4) الزمخشري، الديوان، 532.

(5) العماد الأصبهاني، الديوان، 338.

وفي الشوق والحنين إلى بغداد وساكنيها يحسن الكندي البغدادي ختام قصيدته بالسّلام
عليها، وعلى أهلها المطمئنين قائلاً: {الطويل}

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وَاقْرُوا كَيْفَ شِئْتُمْ سَلَامِي لَكُمْ عَنْ زَائِرٍ وَمُودَعٍ⁽¹⁾

ويمكن القول إن خاتمة قصيدة الحنين في شعر العصرين الزنكي والأيوبي تنوعت
بين الحكمة، والدعاء، والإيمان بقضاء الله وقدره، حيث استطاع الشاعر أن يشعر
المتلقي بالخروج والإغلاق، وأن يترك في نفسه أثراً بأن هذه هي النهاية.

(1) الكندي، البغدادي، الديوان، 67.

ثانياً: الأسلوب.

ليس الأسلوب إلا وسيلة من وسائل نقل المعاني وجودته قد ترقى بالمعاني فتخرجها في كل شكل يدعو إلى الإعجاب(1).

والأسلوب " طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ، وتأليفها للتعبير بها عن المعاني بقصد الإيضاح أو التأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه"(2).

فبالأسلوب هو طريقة الشاعر أو الكاتب الخاصة في اختيار الألفاظ، وتأليف الكلام والفكرة والصورة، وليس الأسلوب اللفظ وحده، وإنما هو مركب من عناصر يستمدّها الفنان من ذوقه(3).

وهذا يعني أن عناصر الأسلوب كل لا يتجرأ في بناء القصيدة، وتشكل اللغة لبنة أساسية من لبنات بناء الأسلوب الأدبي، ويصبح لألفاظها أهمية كبيرة لذا يجب أن تكون بين ألفاظ القصيدة علاقة وثيقة تربط بعضها ببعض، محدثة إيقاعاً موسيقياً منسجماً، وبتركيب الألفاظ معاً تتشكل الأساليب المختلفة بمعانيها ومبانيها(4).

تظهر نصوص شعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي، بساطة الأسلوب وسهولته، وكيف لا؟ فهو يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة جياشة بالمشاعر والأحاسيس، ومثل هذا الغرض لا يناسبه الألفاظ الغريبة الصعبة والحوشية.

فقد اختيرت الألفاظ السهلة المتسمة بالوضوح بعيدة عن التعقيد والحوشية، منها ما امتاز بالجزالة ومنها ما امتاز بالرقّة(5)، وقد وظفت هذه الألفاظ على تنوعها ضمن تجربة الحنين، وجاءت الألفاظ في صورتين:-

1- ألفاظ الحنين والشوق المباشرة:

وظف الشاعر الزنكي والأيوبي الألفاظ الدالة على الحنين مباشرة، فقد وردت اللفظة صريحة في نتاجه الشعري الذي قاله في الحنين إلى الوطن، والأهل والأحبة، والأصدقاء والتكريات الماضية، ومن ذلك قول ابن عنين: {الطويل}

(1) ينظر: أمين، أحمد، في النقد الأدبي، 113/1.

(2) الشايب، أحمد، الأسلوب، 44.

(3) ينظر: طبانة، بدوي، البيان العربي، 287.

(4) ينظر: مندور، محمد، الأدب وفنونه، 37.

(5) ينظر: دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 435.

أَجْنُ إِلَى قَوْمٍ هُنَاكَ أَعَزَّةٌ عَلَيَّ وَقَوْمٍ فِي عِرَاصِ الْمُقْتَبِ (1)
أُرْجُو وَقَدْ حَاوَلْتُ فِي الْهِنْدِ عُوْدَةً إِلَيْهِمْ لَقَدْ حَاوَلْتُ أَطْمَاعَ أَشْعَبِ (2)
قوله أيضاً: {الطويل}

أَجْنُ إِلَى مِصْرٍ وَيَا لَيْتَ أَنْ لِي إِذَا ذُكِرْتُ مِصْرٌ جَنَاحاً أَعَارُهُ (3)

ووردت أيضاً لفظة الحنين عند الأرجاني من قصيدته، التي نظمها في مدح الخليفة
المسترشد (4) بالله، يقول: {الطويل}

أَجْنُ إِلَى لَيْلَى عَلَى فَرْبِ دَارِهَا حَنِينَ الَّذِي يَشْكُو لِأَلْفِهِ فَقْدًا (5)

ويصرح الزمخشري بلفظة الحنين في قصيدة قالها يرثي قاضياً مقرباً منه، إذ يقول:
{الطويل}

أَجْنُ إِلَى تِلْكَ الْبَشَاشَةِ كُلَّمَا تَأَوَّبَهُ ضَيْفٌ مَعَ اللَّيْلِ طَارِقٌ (6)

ومن الألفاظ الدالة على الحنين دلالة مباشرة لفظة "الشوق" فقد ترددت في أغلب
قصائد الحنين، حيث عبر الشاعر عما يُكنه من لواعج الشوق والحنين تجاه ما يحب من
وطن، وأهل، وأصدقاء، وأحبة .

(1) المقطب: يقصد به جبل المقطم، وهو جبل مشرف على القاهرة، ينظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان،
204/5

(2) ابن عنين، الديوان، 90.

(3) نفسه، 91.

(4) الخليفة المسترشد: هو الخليفة المسترشد بالله بن أحمد بن المعتدي عبد الله محمد الهاشمي العباسي أبو
منصور، من خلفاء الدولة العباسية، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة (512هـ) توفى سنة 529هـ، ينظر:
ابن شاعر الكتبي، فوات الوفيات، 124/2.

(5) الأرجاني، الديوان، 197/1.

(6) الزمخشري، الديوان، 149.

من ذلك: قول أسامة بن منقذ معبراً عن حنينه وشدة شوقه إلى أهله الذين فقدهم

فيقول: {الطويل}

وَهَاجَ لِي الشُّوقَ الْقَدِيمَ حَمَامَةً عَلَى غَصْنٍ فِي غَيْضَةٍ (1) تَتَرْنُمُ
دَعَتْ شَجْوَهَا مَحْزُونَةٌ لَمْ تَفِضْ لَهَا دُمُوعٌ؛ فَفَاضَتْ أَدْمُعِي مَزْجُهَا دَمٌ (2)

ويبدأ ابن مطروح مقطعته الشعريّة التي يحن فيها إلى المحبوبة بلفظة "المشتاق" ليقوي فكرته، فيقول: {الكامل}

بَرَدَتْ حَرَارَةَ قَلْبِكَ الْمُشْتَاقَ لَمَّا دَعَاكَ، وَأَسْعَفُوا بِتَلَاقِ
سَكَنَ الْهَوَى بَعْدَ الْخُفُوقِ وَأَخْفَقَتْ سُبُلَ الْأَسَى مِنْ قَلْبِكَ الْخُفَاقِ (3)

ويجمع الطغرائي بين لفظتي الحنين والشوق في قصيدة واحدة، ليظهر ما يكنه من لواعج الشوق والحنين، حيث يقول: {الطويل}

فَيَا لَكَ مِنْ شَوْقٍ أَرُوضُ حِمَا حَهُ وَيَأْبَى سِوَى عَضِّ الشَّكِيمِ الْجَوَامِحُ
وَعَازِبِ أَشْجَانٍ أُرِيحَ عَلَى الْحَشَا وَلَوْ كَانَ مَالاً ضَاقَ عَنْهُ الْمَسَارِحُ
وَكَمْ حَنَّةٍ لِي نَحْوَ "نَجْدٍ" وَأَنَّةٍ كَمَا حَنَّ مَرْفُوعَ الْأَطْلَيْنِ رَازِحٌ (4)

2- الألفاظ الدالة على الحنين

يتردد على ألسنة الشعراء الزنكيين والأيوبيين عدد من الألفاظ الدالة على الحنين والشوق، منها "الوجد والصّباة"، والشّجن، والفراق، والتلهف، والدموع" وغيرها من الألفاظ التي تخدم تجربة الحنين عند الشاعر الزنكي والأيوبي، وتعبّر عن مشاعره وأحاسيسه، من ذلك قول الأبيوردي حاناً إلى محبوبته: يقول {الكامل}

جُهِدُ الصَّبَابَةِ أَنْ أَكُونَ مَلُومًا وَالْوَجْدُ يُظْهِرُ سِرِّي الْمَكْتُومًا
يَا صَاحِبِي تَرَفَّقَا بِمُنْتَمِيٍّ نَزَفَ الصَّبَابَةَ دَمْعَهُ الْمَسْجُومًا (5)

(1) الغيض: مجتمع الشجر في مغيض ماء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (غيض).

(2) أسامة بن منقذ، الديوان، 99.

(3) ابن مطروح، الديوان، 157.

(4) الطغراني، الديوان، 108.

(5) الأبيوردي، الديوان، 308 / 1.

ويقول ظافر الحداد: {الطويل}

فَأَيُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِي الدَّارُ عَنْكُمْ مُقِيمٌ عَلَى فَرَطِ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ
إِذَا نَسَمْتُ مِنْ ذَلِكَ الْفَطْرُ شَمَالٌ تَرَشَّقُهَا رَشْفُ النَّزِيفِ مِنَ التَّمْدِ (1)
لَأَلْقَى مِنَ الإسْكَندَرِيَّةِ نَشْوَةً أَعْضُ بِهَا مَا بَيْنَ جَنْبِي وَقَدْ
وَأودِعُ هَبَّاتِ الجَنُوبِ تَحِيَّتِي فَهَلْ بَلَّغْتُمْ مَا أَقُولُ عَلَى البُعْدِ؟ (2)

فقد جمع لفظة الصَّبَابَةِ والوجد في بيت واحد، ليضاعف من شوقه وحنينه إلى المحبوبة.

ويستخدم ابن الهبَّاريَّة لفظة دالة على الشوق الملتهب للوطن الغائب: {السريع}

لَهْفِي عَلَى بَعْدَادِ دَارِ الهَوَى فَأَيُّنِي مِنْ حَبِّهَا مَا أَفِيقُ (3)
فلفظة "لهفي" تعمق الصَّوْرَةَ وتبرزها أكثر، فهو متلهف إلى بغداد العزيزة على قلبه.

ووظف أسامة بن منقذ ألفاظاً دالة على الشوق والحنين ، من ذلك الفراق والدَّمع والوداع، يقول: {البيسط}

أَقُولُ لِلْعَيْنِ فِي يَوْمِ الفِرَاقِ، وَقَدْ فَأَصَتْ بِدَمْعٍ عَلَى الخَدَّيْنِ مُسْتَبِقِ
تَزوَدِي اليَوْمَ مِنْ تَوَدِيعِهِمْ نَظْرًا فَفِي غَدٍ تُفْرُغِي لِلدَّمْعِ والأَرْقِ (4)

تؤكد ألفاظ الحنين والشوق السابقة، سواء كانت مباشرة أم غير مباشرة صدق تجربة الحنين عند شعراء هذا العصر، فقد وظف الشَّاعر أكثر من لفظة في البيت الواحد، ليعبر عن حنينه المستمر إلى الوطن والأهل والأحبة والأصدقاء والتكريات الماضية، فهذه كلها مفقدات عزيزة عليه، ويحبها ويتشوق لها شوقاً كبيراً.

ومن السمات الأسلوبية الأخرى التي وظفها الشَّاعر الزنكي والأيوبي في شعر الحنين، الاقتباس، والتضمين.

(1) التمد: الماء الثقيل لا مادة له. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (تمد)

(2) ظافر الحداد، الديوان، 97، 98.

(3) ابن الهبَّارية، الديوان، 160.

(4) أسامة بن منقذ، الديوان، 90.

حيث اقتبس الشاعر الزنكي والأيوبي من القرآن الكريم والحديث في نتاجه الشعري الذي قاله في الحنين ليؤكد صدق عاطفته تجاه وطنه وأهله وأحبابه وأصدقائه، ولتجميل شعره في هذا الغرض، من ذلك قول ابن مطروح: { الطويل }

وَمَا هِيَ إِلَّا جَنَّةُ الْخُلْدِ بِهَجَّةً وَلَا عَجَبٌ شَوْقِي إِلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ (1)
فقد تأثر بقوله تعالى: (قُلْ أَنْتَ خَيْرٌ أُمَّ جَنَّةِ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا) (2) ويتضح تأثر ظافر الحداد بالقرآن الكريم والافتباس من كلام الله العظيم، حيث يقول في التثوق والحنين إلى أهله ومدينته الإسكندرية: { الطويل }

وَعَايَيْتُهُ حَالَان: إِمَّا لِحِجَّةٍ لَهَا مِنْ جُورِ اللَّهِ خَيْرٌ مَقَامٍ
وَإِمَّا إِلَى نَارِ قِيَالِكَ غُرْبَةً وَطَوَّلُ عَذَابِ الدَّائِمِ وَلِزَامِ (3)
فهو متأثر بقوله تعالى: (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نِصْبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ) (4)

لقد ناسبت الإشارات القرآنية حالة الشاعر ونفسيته فالوطن يمثل له الجنة حيث الأمن والراحة، في حين أن الغربة تمثل له النار العذاب الدائم الذي يلزمه ما دام مغترباً.

وفي قول ابن مطروح: { الخفيف }

حُبُّكُمْ وَالْغَرَامُ يَا أَهْلَ نَجْدٍ - بَعْدَ يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْعَرَضُ بَاقٍ (5)

فقد تأثر بقوله تعالى: (يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (6)

لم يجد ابن مطروح طريقة أفضل للتعبير عن شوقه الملتهب إلى المحبوب الغائب من الافتباس من القرآن الكريم؛ ليجمل نصه الشعري ويعطيه جزالة أكثر، حيث يقول:

(1) الديوان: 50.

(2) الفرقان: 15.

(3) ظافر الحداد، الديوان، 285.

(4) فاطر: 35، 36.

(5) الديوان، 175.

(6) إبراهيم: 41.

{ الطويل }

وَفِي الْقَلْبِ نَارٌ لِلْخَلِيلِ تَوَقَّدتْ وَمَا دُقْتُ مِنْهَا لَاسَلَامًا وَلَا بَرْدًا(1)
فقد أشار إلى قوله تعالى: (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) (2)

ويتأثر العماد الأصبهاني بالقرآن الكريم في حنينه إلى الأهل والأحبة، فيقول:

{ الطويل }

سَأْبَلِي وَلَا تَبْلِي سَرِيرَةٌ وَدَّكْمٌ وَتُونْسِي إِنْ مُتُّ فِي وَحْشَةِ اللَّحْدِ(3)

يلاحظ تأثر الشاعر الواضح بالآية القرآنية الآتية: (يوم تبلى السرائر) (4)

ومن خلال عملية البحث والتقصي في أشعار الحنين حول تأثر الشعراء بالحديث النبوي الشريف، يلاحظ أن الشعراء لم يكتفوا من الاستشهاد به، إلا ما قاله ابن جبیر من شعر في الحنين إلى الديار المقدسة: { الخفيف }

طَالَ شَوْقِي إِلَىٰ بَقَاعِ ثَلَاثٍ لَا تُشَدُّ الرَّحَالَ إِلَّا إِلَيْهَا(5)
فقد أشار إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" (6).

ولم يقتصر تأثر الشاعر الزنكي والأيوبي بالقرآن الكريم والحديث الشريف بل تأثر بالشعراء السابقين، حيث تأثر بأساليبهم الشعرية.

(1) ابن مطروح، الديوان، 120.

(2) الأنبياء: 69

(3) ابن العماد الأصبهاني، الديوان، 129.

(4) الطارق: 9

(5) ابن جبیر، الديوان، 107.

(6) البخاري، صحيح البخاري، 206/1.

ومن ذلك قول ابن عنين: {الطويل}

لَعَزَّةٌ دَفَرٌ حِينَ تُوقَدُ نَارُهَا لَدِيهِ وَمَثْقَالٌ بِهِ أُمَّ جُنْدَبٍ (1)
فقد أشار إلى قولين سابقين أولهما: قول كثير عزة: {الطويل}

بِأَطْيَبِ مِنْ أَرْدَانَ عَزَّةٌ مَوْهِنًا وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبِ نَارُهَا (2)

أما في قوله: "ومتقال به أم جندب" يتأثر بقول امرئ القيس: {الطويل}

فإِكْمَا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَةً مِنْ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمَّ جُنْدَبٍ (3)

ومثله أيضاً قول المهذب بين الزبير في مقطعه التي نظمها في ذكر الديار والحنين إليها، فقد تأثر فيها بقول زهير بن أبي سلمى، والبحثري، يقول: {الكامل}

وإِلَى دِيَارِكُمْ نَحْنُ صَابَأَةٌ وَتَفْضُ أَوْعِيَةَ الدُّمُوعِ وَتُرْسِلُ
تِلْكَ الْمَنَازِلُ مَا تَمُرُّ سَحَابَةٌ تَهْمِي بِهَا إِلَا وَعَيْنٌ تَهْمُلُ (4)

ويشير إلى قول زهير: {البيسيط}

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَعَبْرَةٌ مَا هُمْ لَوْ إِيَّاهُمْ أَمَمٌ (5)
وفي قوله: {الكامل}

مَا ضَرَّهَا إِذْ يَنْزِلُونَ رُبُوعَهَا أَلَا يُرَى، "فِيهَا لَعْلُوةٌ مَنزَلٌ" (6)
قد اقتبس من قول البحتري {الكامل}

عَرَجَ عَلَى حَلْبٍ فَحَيِّ مَحَلَّةٌ مَأْتُوسَةٌ فِيهَا لَعْلُوةٌ مَنزَلٌ (7)
حيث تأثر بقوله عندما اقتبس من عجز البيت "لعلوة منزل".

(1) الديوان، 89.

(2) الديوان، 429.

(3) الديوان، 114.

(4) المهذب بن الزبير، الديوان، 209.

(5) زهير بن أبي سلمى، الديوان، 90.

(6) المهذب بن الزبير، الديوان، 209.

(7) الديوان، 24/1.

ويقول العماد الأصبهاني: {الكامل}

وَلَكُنْتَ تَثْرَكَ فِي الْعَرَامِ مَلَامَهُ كَيْلًا يَزِيدُ الْلَوْمُ فِي إِغْرَائِهِ⁽¹⁾
يظهر البيت تأثر الشاعر بقول أبي نواس: {البيسط}

دَعَّ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ الْلَوْمَ إِغْرَاءُ وَدَاوِنِي بِأَلْتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ⁽²⁾

ويقول الملك الأمجد في حنينه إلى المحبوبة: {المتقارب}

دَعَّ الْعَيْسَ تَرْفُلٌ فِي الْفَدْفَدِ عَجَالًا إِلَى بُرْقَتِي تَهْمَدِ⁽³⁾

فقد ضمن الشاعر من مطلع معلقة طرفة بن العبد التي يقول فيه: {الطويل}

لِخَوْلَةٍ أَطْلَالٌ يُبْرِقُ تَهْمَدِ تَلُوْحُ كِبَاقِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ⁽⁴⁾

ويتأثر أسامة بن منقذ بأبي فراس الحمداني، حيث يقول: {الطويل}

أَطَاعَ الْهَوَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَصَى الصَّبْرُ فَلَيْسَ لَهُ نَهْيٌ عَلَيْهِ وَلَا أَمْرُ⁽⁵⁾
فالتأثر واضح إذ يقول أبو فراس الحمداني: {الطويل}

أَرَاكَ عَصَى الدَّمْعِ شَيْمُوكَ الصَّبْرُ أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرُ⁽⁶⁾

ومن الأمثلة على التضمينات أيضاً ، قول أسامة بن منقذ: {البيسط}

يَا قَلْبُ ، دَعَّهُمْ ، فَقَدْ جَرَّبْتَ غَدْرَهُمْ "وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْعَيِّ مَا يَزَعُ"⁽⁷⁾

فقد ضمن أسامة بن منقذ عجز بيت المتنبي الآتي : {البيسط}

(1) الديوان، 66.

(2) الديوان، 11.

(3) الملك الأمجد، الديوان، 100

(4) الزوزني، شرح المعلقات السبع، 62.

(5) الديوان، 72

(6) أبو فراس الحمداني، الديوان، 64.

(7) الديوان، 82.

أَهْلُ الْحَفِيظَةِ إِلَّا أَنْ تُجَرَّبَهُمْ وَفِي التَّجَارِبِ بَعْدَ الْغَيِّ مَا يَزَعُ (1)

الأساليب الإنشائية:

وظف الشاعر الزنكي والأساليب الإنشائية في قصائده ومقطعاته الشعرية التي قيلت في الحنين؛ لتخدم تجربته الشعرية، فقد أكثر من النداء والاستفهام والتمني، وهذه الأساليب تتفق وحالة الشاعر، فمرة يخاطب الوطن والأصحاب والأحبة والأصدقاء والزمن الماضي، وهذا يناسبه أسلوب النداء، ومرة يتساءل عن حاله، وعمّا يختلج صدره من شوق وحنين إلى تلك المفقذات، وهذا يناسبه أسلوب الاستفهام، وثالثة يتمنى العودة إلى الوطن والأهل والأقرباء والأحبة والذكريات الماضية الجميلة، وهذا يناسبه أسلوب التمني.

أ. أسلوب النداء.

تكررت أساليب النداء في شعر الحنين في هذا العصر، فقد عبر أسامة بن منقذ عن حنينه الممزوج بالأسى والحسرة إلى المحبوب، فيقول: {الطويل}

أَحْبَابَنَا مَا أَشْتَكِي بَعْدَ بُعْدِكُمْ سِوَى أَنْبِي بَاقٍ وَلَبِّي حَاضِرٌ (2)
ويكرر أسامة بن منقذ أسلوب النداء ليعبر عما حلّ به من الدهر، فالأيام لم تنصفه ولم تكن عادلة بحوادثها ووقائعها فيقول: {مجزوء الكامل}

يَا دَهْرُ مَا لَكَ لَا يَصْدُ دَكَ عَنِّ إِسَاءَتِي الْعَثَابُ
أَمْرَضْتَ مَنْ أَهْوَى وَيَا بِي أَنْ أَمْرَضَهُ الْجَبَابُ
لَوْ كُنْتُ تُنِصَفُ كَانَتْ لِي أَمْرَاضُ بِي وَلَهُ الثَّوَابُ (2)

ويظهر أسلوب النداء المصحوب بالتحسر والاسى تجاه الوطن في قصيدة ظافر الحداد إذ يقول: {مجزوء الوافر}

فَوَا أَسَافَاهُ يَا وَطَنِي وَإِنْ أَوْدَى بِي الْأَسَافُ
عَدِمْتُكَ حِينَ مَالِي مِنْ كَ مُعْتَاضٍ وَلَا خَلْفُ (3)

(1) الديوان، 224/2.

(2) أسامة بن منقذ، الديوان، 74.

(2) نفسه، 55.

(3) الديوان، 210.

ويتعاقب أسلوب النداء المشحون بحرارة العاطفة وصدقها تجاه مصر وقاطنيها في مقطعة للعماد الأصبهاني، معبراً فيها عن شدة حبه وشوقه لمصر وساكنيها يقول:

{الطويل}

أَيَا سَاكِنِي مِصْرٍ أَلَمْ تَتَحَقَّقُوا بِأَتَّكُمُ لَمْ تَبْرَحُوا سَاكِنِي قَلْبِي
حَنَانِيكُمُ زَادَ الْحَنِينَ إِلَيْكُمُ فَأَضْعَفَ مِنْ صَبْرِي وَضَاعَفَ مِنْ كَرْبِي
لَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ لَوْعَةِ الْحُبِّ مُهْجَتِي وَهَلْ مُهْجَةٌ تَبْقَى عَلَى لَوْعَةِ الْحُبِّ (1)

ويكرر الشاعر الزنكي والأيوبي أسلوب النداء في شعر الحنين، ليدل على صدق تجربته الشعرية تجاه ما يحن إليه، فيخاطب عرقلة الكلبي أحبابه، مظهراً ما يكنه من شوق وحنين إليهم

قائلاً: {البيسيط}

أَحْبَابَنَا لَا تَظُنُّونِي سَأَلُونُكُمْ وَمَا حَالَتِ الْحَالُ، وَالتَّبْرِيحُ مَا بَرَحَا (2)

ويوظف الزمخشري أسلوب النداء في حنينه إلى مكة المكرمة مخاطباً من يسافر في البلاد المختلفة، مظهراً أنه إلى البلد الحرام مسافر: {الكامل}

يَا مَنْ يُسَافِرُ فِي الْبِلَادِ مُنْقَبَا إِنِّي إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ مُسَافِرٌ (3)

(1) العماد الأصبهاني، الديوان، 85..

(2) عرقلة الكلبي، الديوان، 17.

(3) الزمخشري، الديوان، 342.

ويكرر النداء في القصيدة نفسها طالباً من الله تعالى أن يهديه إلى خير الأمور، يقول:
{الكامل}

يَا رَبِّ إِنِّي اسْتَخِيرُكَ فِي الَّذِي نَطْتُ الرَّجَاءَ بِهِ وَأَنْتَ الْخَائِرُ (1)
وهكذا قد جاء أسلوب النداء لخدمة تجربة الحنين، واكتسب دلالة أعمق في سياق هذه التجربة، فقد جاء مفعماً بإحساس الشاعر ووجدانه ومشاعره. (2)

ب- أسلوب الاستفهام

وظف الشاعر الزنكي والأيوبي أسلوب الاستفهام للتعبير عن حاضره المرير واصطدامه بالواقع (3)، ومن ذلك ما يظهر في قول الطغرائي، الذي عبر عن اصطدامه بالواقع المرير الحزين، فقد سلب منه الأشياء الجميلة كلها، يقول: **{البسيط}**

فَأَيْنَ عَصْرُ شَبَابٍ لَا رُجُوعَ لَهُ أَمْ أَيْنَ أَنْتَ وَمَالِي عَنْكَ مِنْ خَبْرٍ؟ (4)

ومنه أيضاً قول الملك الأمجد، حيث وظف هذا الأسلوب في قصيدته البائية، للتعبير عن شوقه الملتهب إلى المحبوب البعيد، إذ يقول: **{الطويل}**

وَكَيْفَ يَرَى قَلْبِي جَلِيداً عَلَى النَّوَى وَقَدْ بَانَ مَنْ يَهْوَى وَلَوْ كَانَ مِنْ صَخْرٍ؟ (5)

ومن الشعراء الذين وظفوا الاستفهام أسامة بن منقذ، فقد استخدم اسم الاستفهام "أين" ليدل على ما يكتنف نفسه من حسرة وألم نتيجة لضياع الوطن، وفقد الأهل والخلان والأحبة.

(1) الزمخشري، الديوان، 342.

(2) ينظر: دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 456.

(3) نفسه، 456.

(4) الطغرائي، الديوان، 196.

(5) الملك الأمجد، الديوان، 148.

يقول: {الكامل}

أَيْنَ السُّرُورِ مِنَ المُرُوعِ بِالنَّوَى أَبَدًا، فَلَا وَطَنٌ، وَلَا خُلَانٌ⁽¹⁾
ويكرر العماد الأصبهاني في أسلوب الاستفهام في قصيدته اللامية تعبيراً عن حنينه
ونزوعه إلى أصدقائه، فقد حرم منهم واصفاً عيشته المريرة، وواقعه الأليم بعد غيابهم:

{الهزج}

نُرى يَجْتَمِعُ الشَّـمْلُ؟ نُرى يَتَّفِقُ الوَصْلُ؟
نُرى العَيْشَ الَّذِي مَرَّ مَرِيـراً بَعْدَهُمْ يَخْلُو؟
نُرى مِنْ شَاغِلِ الهَمِّ فُوَادِي المُبْتَـلَى يَخْلُو؟⁽²⁾
ويقول ابن مطروح: {الوافر}

أجيرانَ الحمى، هَلْ لِي إِلَيْكُمْ عَلَى رَغْمِ العِدَى يَوْمًا سَبِيلُ؟
لَئِنْ نَزَحَتْ بِكُمْ عَنَّا اللَّيَالِي فَأَنْتُمْ فِي حِمَى قَلْبِي نَزُولُ
أَيَا بَانَ الحِمَى، هَلْ لِي وَهَلْ لِي - وَقَدْ بَأثُوا-، إِلَى وَصَلٍ وَصُولُ؟⁽³⁾
فقد كثف ابن مطروح في الأبيات السابقة من استخدام أسماء الاستفهام حيث وظف
الهمزة (أ) و(هل) في موضعين، ودلالة هذا التكتيف رغبة الشاعر الجامعة في التعبير
عن مشاعره الملتهبة تجاه الحبيب فهو يتمنى الوصل بعد الفراق.

ويكرر ظافر الحداد أسلوب الاستفهام في بيت شعري واحد، متمنياً العودة ولقاء الأهل
والأحبة، إذ يقول: {الطويل}

أَلَا هَلْ لِأَيَّامِ الوَصَالِ تَوَاصُلٌ وَهَلْ لِي إِلَى سَكَّانِ مِصْرَ مَصِيرُ؟⁽⁴⁾

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 104.

(2) العماد الأصبهاني، الديوان، 334.

(3) الديوان، 166.

(4) ظافر الحداد، الديوان، 155.

(5) الزمخشري، الديوان، 52.

ولجأ الزمخشري إلى هذا الأسلوب في حنينه إلى الديار المقدسة، ليوثق ارتباطه بمكة المكرمة، وما حولها من الديار الحجازية الطاهرة، حيث يقول: { الطويل }

فَكَيْفَ إِذَا خَلَى الْحَجَّازَ وَرَأَيْنَا وَحَيْفَ الْمَطَايَا؟ يَا لَهَا كَبِدًا حَرَّى (5)
يمكن القول: إن الشاعر الزنكي والأيوبي من خلال توظيفه أسلوب الاستفهام، استطاع أن يترك أثراً عميقاً في نفس المتلقي، ويثبت له صدق عاطفته في تجربة شعرية.

ج - أسلوب التمني.

استخدم الشاعر الزنكي والأيوبي أسلوب التمني في شعر الحنين، ليرز حنينه وشوقه إلى وطنه وأهله وأحبابه، فهو يتمنى عودة كل ما يفتقد إليه، ومن الأمثلة على أسلوب التمني، قول أسامة بن منقذ: { الطويل }

فَلَيْتَ زَمَانَ الْهَجْرِ يَنْقُصُ مِنْ مَدَى حَيَاتِي، وَسَاعَاتِ الْوَصَالِ تَعُودُ
وَكَأَنْتَ لِيَالِي الْوَصْلِ مُشْرِقَةٌ بِهِ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ الْقَطِيعَةِ سُودُ (1)
فقد وظف الشاعر أسلوب التمني الممزوج بالحسرة والأسى، فقد مضت أيام الوصال الجميلة، التي كانت تجمعها بالأحبة والأهل؛ ليعبر عن شوقه القوي، إلى الأحبة الغائبين. كما وظف ابن عنين هذا الأسلوب، بقوله: { الطويل }

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةٌ وَظَلُّكَ يَا مَقْرَى عَلَيَّ ظَلِيلُ (2)
يستخدم الشاعر عبارة "ألا ليت" ليعبر عن حنينه إلى مدينة دمشق، متمنياً العودة إليها.

ومن ذلك ما يظهر في قصيدة العماد الأصبهاني حيث كرر هذا الأسلوب الممزوج بالاستفهام، ليضاعف من حنينه إلى مصر التي فارقها، فهو يتمنى أن تعلم بشدة حبه إليها، مظهراً رغبته بالعودة إلى مصر، والالتقاء بأصحابه، يقول: { الرمل }

لَيْتَ مِصْرًا عَرَفْتُ أَنِّي، وَإِنْ غَبْتُ عَنْهَا فَالْهَوَى لَمْ يَغِبِ
فَمَتَى أَظْفَرُ مِنْ فُرْيِكُمْ يَا أَخْلَايَ بِنَجْحِ الطَّلِبِ
وَمَتَى أَحْصَلُ بِالْوَصْلِ عَلَى الْـ وَوَأَصِلُ الْمُرْتَقِبِ الْمُقْتَرِبِ
وَمَتَى أَطْلُعُ فِي أَفْقِكُمْ قَمَرًا يَجْمَعُ شَمْلَ الشُّهُبِ (3)

(1) الديوان، 64.

(2) الديوان، 69.

(3) العماد الأصبهاني، الديوان، 79.

ويوظف الشاعر أسلوب التمني رغبة منه باسترجاع الماضي الجميل، وزمن الوصال الذي كان يجمعه بالأحبة، وهذا ما يتضح في قول ظافر الحداد: {الكامل}

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْأَمَانِي ضِلَّةٌ وَالذَّهْرُ يُدْرِكُ صَرْفُهُ وَيَجُوزُ
هَلْ لِي إِلَى زَمَنٍ تَصْرَمَ عَهْدُهُ سَبَبٌ فَيَرْجِعَ مَا مَضَى فَأَفُوزُ
وَأَزُورُ مِنْ أَلْفِ الْبَعَادِ، وَحُبُّهُ بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا مَرَكُوزُ⁽¹⁾

-المحسنات البديعية-

اهتم الشاعر الزنكي والأيوبي بالمحسنات البديعية اهتماماً بالغاً، واعتبره "ضرورة لا يكون الشعر جميلاً إلا بها"⁽²⁾ ويرى شفيق محمد الرقب أن بعض شعراء هذا العصر استخدموا المحسنات البديعية، وكأنها ميدان يتنافسون فيه لإظهار مهارتهم في التصرف بالكلمة المفردة، رسماً، وصوتاً، ومعنى لاستدعاء صورة الزخرفة اللفظية⁽³⁾.

لذلك كان الاهتمام بالفنون البديعية أحد مقاييس الدوق في العصرين الزنكي والأيوبي، في معظم الأغراض الشعرية لا سيما شعر الحنين، ولكن هل تخدم الزخرفة والتزييق اللفظي تجربة الحنين، وتعطيها بعداً صادقاً؟ أم أن المحسنات البديعية توضح الفكرة وتضاعفها؟

وقد وظف الشاعر الزنكي والأيوبي عدداً من المحسنات البديعية في شعر الحنين، وفق الآتي:

أ-الطباق .

كان الطباق من ضروب البديع التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدة الحنين في هذا العصر لتحسين الكلام وتجميله.

والطباق: الجمع بين ضدين في الشعر⁽⁴⁾، ومن خلال البحث في النصوص الشعرية التي قيلت في الحنين في هذا العصر، نلاحظ استخدام بعض الشعراء لهذا اللون البديعي، " فشعر الحنين يقوم في أساسه على الجمع بين صورة الماضي وصورة الحاضر والمفارقة بينهما"⁽⁵⁾، من ذلك قول القيسراني: {الطويل}

(1) الديوان، 161، 162.

(2) زغلول، محمد سلام، تاريخ النقد العربي في القرن الخامس إلى القرن السابع، 313.

(3) ينظر: الشعر العربي في بلاد الشام، 35.

(4) ينظر: ابن رشيق القيرواني، العمدة، 5/2، ابن حجة الحموي، خزانة الأدب، 156/1.

(5) دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 490.

وَأَطْمَعُ مِنْهُ فِي الْوَصَالِ وَدَوْنَهُ دَلَالٌ عَلَى الْهَجْرَانِ مِنْهُ دَلِيلٌ⁽¹⁾
حيث جمع الشاعر بين (الوصال والهجر) وهما ضدان، أراد من خلالهما أن يكشف عن حالته النفسية، فهو يتمنى وصال المحبوبة التي تتمنع في هجرها له.

ومن أمثله أيضاً ما ورد في مقطعة شعرية لابن الكثاني أرسل بها إلى صديقه، حيث يقول: { المنسرح }

شَوْقًا إِذَا مَا اقْتَصَرْتُ فِيهِ أَطْلُتُ فِي بَعْضِهِ خَطَابِي⁽²⁾
فقد جمع الشاعر بين متضادين، هما: (اقتصرت وأطلت) ليعبر عن حنينه إلى صديقه الغائب، فهو وإن اقتصر في شوقه، فقد أطل الحديث عنه.

ومن الشعراء الذين استخدموا الطباق في حنينهم أسامة بن منقذ حيث يقول: { الكامل }
فَالِي مَتَى يُمَسِّي وَيُصْبِحُ فِي لُظَى مِنْ وَجْدِهِ، يَسْمُ الْمَطِيَّ أَوَارُهُ⁽³⁾
جمع الشاعر بين (يمسي ويصبح)، وهم ضدان، تعبيراً عن ألمه الممزوج بالحنين والشوق إلى الغائبين.

ويلجأ ابن القيسراني إلى الطباق ليصور الانفعالات المشتتة المتداخلة، فقد بدا حائراً بين موقفين: { الطويل }

تُجَاذِبُنِي الْأَهْوَاءَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا فَقَلْبِي "وَرَائِي" تَارَةً وَأَمَامِي⁽⁴⁾
فقد جمع بين (شرقاً ومغرباً) و (ورائي وأمامي) ليعبر عن حنينه المقسم بين العراق والشام.

ومنه أيضاً قول ظافر الحداد: { البسيط }

لَعِبْتُ بِالزَّمَنِ الْمَاضِي فَخَافَنِي مِنْ بَعْدِهِ فِي زَمَانٍ ظَلَّ يَلْعَبُ بِي
هَذَا بِذَلِكَ فَطَبَعُ الدَّهْرِ مُخْتَلِفٌ لَا بُدَّ مِنْ رَاحَةٍ فِيهِ وَمِنْ تَعَبٍ⁽¹⁾

(1) الديوان، 341.

(2) ابن الشعار، قلاند الجمان، 224/10.

(3) أسامة بن منقذ، الديوان، 71.

(4) ابن القيسراني، الديوان، 388.

جمع الشّاعر بين الرّاحة والتّعب في عجز البيت الثّاني، وهما ضدان، ليظهر أحواله المتقلّبة، فالزّمن لا يبقى شيئاً على حاله، فبعد أن عاش في راحة وسرور، أصبح يعيش في تعب وشقاء.

ب- المقابلة.

وتعدّ المقابلة من الألوان البديعية التي وظفها الشّاعر الزّنكي والأيوبي، والمقابلة: هي الجمع بين أكثر من ضدين في الشّعر⁽²⁾، فقد قابل الشّاعر بين صورتين متضادتين ليوضح فكرته ويبررها أكثر، من ذلك: قول سبط بن التعاويذي: { المتقارب }

وَرُبَّ لَيْالٍ نَصَحْنَا بِهَا حَرَّ الْفِرَاقِ يَبْرُدُ التَّلَاقِي⁽³⁾
حيث قابل الشّاعر بين (حر الفراق وبرد التّلاقي) ليكشف حالته التي ملأها الشوق والحنين.

ويقول المهذب بن الزّبير { الطويل }

لَقَدْ طَالَ هَذَا اللَّيْلَ بَعْدَ فِرَاقِهِ وَعَهْدِي بِهِ قَبْلَ الْفِرَاقِ قَصِيرُ⁽⁴⁾

فقد قابل الشّاعر بين حاله قبل الفراق وحاله بعد الفراق، فقبل الفراق كان ليله قصيراً، أما بعده، أصبح طويلاً مليئاً بالهموم والعذابات، وقد اعتنى الشّاعر الزّنكي والأيوبي بالطّباق، والمقابلة ليبرز حالته النفسيّة الواقعة بين ضدين يوضحان غرضه.

ج - الجناس:-

اهتمّ الشّاعر الزّنكي والأيوبي بالجناس ليجمل قصيدة الحنين المليئة بالأحزان والأشجان والدّمع، والجناس: " تشابه اللفظين في النّطق تشابهاً تاماً أو جزئياً، مع اختلافهما في المعنى"⁽⁵⁾.

(1) الديوان، 20.

(2) ينظر: ابن رشيق، العمدة/ 15/2.

(3) الديوان، 299.

(4) الديوان، 189.

(5) اسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، 12.

ومن الأمثلة على الجناس التام والناقص في هذه الدراسة قول ابن القيسراني يحن إلى أرض العراق وساكنيها: {البسيط}

رَأَيْتَ حَبَّةَ قَلْبِي كَيْفَ يَسْأَلُهَا "خَدُّ" لَهَا لَيْسَ بِالْخَالِي مِنَ الْخَالِ(1)
فقد جانس بين (الخالي والخال) وهذا ترك أثراً في نفسي المتلقى، لما أحدثه من جرس موسيقي عذب.

ومن الشعراء الذين وظفوا هذا اللون في شعرهم المهذب بين الزبير وذلك من قصيدة قالها في تذكر الوطن: {الطويل}

وَإِنْ شَامَ بَرَقَ الشَّامَ طَرْفِي وَشَمَّرْتُ عَلَى الْبُعْدِ عَنْهُ لِلظَّلَامِ دُيُولُ(2)
حيث جانس بين لفظتي (شام والشام) جناساً تاماً، وكان لهذا التكرار في اللفظ أثر موسيقي يطرق الأسماع.

ومنه أيضاً قول العماد الأصبهاني: {الخفيف}

وَمَرَادُ(3) الْمُرَادِ بِالْعُرْفِ زَاهٍ وَمَرَاخُ الْمِرَاحِ بِالْعُرْفِ فَاغَمُ(4)
إن المتتبع للبيت السابق يجد أن الشاعر قد استخدم الجناس ثلاث مرات، فقد جانس بين (مراد ومراد) وبين (مراح والمراح)، وبين (العُرف والعرف)، وكان لهذا التكرار جرس موسيقي جميل، يترك شيئاً في نفس الملتقي.

ومن الجناس أيضاً قول ظافر الحداد: {الكامل}

تَرْفٌ يُمِيلُهُ الصَّبَا مَيْلَ الصَّبَا بِقَوَامِ خُوطِ(5) الْبَانَةِ الْمِيَادِ(6)

(1) الديوان، 207.

(2) المهذب، بن الزبير، الديوان، 207.

(3) مراد: بفتح الميم، هو مكان ريادة الإبل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرد).

(4) الديوان، 366.

(5) الديوان، 89.

(6) خوط: الغصن الناعم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(خَوَط).

جانس الشعاع بين لفظتي (الصبا والصبأ) وهذا الجناس أعطى موسيقا داخلية واضحة، تجذب الملتقي إلى الاستماع.

ومن الأمثلة على الجناس الناقص، قول ابن الهبأريّة: { الكامل }

إِنْ لَمْ تَكُنْ وَطَنِي فَلِي بِرُبُوعِهَا وَطَرُّ وَأَوْطَانُ الْفَتَى الْأَوْطَارُ⁽¹⁾
جناس الشعاع بين (أوطان وأوطار) جناساً ناقصاً، أحدث جرساً موسيقياً واضحاً.

ويقول الأرجاني : { الكامل }

مَا كَانَ تَدْرِي مَا الْحَنِينُ مَطِينًا حَتَّى مَرَرْنَا بِأَبْرَقِ الْحَنَّانِ⁽²⁾
لَمَّا أَمَلْتُ زَمَامَ نِضْوِي نَحْوَهُ لِأَجِيلِ طَرْفِي فِي رُسُومِ مَعَانِ⁽³⁾
فقد جانس الشعاع بين لفظتي (الحنين والحنان) وهو جناس ناقص غير متكلف، أدى التكرار فيه إلى موسيقا داخلية واضحة.

د- التقسيم.

ومن ألوان البديع التي وظفها الشعاع الزنكي والأيوبي في قصيدة الحنين التقسيم، والتقسيم " هو أن يقسم المعنى بأقسام تستكملها، فلا تنقص عنه، ولا تزيد"⁽⁴⁾

ومن الأمثلة على التقسيم، ما يظهر في قوله القاضي الفاضل: { البسيط }

رَجَعْتُ عَنْهُ بِلا سَمْعٍ، وَلا بَصَرَ وَلا فُؤَادَ، وَلا دَمْعَ، وَلا نَفْسَ
وَلا حَبِيبٍ، وَلا أَهْلٍ، وَلا وَطَنَ وَلا اصْطَبَارَ، وَلا نَوْمَ، وَلا أَنْسَ⁽⁵⁾
فقد جعل الشعاع عودته مقسمة إلى أقسام عديدة، حيث قسمها إلى أحد عشر قسماً، وهي: السمع، والبصر، والفؤاد، والدمع، والنفس، والحبيب، والأهل، والوطن،

(1) الديوان، 90.

(2) الحنان: وهو اسم موضع فيه حجارة غليظة وأتربة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(حنن).

(3) الديوان، 2/ 333.

(4) أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، 98.

(5) الديوان، 56/1.

والاصطبار، والنوم، والأنس، وهذا يدل على حنين الشاعر الممزوج بالحزن والألم لافتقاده إلى كل ما يحن إليه.

ومن الشعراء الذين استخدموا هذا اللون البديعي في حنينهم ابن مطروح: حيث يقول:
{ البسيط }

عِنْدِي غَرَامٌ وَتَبْرِيحٌ وَتَذْكَارٌ وَنَارٌ وَجَدٌّ، غَدَّتْ مِنْ دُونِهَا النَّارُ⁽¹⁾
فقد أحسن الشاعر التقسيم، حيث قسم شوقه إلى المحبوبة إلى أقسام هي: الغرام، والتبريح، والتذكار، ونار الوجد، ليرز حنينه وحبه إلى تلك المحبوبة الغائبة.

وأحسن أسامة بن منقذ التقسيم في قوله: **{ الكامل }**

فَالْعُمُرُ أَجْمَعُ بَيْنَ هَجْرٍ سَالِفٍ مَاضٍ، وَبَيْنَ أَنْفٍ مُسْتَقْبَلٍ⁽¹⁾
فقد قسم العمر إلى (هجر سالف ماض) وإلى (أنف مستقبل) تعبيراً عن حنينه وشوقه إلى أهله الغائبين.

ومنه أيضاً قول ابن الكثاني: **{ المنسرح }**

شَوْقِي إِلَى يُوسُفَ الْعُقَابِ الْعَالِمِ الْمَاجِدِ الشَّهَابِ⁽²⁾
فقد أحسن الشاعر التقسيم حين جمع فيه صديقه ثلاث صفات حميدة قسمها إلى: (العالم، والماجد، والشهاب)، معبراً عن شدة حنينه وحبه إلى ذلك الصديق الغائب.

ومن التقسيمات الجميلة التي وردت في قصيدة الحنين قول الأبيوردي من قصيدة كتبها إلى أصدقائه ببغداد: **{ الطويل }**

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَانِي بَغِيطَةً أَيُّبْتُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَأَقْبِلُ

(1) ابن مطروح، الديوان، 128.

(2) أسامة بن منقذ، الديوان، 94.

(3) ابن الشعراء الموصلي، قلند الجمال، 224/10.

هَوَاءٌ كَأَيَّامِ الْهَوَى لَا يُغْبِيهِ نَسِيمٌ كَأَحْظِ الْغَانِيَاتِ، عَلِيلٌ
وَعَصْرٌ رَقِيقٌ الطَّرْتِينِ تَدْرَجَتْ عَلَى صَفْحَتَيْهِ نَضْرَةٌ وَقَبُولٌ
وَأَرْضٌ حَصَاهَا لَوْلُوٌّ وَتُرَابُهَا تَضْوَعُ مَسْكَاً وَالْمِيَاهُ شَمُولٌ⁽¹⁾

حرص الشاعر على إبراز عنصر التقسيم في حنينه إلى أصدقائه المقيمين في بغداد، فقد قسم شوقه إلى بغداد إلى ثلاثة أقسام هي: (هواء، وعصر رقيق، وأرض) وقسم الأرض أيضاً إلى ثلاثة أقسام: (الحصى والتراب والمياه) وقد كان التقسيم رشيماً لطيفاً بعيداً عن التكلف والصنعة، تاركاً أثراً في نفس المتلقي.

إن تقسيم البيت إلى أجزاء متساوية، يحدث تناسقاً موسيقياً دقيقاً، ويبدو البيت متساوياً في أركانه، من مثل ذلك قول ابن القيسراني: { البسيط }

فَقِيَ الصُّدُورَ صَبَابَاتٍ وَمَوْجِدَةً وَفِي الْخُدُورِ لُبَانَاتٍ وَأَوْطَارٌ⁽²⁾
أحسن الشاعر التقسيم بين الصدور والخدور، فقد كان التقسيم متساوياً متناسقاً.

هـ- رد العجز على الصدر.

وظف الشاعر الزنكي والأيوبي لوناً بديعاً آخر ألا وهو رد العجز على الصدر وهو أن يأتي الشاعر بلفظ في الصدر ويكرره في العجز⁽³⁾.

وقد ورد هذا النوع في أشعار الحنين في هذا العصر، ومن ذلك قول ابن عنين:
{ الطويل }

حَنَنْتُ إِلَيْهِ بَعْدَمَا نَامَ صَحْبَتِي حَنِينَ الْعِشَارِ الْحَائِمَاتِ إِلَى الْوُرْدِ⁽⁴⁾
ويقول أيضاً: { الطويل }

لَقَدْ طَالَ عَهْدِي بِالْمُصَلَى فَلَيْتَنِي رَأَيْتُ الْمُصَلَى أَوْ سَمِعْتُ لَهُ خَبْرٌ⁽⁵⁾

(1) الأبيوردي، الديوان، 569/1.

(2) ابن القيسراني، الديوان، 203.

(3) ينظر: ابن حجة الحموي، خزنة الأدب، 255/1.

(4) الديوان، 72.

(5) نفسه، 82.

ووظف أسامة بن منقذ هذا اللون البديعي ، قائلاً: { الطويل }

وَقَصَّرَ كَفِّي عَن نَّوَالٍ تُنِيلُهُ وَزَاوَلَهَا عَن نَّيْلِ مَا أَنَا طَالِبُهُ⁽¹⁾
حيث كرر لفظة النوال ليؤكد حنينه الممزوج بالألم بعد رحيله قسراً عن بلاده التي حلت
بها المصائب.

ويقول أيضاً في الحنين إلى الأهل والأحبة الذين فارقهم: { الكامل }

فَارَقْتَهُمْ ثِقَةً بِصَبْرِكَ عَنْهُمْ فَاصْبِرْ لِنِيرَانِ الْأَسَى يَا مُوقِدُ⁽²⁾
واستخدم العماد الأصبهاني هذا النوع أيضاً في حنينه إلى مصر وساكنيها، قائلاً:
{ الطويل }

وَإِنِّي بِحَالٍ لَسْتُ أَذْكَرُ بَعْضَهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتُمْ كَيْفَ أَنْتُمْ⁽³⁾

وقد ورد هذا النوع في الحنين إلى الديار المقدسة ليؤكد الشاعر الزنكي والأيوبي حبه
لليدار الطاهرة، حيث يقول الزمخشري من قصيدة في الحنين إلى مكة المكرمة:

{ الطويل }

أَبَيْتُ عَلَى الصَّخْرِ الْمُبَارَكِ بَاكِياً كَمَا كَانَتْ الْخَنَسَاءُ تَبْكِي عَلَى صَخْرٍ⁽⁴⁾
ويلجأ الزبير بن المهذب إلى رد العجز على الصدر في ذكر الوطن والحنين إليه يقول:
{ الطويل }

نَبَتَ بِهِمْ أَوْطَانُهُمْ فَتَرَحَّلُوا وَلِلْمَجْدِ فِي ذَاكَ الرَّحِيلِ رَحِيلُ⁽⁵⁾
كرر الشاعر لفظة (الرحيل) في عجز البيت ليعبر عن حال سيئة آلت بمن رحلوا عن
أوطانهم، فقد ضاع المجد والعز برحيلهم وفقدانهم لأوطانهم.

(1) أسامة بن منقذ، الديوان، 56.

(2) نفسه، 26.

(3) العماد الأصبهاني، الديوان، 379.

(4) الديوان، 50.

(5) الزبير بن المهذب، الديوان، 207.

واستخدم ظافر الحداد هذا اللون البديعي ليعبر عن حنينه إلى بلاده وليؤكد البعد والفرق بتكرار لفظة (شمل)، حيث يقول: { الكامل }

شَتَّتْ شَمْلُ الدَّمْعِ لَمَّا شَتَّتُوا شَمَلِي وَصِحْتُ بِهِ: بَدَادِ بَدَادِ (1)
فَالآنَ تَحْتَرِقُ الدُّمُوعُ سَوَاكِبًا مَا بَيْنَ مَنَى تَوَامٍ وَفُرَادِ (2)
ويقول عرقلة الكلبى: { الوافر }

وَفِي البَلَدِ القَرِيبِ عَدِمْتُ صَبْرِي فَكَيْفَ أَكُونُ فِي البَلَدِ البَعِيدِ (3)
كرر الشاعر لفظة "البلد" في عجز البيت تعبيراً عن شدة شوقه وحنينه إلى المحبوب.

وهكذا تناول الشعراء هذا اللون البديعي في أغراض الحنين المختلفة؛ ليمرروا شوقهم وحنينهم الدائم إلى تلك المفقودات التي ينزعون إليها، وليخدموا تجربتهم الشعرية، ويظهروها صادقة.

(1) بداد، بداد، المقصود بها بلادي بلادي، ينظر، ظافر الحداد، الديوان، حاشية المحقق، 90.

(2) ظافر الحداد، الديوان، 90.

(3) الديوان، 21.

ثالثاً: الموسيقى.

الموسيقا من أخصّ خصائص الشّعر العربي، والوزن والقافية عنصران مهمان لإحداث الموسيقا الشّعريّة، ولا يمكن عند القدماء بناء القصيدة بدونهما، يضاف إلى ذلك عنصر آخر هو حسن تأليف الكلام، وترابط أجزائه، حتى لا يشعر المتلقي بالتواء أو نفور لذا كان "للشّعر الموزون إيقاع يطرب الفهم لصوابه وما يرد عليه من حسن تركيبية واعتدال أجزائه" (1) واشترط قدامة بن جعفر أن يكون اللفظ "سمحا سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رونق الفصاحة، مع الخلو من البشاعة" (2).

وبالنظر إلى طبيعة الموسيقا التي تنتج عن قصيدة ما تنقسم إلى قسمين: موسيقا خارجية، وموسيقا داخلية، ولا يقل أحد القسمين أهمية عن الآخر، لأن كل قسم يؤدي وظيفة موسيقية معينة، ولا تخرج موسيقا شعر الحنين في هذا العصر عن القسمين السابقين، فالقسم الأول هو الظاهر، يتمثل في الوزن وما يستخدم الشّاعر من بحور شعرية تناسب الغرض الذي قيل فيه النصّ الشّعري، والقسم الداخلي المتمثل بحسن اختيار الألفاظ وترابطها، وحسن تقسيمها وما تحدثه في نفس المتلقي من أثر.

1. الموسيقا الخارجية.

تبدو الموسيقا الخارجية واضحة من خلال الوزن والقافية، والوزن كما يراه ابن رشيق "من أعظم أركان حد الشّعر، وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية" (3). ويعد الوزن أخصّ ميزات الشّعر وأبنيها في أسلوبه، حيث يقوم على ترديد التفاعيل المؤلفة من الأسباب والأوتار والفواصل، وعن ترديد التفاعيل تنشأ الوحدة الموسيقية للقصيدة كلها (4).

وربط بعض النّقاد بين الوزن وموضوع القصيدة، فحازم القرطاجني يؤكد ذلك بقوله: "ولما كانت أغراض الشعر شتى، وكان منها ما يقصد به الجد والرّصانة، وما يقصد به الهزل والرّساقّة، ومنها ما يقصد به البهاء والتّفخيم وما يقصد به الصّغار والتّحقير وجب أن تحاكي تلك المقاصد بما يُناسبها من الأوزان، ويخيلها للنّفوس" (5).

والممتنع لشعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي، يجد أن الموسيقا الخارجية انقسمت إلى قسمين، هما:

(1) ابن طباطبا، عيار الشعر، 21.

(2) نقد الشعر، 74.

(3) العمدة، 134/1.

(4) ينظر: الشايب، أحمد، الأسلوب، 13.

(5) منهاج البلغاء، 266.

أ- البحور الشعرية

فقد نظم الشاعر الزنكي والأيوبي قصائده ومقطعاته الشعرية في الحنين على معظم البحور الشعرية، وإن تفاوتت النسبة من بحر إلى آخر.

فمن خلال استقراء النصوص الشعرية في شعر الحنين لهذه الفترة، كانت النصوص المستشهد بها مئتين وخمسة وثلاثين نصاً شعرياً، جاءت وفق الجدول التالي:

الرقم المتسلسل	البحر	التكرار	النسبة المئوية للتكرار إلى مجموع القصائد والمقطعات
-1	الطويل	78	33.1%
-2	الكامل	49	20.8%
-3	البسيط	38	16.1%
-4	الخفيف	17	7.2%
-5	الوافر	15	6.3%
-6	المتقارب	9	3.8%
-7	السريع	6	2.5%
-8	الرجز	4	1.7%
-9	المنسرح	4	1.7%
-10	الرمل	2	0.85%
-11	المجتث	2	0.85%
-12	المديد	1	0.42%
-13	الهجج	1	0.42%
-14	مجزوء الكامل	5	2.1%
-15	مجزوء الرمل	3	1.2%
-16	مخلع البسيط	1	0.42%

يلاحظ من الجدول السابق أن الشعراء نظموا على ثلاثة عشر بحراً من البحور العروضية، أي ما نسبته 81,2% من بحور الشعر وتدل هذه النسبة على أن الشعراء نسجوا على معظم البحور الشعرية، باستثناء ثلاثة بحور، هي: المتدارك والمضارع، والمقتضب، وكانت أكثر البحور استخداماً البحر الطويل، والكامل والبسيط، ويأتي في مقدمتها بحر الطويل بنسبة 33,1%، ما يقارب ثلث النصوص الشعرية التي قيلت في الحنين، والبحر الطويل يُؤثر على غيره من البحور، ويتخذ الشعراء ميزاناً لأشعارهم

ولا سيما في الأغراض الجديدة⁽¹⁾، لعل سبب إكثار الشعراء من استخدام هذا البحر العروضي أن البحر الطويل يتسع للكثير من المعاني⁽²⁾، فالشاعر في حديثه عن الوطن وما يحويه من مفاتح غالية وعزيزة عليه يحتاج إلى شرح وتفصيل وتوضيح، وهذا ما يناسبه البحر الطويل.

أما البحر الكامل، فكان في المرتبة الثانية، ما نسبته 20,1%، وهذا أمر طبيعي، لأن البحر الكامل قادر على الإخبار عن إحساس الشاعر ومشاعره وألمه وحزنه، والبحر الكامل " أكثر بحور الشعر جلجة وحركات، وفيه لون خاص من الموسيقى إن أريد به الجد فخماً جليلاً مع عنصر ترنمي ظاهر، ويجعله إن أريد به الغزل، وما بمجره من أبواب اللين والرقّة، حلواً عذباً مع صلصلة كصلصة الأجراس، ونوع من الأبهة يمنعه أن يكون نزقاً أو خفيفاً أو شهوانياً"⁽³⁾.

وجاء البحر البسيط في المرتبة الثالثة، وهو من البحور الطوال يتحمل الوصف والحديث عن الوطن والأهل، والأحبة والأصدقاء الغائبين، وتذكر الأيام الماضية، فلا غرابة أن ينظم الشاعر على هذا البحر الرقيق الباكي حيث يقول: عبد الله مجذوب، " والحقيقة إن رقة البسيط من النوع الباكي تظهر في باب الرثاء وتظهر في كل ما يغلب عليه عنصر الحنين والتّحسر على الماضي"⁽⁴⁾.

وهذا ما يلمس في قصائد الحنين إلى الوطن، والبكاء عليه، والتّعلق به، لما يحتمله البحر البسيط من موسيقا ساعدت على إثارة المشاعر العامة، وإيقاظ العاطفة، والإحساس بقيمة الوطن.

ومن البحور الأخرى التي جاءت في مراتب متقدمة الخفيف، والوافر، وهكذا فقد مال الشعراء في هذا العصر إلى استخدام البحور الطويلة في قصائدهم ومقطعاتهم الشعرية، لأنها قادرة على التعبير عن حنينهم، واستيعاب انفعالاتهم القوية وتحسّرهم، وأهمهم لما يفتقدون.

إلى جانب البحور السابقة، هناك بحور أخرى قليلة الاستعمال في شعر الحنين، وإن ساهمت في إبراز موسيقاه، هي: المتقارب، والسريع، والرّجز، والمنسرح، والرّمّل، والمجنث، والمديد، والهزج.

(1) ينظر: أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، 191.

(2) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد العربي، 322.

(3) مجذوب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب، 246/1.

(4) نفسه، 474/1.

ب- القافية.

القافية "آخر كلمة في البيت" (1)، ويعدها ابن رشيق القيرواني "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية" (2).

ويعرف إبراهيم أنيس القافية، فيقول: "ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر أواخر الأَشْطَر والأبيات الشعريّة من القصيدة، وتكرارها، هذا يكون جزءاً هاماً من الموسيقى الشعريّة، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة" (3).

وتركز القافية بشكل رئيس على حرف الروي، وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه، إن كانت عيناً لزم العين إلى آخر القصيدة (4)، ويعد الصوت الذي لا بد أن يشترك في كل قوافي القصيدة (5)، فلا يكون الشعر مقفى إلا إذا اشتمل على ذلك الصوت في أواخر الأبيات، وإذا تكرر وحده ولم يشترك مع غيره من الأصوات، عدت القافية حينئذ أصغر صورة ممكنة للقافية الشعرية (6).

والقافية هي النتيجة الطبيعية لأبيات مبنية على هذه المقاطع نفسها، وهي تجانس صوتي للحركة الأخيرة، وهي ليست تابعة لشيء آخر، فهي عنصر مستقل وظيفته الحقيقية لا تظهر إلا إذا وضعت في علاقة مع المعنى (7).

تنوعت حروف الروي في شعر الحنين في هذين العصرين، فقد نظم الشعراء على عشرين حرفاً من حروف المعجم العربي يوضحها الجدول الآتي:-

الرقم المتسلسل	حرف الروي	التكرار	النسبة المئوية للتكرار إلى مجموع القصائد والمقطعات
1-	اللام	41	17,4%
2-	الراء	36	15,3%
3-	التون	30	12,7%
4-	الميم	28	11,9%
5-	الدال	23	9,7%

(1) العروضي، أبو الحسن، الجامع في العروض والقوافي، 263.

(2) العمدة، 15/1.

(3) موسيقى الشعر، 246.

(4) العروضي، أبو الحسن، الجامع في العروض والقوافي، 266.

(5) ينظر: سليمان، أماني، الأسلوبية الصوفية، 461.

(6) ينظر: أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، 247.

(7) كوين جون، بناء لغة الشعر، 98.

6-	الباء	15	6,3%
7-	الحاء	11	4,6%
8-	الفاء	11	4,6%
9-	العين	9	3,8%
10-	السين	7	2,9%
11-	الياء	6	2,5%
12-	التاء	5	2,1%
13-	الهمزة	1	0,42%
14-	الدال	1	0,42%
15-	الجيم	1	0,42%
16-	الظاء	1	0,42%
17-	الطاء	1	0,42%
18-	العين	1	0,42%
19-	القاف	1	0,42%
20-	الكاف	1	0,42%

بالنظر إلى الجدول المتقدم، يلاحظ ما يأتي:-

أولاً: التثويح في القوافي، حيث استخدم ما نسبته 71.4% من الحروف الهجائية، رويًا. ثانيًا: اعتماد شعر الحنين على القوافي الجميلة التي تضفي جرساً موسيقياً مثل: (اللام، والراء، والنون، والميم) وليست نافرة مثل: (الياء، والجيم، والظاء، والقاف)، التي تقع موسيقاها الصوتية على الأذن وقعاً سيئاً، وبالتالي لا يكون أثرها مستملاً⁽¹⁾.

ثالثاً: كثرة عدد القصائد والمقطعات على قافية اللام، ما نسبته 17,4% ، وذلك لأن النطق لا يتعسر فيها، وتستسيغها الآذان⁽²⁾.

وتنقسم القافية إلى مطلقة ومقيدة، والقافية المقيدة " هي ما كانت ساكنة الروي، كما في كلمات زمان، جنان، قرون"⁽³⁾ أما المطلقة هي " ما كانت متحركة الروي إما بالضمّة، أو الكسرة أو الفتحة"⁽⁴⁾.

والمتتبع لشعر الحنين في هذا العصر يجد أن أكثر نتاج الشعراء في ذلك جاء على القافية المطلقة ما نسبته (86,3) " وذلك أمر طبيعي لأن إطلاق الصوت في القافية

(1) ينظر: الشايب، أحمد، أصول النقد الأدبي، 325، 326.

(2) ينظر: أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، 38.

(3) عتيق، عبد العزيز، علم العروض والقافية، 164.

(4) نفسه، 165.

يعين على إثراء الموسيقى، ويساعد على إظهار ما يختلج في نفس الشاعر من ولع وحنين" (1).

أما القافية المقيدة، فكان استخدامها ما نسبته (13,7) وهذه نسبة قليلة بالمقارنة مع القافية المطلقة.

2-الموسيقا الداخلية.

إن التلاؤم بين أجزاء القصيدة، ينتج قوى موسيقية خصبة تبرز من خلالها جماليات القصيدة الخاصة التي تميزها عن قصيدة أخرى، وهذه الموسيقى تتصل بجرس الألفاظ، وخواصها الصوتية، وأنماطها البديعية، وكذلك لها صلة بطريقة تأليف الكلام (2).

اعتنى النقاد والعروضيون القدامى بهذا النوع من الموسيقى، يقول حازم القرطاجي: "وبقوة تهدي إلى العبارات الحسنة يجتمع في العبارات أن تكون مستعذبة جزلة ذات طلاوة، فالاستعذاب فيها يحسن المواد والصيغ و الائتلاف" (3).

ومن هنا كانت عناية الشاعر الزنكي والأيوبي ببعض فنون البديع، والتفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام حتى يكون له نغم وموسيقا، وحتى يسترعي الأذان بألفاظه كما يسترعي القلوب (4).

أ-التصريح.

استخدم شعر الحنين في هذا العصر موسيقا التصريح من ذلك ما يظهر في مطلع قصيدة أسامة بن منقذ: { الطويل }

تَنَاءَوا ، وَمَا شَطَّتْ بِنَا عَنْهُمُ الدَّارُ وَمَالَتْ بِهِمْ عَنَّا خُطُوبٌ وَأَقْدَارُ (5)
بنى الشاعر قصيدته على موسيقا بحر الطويل، والقافية رائية مطلقة، وقد زاد التصريح من إثراء البيت موسيقياً.

ومن الشعراء الذين استخدموا التصريح، المهذب بن الزبير، حيث يقول: { الكامل }

(1) دقالي، محمد أحمد، الشعر الأندلسي، 532.

(2) ينظر: أنيس إبراهيم، موسيقى الشعر، 45.

(3) مناهج البلاغ، 255.

(4) ينظر: ابن رشيق، العمدة، 1/ 173.

(7) ينظر: ابن حجة الحموي، خزنة الأدب، 2/ 278.

(5) نفسه، 69.

هُمُّ نُصَبُ عَيْنِي: أُنْجِدُوا أَوْ غَارُوا وَمُنَى فُؤَادِي: أَنْصَفُوا أَوْ جَارُوا(1)
ومنه قول ظافر الحداد: { الطويل }

عَلَى الْجَانِبِ الْإِسْكَندَرِيِّ سَلَامٌ يُكْرِرُهُ مِثِّي عَلَيْهِ دَوَامٌ(2)

وقول ابن مطروح: { الطويل }

رَأَى الْبَرْقَ نَجْدِيٌّ، فَحَنَّ إِلَى نَجْدٍ فَعَادَهُ حِلْفَ الصَّبَابَةِ وَالْوَجْدِ(3)

وهكذا يزيد التصريح في مطلع القصيدة من الجرس الموسيقي الذي تُلذ به الأسماع.

ب - التكرار.

من الموسيقى الإيقاعية الداخلية أيضاً موسيقا التكرار، والتكرار من الوسائل الفنية التي تسهم في خلق العلاقات المتعددة داخل البيت عن طريق تميزه بالتوازن، والأخبار تبعا للسياق، فيتحقق الإفهام، والتأثير(4).

ويكون التكرار بالحروف والألفاظ والعبارات، وهذه جميعها تعطي نوعاً من الموسيقى الداخلية من خلال التكرار.

ويعد التكرار خاصية ظاهرة في شعر الحنين فهو يدل على تأكيد تجربة الحنين، ويعبر عما يعانیه الشاعر من ضيق وتمزق(5).

ومن الأمثلة على التكرار الحرف، حرف النون في قصيدة لابن عنين التي بنى قافيتها على حرف النون، فقد تكرر الحرف في الأبيات الآتية إحدى عشرة مرة، وهذا أكسب النص الشعري جرساً موسيقياً فأثار الانتباه عند المتلقى: { الطويل }

(1) الديوان، 273.

(2) الديوان، 273.

(3) نفسه، 124.

(4) ينظر: عبد المطلب، محمد، البلاغة الأسلوبية، 219.

(5) ينظر: دقالي، محمد أحمد، الحنين في الشعر الأندلسي، 549.

أَحَبَّةَ قَلْبِي فِي الدُّنُوِّ وَفِي النَّوَى وَأَقْصَى أَمَانِي النَّفْسِ فِي السَّرِّ وَالْعَلْنِ
أُنَاسًا أَعْدُ الْعَدْرَ مِنْهُمْ بِذِمَّتِي وَقَاءً وَأَلْقَى كُلَّ مَا سَاءَنِي حَسَنُ
وَكَمْ فَوْقُوا نَحْوِي سِهَامًا عَلَى النَّوَى فَأَصْنَمْتُ فُوَادِي وَاعْتَدْتُ بِهَا مِنْنًا⁽¹⁾

ومنه أيضاً قول ابن القيسراني: { المتقارب }

مَرَرْنَا بِجَوٍّ فَهَاجَ الْجَوَى عَلَى مُهَجَّةٍ شَرَقَتْ بِالنَّوَى⁽²⁾
يلاحظ أنه كرر حرف الجيم أربع مرات، وهذا أعطى جرساً موسيقياً قوياً، مكنّ الشاعر من التعبير عن حنينه الشديد إلى العراق.

ومن موسيقياً التكرار في شعر الحنين تكرار الكلمة أكثر من مرة في النص الشعري، وتشكل الكلمة الركن الثاني بعد الحرف في بناء النص الشعري⁽³⁾، ولذلك فإن الشاعر يقوم أحياناً بتكرار كلمة ليخدم النظام الداخلي للنص عن طريق تكثيف الدلالة الإيحائية له⁽⁴⁾، كما أنها تشتمل على قيمة إيقاعية فترداد لفظة معينة ينتج جرساً موسيقياً له أثره على المتلقي، ومن ذلك قول الكندي البغدادي: { الطويل }

سَرَى مَعَكُمْ نَوْمِي فَأَصْبَحْتُ بَعْدَكُمْ أَلْوَمُ السَّرَى مِنْهُ وَأَبْكِي سَرَائِمًا⁽⁵⁾
في هذا البيت نلاحظ تكرار كلمة (سرى) ثلاث مرات مع تغير الشكل في (سراكم)، ويكشف التكرار عن حالة الشاعر النفسية التي غرقت في الشوق والحنين إلى الحبيب الغائب، ويضفي إيقاعاً موسيقياً ينسجم والدلالة، إذ تعد قوالب الألفاظ وصيغها إيقاعات موسيقية⁽⁶⁾.

ومنه أيضاً قول ابن الهبارية: { السريع }

وَكُلُّ وَجْهِ مِثْلُ شَمْسِ الضُّحَى فَوْقَ قَوَامٍ مِثْلُ عُصْنِ رَشِيْقٍ
وَكُلُّ رَدْفٍ وَافِرٍ وَارِمٍ يَحْمَلُهُ بِالظُّلْمِ خَصْرٌ دَقِيْقٌ

(1) ابن عنين، الديوان، 77.

(2) الديوان، 65.

(3) ينظر: مبروك، مراد عبد الرحمن، من الصوت إلى النص، 211.

(4) ينظر: عياش، منذر، الأسلوبية وتحليل الخطاب، 80.

(5) الديوان، 74.

(6) ينظر: مبروك، مراد عبد الرحمن، من الصوت إلى النص، 98.

وَكُلُّ لَفْظٍ طَيِّبٍ مُّتَمِّعٌ يَسْكُرُ مِنْ قَبْلِ كُؤُوسِ الرَّحِيقِ (1)

يلاحظ في الأبيات المتقدمة تكرار كلمة (كل)، التي أشاعت إيقاعاً موسيقياً مؤثراً، كما أن الحنين الدائم إلى بغداد مسيطر على عقل الشاعر وجسمه، ولم يترك مجالاً لغيره، وجاء التكرار ليؤكد هذا الشوق.

ومنه أيضاً قول القاضي الفاضل { الطويل }

أَدَارَ الصَّبَا، لَأَمِثْلُ رَبْعِكَ مَرْبَعٌ أَرَى غَيْرَكَ الرَّبْعَ الْأَنْبَسَ قَفَّاراً (2)
فقد كرر الشاعر كلمة (ربع) في البيت المتقدم ثلاث مرات، وإن طرأ تغيير على شكلها، حيث أراد من خلال التكرار توكيد المعنى وتثبيتته في ذهن السامع، ويصبو إلى تحقيق جرس موسيقي عذب.

ومن موسيقياً التكرار أيضاً تكرار بعض الأساليب، مثل تكرار أسلوب المدح "حبذا"، إذ يقول ابن عنين: { الطويل }

فَيَا حَبَّذا قَوْمٌ هُنَاكَ وَحَبَّذا مِنْ الْأَرْضِ غَرْبِي الْحَدَالِي وَغَرْب (3)
حيث يكرر الشاعر أسلوب (حبذا) مرتين ذلك لتأكيد المعنى، وهو الشوق والحنين إلى دمشق، ولتحقيق جرس موسيقي بالتكرار.

ومنه أيضاً تكرار أسلوب الاستفهام في قول العماد الأصبهاني: { الهزج }

تُرى يَجْتَمِعُ الشَّامِلُ؟ تُرى يَتَّقُ الْوَصْلُ؟
تُرى الْعَيْشَ الَّذِي مَرَّ مَرِيحاً بَعْدَهُمْ يَحُلُّو؟
تُرى مِنْ شَاغِلِ الْهَمِّ فُؤَادِي الْمُبْتَأَى يَخْلُو؟ (4)

(1) الديوان، 160.

(2) الديوان، 489/2.

(3) الديوان، 88.

(4) العماد الأصبهاني، الديوان، 334.

يلاحظ في الأبيات المذكورة تكرار أسلوب الاستفهام بلفظة (تري) ليؤكد الشاعر شوقه لأصدقائه في بغداد كما أن التكرار أثرى الموسيقى الشعرية الداخلية، وأضاف جرساً موسيقياً جميلاً.

ومنه أيضاً قول ابن مطروح: { البسيط }

يَا بَرَقُ: حَيِّ عُرَيْبَ الْجَزَعِ عَنْ جَزَعٍ واقْرُ السَّلَامَ عَلَيَّ حَيِّ بِذِي سَلَمٍ
يَا مَوْرَدَ الْوَصْلِ مِنْ جَرَعَاءِ كَأُظْمَةٍ نَحْنُ الْعَطَاشُ إِلَى سَلْسَالِكَ الشَّيْمِ (1)
ففي البيتين المتقدمين كرر الشاعر صيغة النداء (يا) مرتين، ومما أحدث نوعاً من الانسجام، وأشعر المتلقي بالموسيقى الداخلية الإيقاعية الواضحة.

يقول الزمخشري متشوقاً صديقاً إليه { الطويل }

وَمِنْ أَيْنَ أَنْسَى مَنْ إِذَا مَا ذَكَرْتُهُ تَنَسَّمْتُ مِنْ ذِكْرَاهِ ذِكْرَ إِلَهٍ لِي
وَمِنْ أَيْنَ أَنْسَى مَنْ فَوَائِدُ عِلْمِهِ مُدَاوِلَةٌ مَا بَيْنَ سَمْعِي وَمَقُولِي (2)
فقد أكسب التكرار لصيغة الاستفهام " أين " النص الشعري نوعاً من الموسيقى الإيقاعية، الناتجة عن تآلف العناصر وانسجامها مع بعضها البعض.

وهكذا، قد أدت كل من الموسيقى الخارجية والداخلية لشعر الحنين وظيقتها التي تناسبها، واستطاعت أن تبرز جمال النص الشعري، بما أحدثته من تناسق وانسجام بين عناصره الموسيقية الخارجية والداخلية، فأثارت الانتباه في نفس المتلقي.

(1) ابن مطروح، الديوان، 188
(2) الديوان، 202.

رابعاً: الصّورة الشعريّة.

الصّورة الأدبية جزء لا يتجزأ من العمل الأدبي، ولا تنفصل عن سياق القصيدة العام، فالقصيدة أصلاً هي صورة شعرية بأحاسيسها، وتجاربها، وتآلف ألفاظها ومعانيها، ويصبح لها وظيفة مباشرة مع الفن لأنها " أكبر عون على تقدير الوحدة الشعريّة، أو الكشف عن المعاني العميقة التي ترمز إليها القصيدة"⁽¹⁾، وهذا بدوره يؤدي إلى فهم الفن والتلذذ به.

ومفهوم الصّورة الشعريّة ليس بالمفهوم الجديد، فقد عرف النقاد القدامى الصّورة الشعريّة بقولهم: " الوصف إنما هو ذكر الشّيء كما فيه من الأحوال والهيئات"⁽²⁾.

وأشار ابن رشيق القيرواني إلى التّصوير الشعري، حيث فرق بين الصّورة المباشرة وغير المباشرة، إذ يقول: " الشعر إلّا أقله راجع، إلى باب الوصف، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه، وهو مناسب للتشبيه، مشتمل عليه، وليس به؛ لأنه كثيراً ما يأتي في أضعافه، والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا إخبار عن حقيقة الشّيء وإن ذلك مجاز وتمثيل"⁽³⁾.

وجمع حازم القرطاجيّ بين الصّورة المباشرة وغير المباشرة بقوله: " واعتماد الصّناعة الشعريّة على تخييل الأشياء التي يعبر عنها بالأقوال، وبإقامة صورها في الدّهن بحسن المحاكاة"⁽⁴⁾.

ويقول أيضاً: " المحاكاة التامة في الوصف هي استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل تخييل الشّيء الموصوف"⁽⁵⁾.

وأضاف المحدثون إلى مفهوم القدماء، فهناك من يرى أن الصّورة الشعريّة علاقة صريحة أو ضمنية بين تعبيرين أو أكثر، بحيث تضيف على أحد التّعابير لونا من العاطفة، فتكتف معناه التّخيلي الذي يعاد حلقة من خلال ارتباطه مع التّعابير الأخرى⁽⁶⁾.

(1) عباس إحسان، فن الشعر، 230.

(2) قدامه، بن جعفر، نقد الشعر، 30.

(3) العمدة، 294/2.

(4) منهاج البلاغ، 62.

(5) نفسه، 105.

(6) ينظر: عبد الله، محمد حسن، الصورة والبناء الشعري، 37.

ويعرفها آخر بأنها "تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصّور مستمدة منه، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصّورة النفسية"⁽¹⁾.

فالتعريفات المتقدمة للصّورة الشعريّة تظهر أن أنماط الصّورة الشعريّة عند القدامى هي التّشبيه والاستعارة.

أما أنماط الصّورة الشعريّة، التي قدمتها الدّراسات الحديثة فمتعددة متنوعة بشكل كبير منها: الصّورة الحسية والإيحائية، وغيرها من الصّور.

اهتم الشعراء في العصرين الزنكي والأيوبي بالصّورة اهتماماً بالغاً واعتمدوا الأسلوب الفني، التّصويري في نقل أفكارهم ومشاعرهم، سواء أكان ذلك بالأساليب البيانية المعروفة، أم الوصف الذي يعتمد على ظلال الكلمات وإيحاءاتها في رسم المشهد وإشاعة الجو الذي يريده الشّاعر⁽²⁾.

وتنقسم الصّورة الشعريّة في الدّراسة إلى قسمين:

1- الصّورة البيانية:-

هي الصّورة غير المباشرة التي يعتمد فيها الشّاعر على التّصوير البياني كالتّشبيه والاستعارة والكناية⁽³⁾.

ومن الأمثلة على الصّورة البيانية قول أسامة بن منقذ: { السّريع }

أصقبت الدّارُ، وقلبي مُشتاقُ ما أتعب الحاملَ قلباً ثواقُ
كالبرق، مشبوب الضّرّام خقاق⁽⁴⁾

يرسم الشّاعر صورة معبرة لخفقان قلبه، فشبهه بالبرق الملهب المضطرم، لشدة توقانه وشوقه للمحبوبة.

(1) البطل، علي، الصورة في الشعر العربي، 30.

(2) ينظر: الرقب، شفيق محمد عبد الرحمن، الشعر العربي في بلاد الشام، 316.

(3) ينظر: عبد الله، محمد حسن، الصورة والبناء الشعري، 145.

(4) الديوان، 92.

ومن الصّور البيانية التي وردت في الحنين قول ابن مطروح: { البسيط }

كَانَتْ كَأَضْعَاطِ أَحْلَامٍ فَوَا أَسْفَا أَنْ لَاتَعُودُ لَنَا فِي طَارِقِ الْحُلْمِ⁽¹⁾
استطاع الشّاعر أن يأتي بصورة جديدة حيث صور المنازل التي غدت أطلالاً بأضغاث
الأحلام التي لا يصح تفسيرها لاختلاطها وعدم وضوحها، وهذه الصّورة تضاعف
تجربة ابن مطروح الشّعريّة، فالمنازل التي يشناق إليها صارت حلمًا بعيد المنال.

وحن ظافر الحداد إلى وطنه وما فيه من أيام جميلة كانت وسيلة للوصف والتّعبير،
حيث صور أيامه بالإسكندرية بما فيها من سرور العيش وهنائه بالجواهر القيّمة التي
انتظمت في عقد فصلّ خصيصاً لها، وبذلك تمكن أن يقدم صورة جميلة معبرة عن حنينه
إلى وطنه وأهله وأيامه الماضية: { الطويل }

وَأَيَّامُنَا كَالدَّرِّ فَصَلَّ عِقْدُهُ وَتَمَّ وَلَمْ يَنْفَكْ مِنْهُ نِظَامُ⁽²⁾

وفي موضع آخر يكرر ظافر الحداد الصّورة نفسها، حيث صور الليالي والأيام
المنصرمة بالجواهر المنتظمة بالعقد، يقول: { الطويل }

لِيَالٍ وَأَيَّامٌ تَقَضَّتْ كَأَنَّهَا جَوَاهِرُ نَظْمٍ خَانَهَا الْعَقْدُ مِنْ عِقْدِ⁽³⁾

ويقدم العماد الأصبهاني صورة جميلة، يصور فيها دمشق وطبيعتها الخلابة بجنة الخلد
ودار النّعيم القائم بما تحويه من مظاهر النّعيم المادي المختلفة مظهرًا حنينه القوي
لدمشق يقول: { البسيط }

دَارُ النَّعِيمِ وَمِنْ أَدْنَى مَحَاسِنِهَا ثَمَارُ تُمُوزٍ فِي أَيَّامِ كَأَنُونِ
نَعِيمُهَا غَيْرُ مَمْنُوعٍ لِسَاكِنِهَا كَالْخُلْدِ وَالْمَنْ فِيهَا غَيْرُ مَمْنُونِ
كَأَنَّهَا هِيَ لِلأَبْرَارِ قَدْ فَتَحَتْ مِنَ الْفَرَادِيسِ أَبْوَابَ الْبَسَاتِينِ⁽⁴⁾

ويفتتن ابن منير الطرابلسي بطبيعة دمشق، فتكون مناظرها الجميلة منبعًا للتّعبير
والتّصوير، حيث أطل في ذكرها ووصف محاسنها، فصور دمشق بالفتاة المتباهية
المفتخرة بنفسها يقول: { البسيط }

(1) ابن مطروح، الديوان، 189.

(2) ظافر الحداد، الديوان، 274.

(3) نفسه، 99.

(4) العماد الأصبهاني، الديوان، 432، 433.

سَقَى دِمَشَقَ وَمَعْنَى لِلْهَوَى فِيهَا حَيًّا تَهْزُ لَهُ أَعْطَافَهَا تِيهَا (1)

ويأتي ابن الهبّاريّة بصورة تقليدية يستمدها من السّابقين، فيشبهه وجه المحبوبة بشمس الضّحي، وقد جرى الشعراء على تشبيه الوجه بالشمس، ويصور خصرها بالغصن الرقيق الرّشيق، يقول: { السّريع }

وَكُلُّ وَجْهِ مِثْلُ شَمْسِ الضُّحَى فَوْقَ قَوَامٍ مِثْلُ عُصْنِ رَشِيقٍ
وَكُلُّ رَدْفٍ وَأَفْرٍ وَأَرَمٍ يَحْمَلُهُ بِالظُّلْمِ خَصْرٌ دَقِيقٌ (2)

ومن الصّور البيانية المطروقة في الشّعر تشبيه النّجوم بمصابيح الرّهبان لشدة لمعانها، حيث يقول امرؤ القيس: { الطويل }

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَايِخُ رُهَبَانَ تُشَبُّ لِقَالِ (3)

وهذا ما يظهر عند ابن عنين في تشوقه إلى دمشق، إذ يقول: { الطويل }

تَعْرَضَ وَهَنًا وَالنُّجُومُ كَأَنَّهَا مَصَايِخُ رُهَبَانَ تُشَبُّ عَلَى بُعْدِ (4)

ومن عناصر التّصوير البياني الكناية، حيث أورد ظافر الحداد هذه الصّورة البيانية في مقطعة لامية يتحسر فيها على رحيل زمن الشّبّاب، فيقول: { الكامل }

أَسْفَى عَلَى زَمَنِ الشَّبَابِ الزَّائِلِ أَسْفَى أَدِيمٌ عَلَيْهِ عَضٌّ أَنَامِلِي
وَأَيُّ قَلَامٍ يَعْطِفُهُ هَاجِرٍ مِنْهُ وَلَا أَمَلٌ لِأَوْبَةِ رَاحِلِ (5)

فكنى بقوله: (عضّ أناملي)، عن النّدم والتّحسر على فراق زمن الحيوية والنّشاط، زمن الشّبّاب "وقد رسم الشّاعر صورة تعبيرية عن تجربة الحنين تتمثل في صورة الإنسان النّادم الحيران الذي عض أطراف أنامله بأسنانه.

(1) ابن منير الطرابلسي، الديوان، 132.

(2) الديوان، 160.

(3) الديوان، 141.

(4) ابن عنين، الديوان، 72.

(5) ظافر الحداد، الديوان، 247.

2- الصّورة الحسية.

هي الصّورة التي ترتد إلى حاسة من الحواس الخمس لدى الإنسان، وترتبط بالأثر النفسي الذي تحدثه في المتلقي (1).

وقد استخدم الشعراء الزنكيون والأيوبيون الصّورة الحسية، بأنواعها المختلفة: البصرية، والسمعية، والشمية، والذوقية.

أ- الصّورة البصريّة.

هي الصّورة التي ترتبط بحاسة البصر، فالعين " أم الحواس لأن معظم ماديّات الكون ترى بالعين" (2).

ومن هذه الصّور، قول أسامة بن منقذ: { الكامل }

وَقَبَابُهُمْ فِي الْأَلِّ تَطْفُو مِثْلَمَا يَطْفُو الْحَبَابُ عَلَى الرَّحِيقِ الْأَبْيَضِ (3)
يلاحظ أن الشاعر اختار من الألفاظ ما يبعث على الحركة (تطفو) و (يطفو) فصور منظر القباب في السراب بالفقايع التي تطفو، وهذه صورة جميلة ، تظهر مدى مقدرة الشاعر على دقة التصوير.

ومن ذلك أيضا قول الأرجاني: { الكامل }

شَاقَ الْحَمَامُ إِلَيْكَ لَمَّا رَاحَا صَبَابًا تَدُكَّرُ إِلْفَهُ فَارْتَاخَا
وَمُرْتُحُ الْأَعْطَافِ تَحْسِبُ صَدْعَهُ لَيْلًا وَتَحْسِبُ خَدَّهُ مِصْبَاحًا (4)
يرسم الشاعر صورة جميلة للمحبوب الغائب، فيصور شعر صدغه بالليل ، وهذه صورة بصرية معبرة، ويصور نضارة خده بالمصباح المضيء المشرق الذي تتمتع العين برؤيته.

ويقول ابن عنين: { الخفيف }

وَرُبَا عَزَّتَا وَقَدْ جَادَهَا التُّلْمُ مَجُجٌ وَلَاحَتْ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ

(1) ينظر: الشناوي، على الغريب، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، 133.
(2) الرجبي، عبد المنعم حافظ، الحنين إلى الديار في الشعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، 543، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، ، 1979م.
(3) الديوان، 78.
(4) الديوان، 1/ 188.

كَعْرُوسٍ مِنْ آلِ سَاسَانَ تُجَلِي فِي دَيْقِيٍّ حُكْمًا وَإِزَارًا (1)
صور الشاعر الرُّبَا المغطاة بالثلوج البيضاء بالعروس التي تجلي بالثوب الأبيض، وهي صورة هادئة، لأن اللون الأبيض يبعث حالة من الهدوء والطمأنينة والاسترخاء، ويزيد من الحجم الظاهر للأشياء (2).

ومن الصّور البصرية قول ظافر الحداد: { البسيط }

وَاللَّيْلُ زَنْجِيَّةٌ وَأَنْتَ وَقَدْ نَشَرْتَ مِنْ شَعْرَهَا وَأَفْرَ الْقُرْعَيْنِ تَسْحَبُهُ (3)
جمع الشاعر بين الليل والزنجية، فتصوير الليل بالزنجية يوحي بشدة سواد الليل وظلامه، فاللون الأسود يمثل الظلام الكامل، وانعدام الرؤية والخوف من المجهول (4)، وهذه صورة سلبية تعكس القلق الكامن في نفس الشاعر من طول الليل، وصور إن لهذا الليل شعراً طويلاً ممتداً، وتدلل هذه الصورة البصرية على طول الليل.

ب - الصّور السّمعية.

هي الصّورة التي لها علاقة بالسمع والأصوات، ويصيغها الشاعر في خياله بحسب ما يتوفر إليه من أدوات سواء ثقافته أم بيئته بعد أن هزّت مشاعره (5).

وقد وردت هذه الصّورة في شعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي، من ذلك قول أسامة بن منقذ: { الكامل }

فَأَنَا كَالْحَمَامِ تَبُوحُ حِينَ تَنُوحُ بِالشِّ شَكْوَى، وَلَمْ تَفْعَرْ لَهَا فَمَ نَاطِقُ (6)

فالشاعر يتكلم، والحمام يهدل، وهذه الصّورة تبعث في المخيلة صورة حسية سمعية، تجعل المتلقي يدرك أن الشاعر يبكي بصوت أجش، كما أن الحمام يعبر عن حزنه من خلال هديره.

ومنه أيضاً قول ابن مطروح: { الوافر }

وَكَمْ أَهْدَى حَمَامُ الْجَزْعِ وَهَنًا إِلَيْهِ حَمَامَهُ لَمَّا تَغْنَى (7)

(1) الديوان، 75.

(2) ينظر: عبد الوهاب، شكري، الإضاءة المسرحية، 85.

(3) الديوان، 66.

(4) ينظر: علي، إبراهيم محمد، اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، 165.

(5) ينظر: الدخيل، محمد حامد، الصورة الفنية في الشعر الأندلسي، 63.

(6) الديوان، 91.

(7) الديوان، 195.

تعكس الصورة المتقدمة حالة الشاعر النفسية، وتصور مأساته من خلال لفظة (تغنى) التي ترد إلى حاسة السمع، ليعبر الشاعر عن انفعالاته وأحزانه.

ويقول ظافر الحداد: { الوافر }

فَأَصْبَحَ دِمْنَةً تَعْدُو السَّوْافِي عَلَيْهِ وَقَصْرُهُ قَفْرٌ يَبَابُ
تُؤْوِحُ الْهَاتِقَاتُ عَلَى دُرَاه وَتُعْشِبُ فِي أَسَافِلِهِ الرَّحَابُ⁽¹⁾

صور الشاعر المنازل التي غدت دمناً وآثراً من خلال التّوواح وهو صوت حزين، ويكشف عن مرارة الشاعر وألمه بما حل بالديار بعد هجرها.

ويشكل الأرجاني صورة معتمده على الأصوات، ما لها من دلالات نفسية، فصوت الحمام على الشجر علمه الشجوة، وتكره بالمحبة الغائبة، حيث غدا إنساناً حزيناً متألماً، فيقول: { السريع }

صَوْتُ حَمَامِ الْأَيْكِ عِنْدَ الصَّبَاحِ جَدَّدَ تَذْكَارِي عَهْدِ الصَّبَاحِ
عَلَّمْتَنَّا الشَّجْوَ، فَيَا مَنْ رَأَى عُجْمًا يُعَلِّمَنَ رَجَالًا فَصَاحِ
أَلْحَانَ ذَاتِ الطَّوْقِ فِي عُصْنِهَا تُذَكِّرُنِي أَرْمَانَ ذَاتِ الْوَشَاحِ⁽²⁾

ج - الصورة الشمية.

هي الصورة التي تعتمد على حاسة الشم، مثل وصف رائحة الأزهار⁽³⁾.

ومن الأمثلة على الصورة الشمية.

قول العماد الأصبهاني: { البسيط }

أَهْدَى النَّسِيمُ لَنَا رِيًّا الرِّيَّاحِينَ أَمْ طَيْبَ أَخْلَاقِ حَيْرَانِي "بَجَيْرُون"
هَبَّتْ لَنَا نَفْحَةٌ فِي جِلْقِ سَحْرًا بَاحَتْ بِسَرٍّ مِنْ الْفِرْدَوْسِ مَكْنُونِ

(1) الديوان ، 28.

(2) الأرجاني، الديوان ، 180/1.

(3) ينظر: الشناوي، على الغريب، الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي، 135.

وَقَاحَ بِالْعَرَفِ مِنْ أَرْجَائِهَا أَرْجُ نَالَ الْمَسْرَةَ مِنْهُ كُلُّ مَحْزُونٍ (1)
 رسم الشّاعر صورة زاهية وجميلة إلى دمشق، اعتمد في جزء منها على حاسة الشّم،
 فنسيم جيرون العطر يذكره بأخلاق أهل جيرون الطّيبة، إضافة إلى الرّوائح الطّيبة التي
 قامت في أرجاء دمشق كلها، فمنحت شعوراً بالسّعادة والهناء، لكل مهموم وحزين، وقد
 كشفت الصّورة عن حب الشّاعر وعشقه لجيرون.

ويقول ظافر الحداد: { الطّويل }

وَفِي الْبِرْكَاتِ الْعَنْاءَ لِلطَّرْفِ مَسْرَحٌ نَهَى مَا انطَوَى مِنْ جَفْنِهِ عَن مَائِهِ
 يُبْلَغُنَا عَن زَهْرَهَا وَأَفْدُ الصَّبَا سَلَاماً تَوَلَّى الْمِسْكَ رَدَّ جَوَابِهِ (2)
 وهي صورة جميلة جامعة للرّوائح الطّيبة الزّكية، إذ صور ما شمه من مسك يفوح من
 أزهار البركة التي يحن ويشتاق إليها، كأنها إنسان يبلغ السّلام، ويرد التّحية. وفي صورة
 جميلة رسمها ظافر الحداد أيضاً يقول: { الوافر }

وَقَدْ بَثَّ النَّسِيمُ بَخُورَ عِطْرِ يُصْعَدُ طَيْبِهِ مِنْ غَيْرِ نَارٍ (3)
 يلاحظ أن الشّاعر اختار من الألفاظ ما يرتد إلى حاسة الشّم (البخور، العطر، طيبة)،
 ليعبر عن جمال بلاده وحسن طبيعتها المليئة بالرّوائح الزّكية العطرة.

د- الصورة الذوقية

وهي الصّورة التي تعود إلى حاسة الدّوق، وقد جاءت قليلة في شعر الحنين، يقول
 أسامة بن منقذ: { مجزوء الكامل }

إِنْ رَاعَ قَلْبُكَ هَجْرَهُ فَعَدَا يَلِينُ لَهُ أَشَدُّ
 وَالصَّبْرُ سُومٌ نَقِيعٌ لَكِنْ مِنْهُ يُشَارُ شَهْدُهُ (4)

فقد رسم الشّاعر صورة معبرة لصبره على فراق الحبيب، الذي تحول من مجرد إلى
 محسوس، بإضفاء لفظة (السّم) المر القاتل، ولفظة (الشّهد)، حيث ستتحول مرارة الفراق
 إلى طعم حلو بعودة الحبيب.

الخاتمة

(1) الديوان، 431.

(2) الديوان، 48.

(3) ظافر الحداد، الديوان، 144.

(4) أسامة بن منقذ، الديوان، 13.

قامت الباحثة في هذا العمل بدراسة شعر الحنين في العصر الزنكي والأيوبي، في الفترة الزمنية الواقعة ما بين (518هـ - 648هـ) دراسة منهجية وافية، فقد تبين لها ما لهذا الشعر من أهمية، كونه يعبر عن عاطفة إنسانية صادقة وتجربة شعورية عميقة، بينت مدى انتماء الشاعر لوطنه الأم وتعلقه به، وبما يحويه من مفنقات عزيزة على قلبه، حيث عبر الشاعر الزنكي والأيوبي، عن حنينه إلى الوطن الذي هو رمز الثبات والاستقرار، وإلى المحبوب الغائب، والأهل والأقرباء والأصدقاء، والذكريات الماضية، كما حن إلى الأماكن المقدسة، وعبر عن حبه المطلق إلى الذات الإلهية.

ويمكن القول إن الباحثة توصلت من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج منها:

1- إن الحنين إلى الأطلال والمنازل، كان تقليداً فنياً سار عليه الشعراء في هذا العصر ليبرزوا قدراتهم الشعرية المليئة بالأحاسيس والتعبير الفنية القوية، حيث تمكن الشاعر الزنكي والأيوبي من الدخول في عالم الطلل رغم البعد الزمني عن تلك الفترة التي كانت فيها الديار ومنازل الأحبة حياة حقيقية، عاشها فافتقدتها وحنَّ إليها، ولكن لم يكن موضوع الوقوف على الأطلال موضوعاً تقليدياً عند أسامة ابن منقذ، وإنما نتيجة تجربة ذاتية عاشها الشاعر.

وفي مجال حنين المكرهين، تمكن الشاعر الزنكي والأيوبي أن يترك أثراً عميقاً في نفس المتلقي، حيث صور ما يكتنفه من إحساس بالظلم والقهر، والشعور بالخرابة، فقد ابتعد عن وطنه قسراً، رغم تعلقه به فهو غير راغب بالبعد والرحيل، لكن الظروف الاضطرارية هي التي أجبرته على ذلك، وهذا ما ضاعف إحساسه بقسوة الزمان.

والأمر ذاته في حنين المسجونين، إذ استطاع الشاعر أن يجلب تعاطف القارئ ويشعر بوقع المصيبة وعظمتها، حيث ركز على الحديث عن تجربة السجن القاسية، وما تركت من آثار سلبية في نفسه، فقد وصف السجن كونه شيئاً بغيضاً يصادر حرية السجن حيث لا يلقى فيه سوى المعاملة الفظة من السجنان، التي تعزز النفس القلقة في الشاعر فتدفعه إلى استعطاف الحكام، وجذب عواطفهم ليخفف من خوفه وفرزه من الحبس.

ومن شعر المكرهين أيضاً، وجود بعض المقطعات الشعرية التي قالها الشعراء النازحون الذين اضطروا إلى ترك أوطانهم لأسباب مختلفة، مثل هجاء الحكام، أو مؤامرة تحاك ضدهم، أو نتيجة لمشاكل داخلية تعاني منها بلادهم.

2- إن التصوص التي تم جمعها في الشعر الزنكي والأيوبي، أعطت صورة واضحة عن مظاهر شعر الحنين، حيث قُسمت إلى خمس مظاهر، هي:

الحنين إلى الوطن، والحنين إلى المحبوب، والحنين إلى الأهل والأصدقاء، والحنين إلى الذكريات الماضية، والحنين الديني.

واستنتجت الباحثة في هذا الجانب ما يأتي:-

أ- احتل شعر الحنين إلى الوطن جانباً كبيراً من نتاج الشاعر الزنكي والأيوبي، عبر من خلاله عن الحنين الممزوج بالألم والحسرة على فراق الوطن، كما دلت الأشعار على مدى ارتباط الشاعر الزنكي والأيوبي بوطنه، وتعلقه به، حيث حن إلى مسقط رأسه، ومنشأ طفولته، وذكريات صباه، وحن أيضاً إلى مدن أخرى أقام فيها فترة من الزمن فأسهمت في تكوين شخصيته وثقافته وافتتن أيضاً بطبيعة بلاده الخلابة فوصف أنهارها وحدائقها الغناء، وتمنى العودة إليها ليطمئن قلبه ويهدأ باله، وجاء حنينه إلى وطنه صادقاً معبراً في ألفاظه ومعانيه.

ب- شكل مظهر الحنين إلى المحبوب جانباً مهماً في شعر الحنين في هذا العصر، حيث عبر الشاعر عن حنينه وشوقه تجاه المحبوب، وقد برز هذا الموضوع من خلال المقدمات الغزلية، التي بدأ بها الشاعر قصيدة المدح، كما ظهر أيضاً من خلال غرض الغزل.

ج - كشفت النصوص الشعريّة التي قيلت في الحنين أن الشاعر الزنكي والأيوبي حن إلى أهله وأقربائه وأصدقائه، فقد اشتاق إلى ابنه وأخيه وأهله، كما برز في هذا الموضوع شعر الحنين إلى الأصدقاء الغائبين، حيث أرسل الشاعر بأشواقه إليهم نادماً على فراقهم.

د- شكّلت الذكريات الماضية جزءاً لا يتجزأ من موضوعات الحنين فقد حنّ الشاعر إلى أيامه الماضية بما فيها من سرور العيش ولذته التي افتقدها، حيث عبر عن حنينه إلى زمن الشباب والحيوية والنشاط، وكان حنينه إلى الماضي إعادة للذكريات الجميلة، وذلك ليقهر حاضر الإنهزام والعجز.

هـ- كشفت أشعار الحنين أيضاً عن مظهر آخر من مظاهر الحنين، وهو الحنين الديني، الذي ظهر نتيجة لتقرب الشاعر الزنكي والأيوبي من الله سبحانه وتعالى والتضرع إليه، حيث حنّ إلى الأماكن المقدسة، مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وقبر الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها، وجاء حنينه الديني مصحوباً بالتعظيم والتقديس والتعبير عن حنينه الدائم إلى الذات الإلهية من خلال قصائد احتوت أشرف الألفاظ والمعاني، في محبة الله تعالى والتقرب إليه،

3- إن الجانب الفني في شعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي كشف عن قضايا مختلفة، أبرزها:

أ- جاء شعر الحنين في نوعين من النظم هما:

المقطعات الشعرية التي اتسمت بوحدة الفكرة وقوة العاطفة، فلم يظهر من خلالها البناء الفني العام للقصيدة الطويلة، فالقصائد الطوال التي قام بناؤها الفني العام على ثلاثة معايير، هي: المطلع، والتخلص، والخاتمة.

ب- تناولت الدراسة في هذا الجانب الخصائص الأسلوبية لشعر الحنين، فوقفت على ألفاظ الحنين التي وظفها الشاعر في تجربته الفنية، حيث قسمت إلى قسمين: ألفاظ الحنين المباشرة، من مثل: (أحنُّ، حنين، الشوق، المشتاق وغيرها) والألفاظ الدالة على الحنين منها (الصَّبابَة، الوجد، والتلهف، والفراق وغيرها). واستخدم الشاعر الزنكي والأيوبي، أسلوب الاقتباس والتضمين، وقد تأثر الشاعر بالكثير بالآيات القرآنية التي تتناسب وحالته النفسية، وتواصل مع الحديث النبوي وإن لم يكن هذا التواصل بارزاً، واقتبس من الشعراء السابقين، حيث تأثر بألفاظهم وأساليبهم، وضمن أقوال بعضهم في أشعاره، ليضاعف فكرته ويبرزها أكثر.

واستخدم الشاعر الزنكي والأيوبي، في حنيته الأساليب الإنشائية المختلفة، مثل: أسلوب النداء، ووظف أسلوب الاستفهام ليعبر عن حاضره المرير واصطدامه بالواقع، ولجأ إلى أسلوب التمني؛ ليجري حنيته إلى تلك المفتقدات التي يتمنى عودتها.

اهتم الشاعر الزنكي والأيوبي بالمحسنات البديعية اهتماماً واضحاً؛ ليظهر مهارته في التصرف بالكلمة صورة وصوتاً، حيث وظف الطباق والمقابلة ليظهر المفارقة بين صورة الماضي وصورة الحاضر، وكان الطباق من أكثر المحسنات البديعية حضوراً.

وجمّل الشاعر الزنكي والأيوبي، قصيدة الحنين باستخدام الجناس بنوعيه: التام والناقص، مظهراً ما يضيفه الجناس من موسيقا إيقاعية تترك أثراً في نفس المتلقي، واستخدم التقسيم حيث قسم البيت الشعري إلى أجزاء متساوية، تحدث تناسقاً موسيقياً واضحاً، ووظف رد العجز إلى الصدر ليؤكد على حنيته وشوقه إلى تلك المفتقدات، وليبرز صدق تجربته الشعرية.

ج- انتقلت الدراسة إلى جانب آخر من الخصائص الفنية، وهو جانب موسيقا شعر الحنين، وقد جاءت في قسمين، هما: القسم الخارجي المتمثل في الوزن والقافية، حيث كشفت الدراسة أن الشاعر الزنكي والأيوبي نظم على أغلب البحور الشعرية، من

أبرزها: بحر الطويل، والكامل، والبسيط، والخفيف، والوافر، وكان الأكثر استخداماً من بينها بحر الطويل.

أما القافية، فقد استخدم الشاعر القافية، بنوعها: القافية المطلقة والمقيدة، وإن غلب استخدام المطلقة على المقيدة، ونوع في حروف الروي، حيث استخدم معظم حروف المعجم العربي، وكان حرف اللام الأكثر حضوراً في شعر الحنين، يليه حرف الراء، والنون.

وأسهمت الموسيقى الداخلية في إثراء موسيقا شعر الحنين حيث تمكنت من أن تبرز جمال النص الشعري بما أحدثته بعض المحسنات البديعية التي وظفها الشاعر في حنينه، من ذلك: التصريح والتكرار، وهي بعض العناصر الموسيقية الداخلية التي أضفت جرساً موسيقياً عذباً على أشعار الحنين.

د- تناولت الدراسة الصورة الشعرية في شعر الحنين، حيث استخدم الشاعر الزنكي والأيوبي الصورة الشعرية، غير المباشرة، المتمثلة بالصور البيانية، واستعمل الصورة الشعرية الحسية بأنواعها المختلفة: البصرية، والسَّمعية، والشَّمية، والدوقية.

وأخيراً، توصي الباحثة بدراسة شعر الحنين في العصرين المملوكي الأول والثاني دراسة شاملة.

وفي الختام أمل أن تكون الدراسة قد أسهمت في إبراز شعر الحنين في العصرين الزنكي والأيوبي، وأرجو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل الذي بذلت فيه جهداً كبيراً، بما يرضي الله سبحانه وتعالى، والقارئ، فإن وفقت فمن الله، وإن قصرت فمن نفسي، والتقصير سمة البشر.

الباحثة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- الألوسي، جمال الدين.
- أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية، مطبعة أسعد، (د.ط) بغداد، 1970م.
- الأمدي، الحسن بن بشر بن يحيى (ت 370هـ)
- الموازنة بين أبي تمام والبحتري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعارف (د.ط)، القاهرة، 1924م.
- الأبشيهي، شاب الدين محمد بن أحمد، (ت 850هـ)
- المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002م، (1-2).
- الإبياري، إبراهيم.
- الوطن في الأدب العربي، دار القلم، (د.ط)، القاهرة، 1962م.
- الأبيوردي، أبو المظفر محمد بن أحمد بن إسحاق، (ت 507هـ)
- الديوان (العراقيات والنجديات)، تحقيق: عمر الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987م، (1-3).
- الأرجاني، ناصح الدين أحمد بن محمد، (ت 544هـ).
- الديوان، تحقيق: قدرى مايو، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، 1998م، (1-2).
- أسامة بن منقذ، أبو المظفر بن مرشد الشيزري، (ت 584هـ).
- البديع في نقد الشعر، تحقيق: عبد. آ. علي مهنا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987م.
- الديوان، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1953م.
- المنازل والديار، تحقيق: مصطفى حجازي، دار الصباح، ط2، القاهرة، 1992م.

- امرؤ القيس، ابن حجر الكندي (ت80 ق. هـ)
- **الديوان**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط3، القاهرة، (د.ت).
- أمين، أحمد.
- **النقد الأدبي**، مكتبة نهضة مصر، ط1، القاهرة، 1972م، (2-1).
- أمين فوزي.
- **الحركة الفكرية والأدبية في الإسكندرية في القرن السادس الهجري**، دار الوفاء، (د.ط) الإسكندرية، 2003م.
- الأمين يحيى.
- **معجم الألفاظ المثناة**، دار العلم للملايين، (د.ط) بيروت، 1982م.
- أنيس إبراهيم.
- **موسيقى الشعر**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، (د.م) 1965م.
- البحتري، أبوعبادة الوليد، (ت284هـ)
- **الديوان**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، 2000م، (2-1).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، (ت256هـ).
- **صحيح البخاري**، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت)، (د.م)، (1-1)
- (5)
- البطل، علي.
- **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1981م.
- البغدادي، إسماعيل بن محمد باشا، (ت1339 هـ).
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار العارفين**، مكتبة المثنى، (د.ط) بغداد، 1955م، (2-1).

- بكار يوسف حسين،
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم في ضوء النقد الحديث، دار الأندلس، ط2، بيروت، 1982م.
- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، (ت 487هـ)
- معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1983م، (1-4).
- البوريني، بدر الدين الحسن بن محمد، (ت 1024هـ) والتابلسي، عبد الغني بن إسماعيل (ت 1062هـ)
- شرح ديوان ابن الفارض، جمع الفاضل رشيد بن غالب اللبثالي، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، (1-2).
- البيهقي، إبراهيم بن محمد (ت 320هـ).
- المحاسن والمساوي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، 1991م. (1-2).
- ابن تغري بردي، يوسف الأتابكي (ت 874هـ).
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: جمال محرز وفهيم شلتوت، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، (د.ط)، القاهرة، 1971م، (1-16).
- أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (ت 231هـ).
- الديوان، شرح وتعليق، شاهين عطية، مراجعة يونس الموصلي، شركة الكتاب اللبناني، ط1، بيروت، 1968م.
- التونجي، محمد.
- المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1999م.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت 255هـ).

- الحنين إلى الأوطان، تحقيق عبد الفتاح قبلان، مطبعة المنار، ط1، مصر، 1978م.
- الجبوري، يحيى.
- الحنين والغربة في الشعر العربي، (الحنين إلى الأوطان)، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 2008م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد بن سعيد عبد السلام الكناني، (ت614هـ).
- جمع ودراسة، تحقيق: فوزي الخطبا، دار الينابيع، ط1، عمان 1991م.
- جميل بثينة، أبو عمر جميل عبدالله القضاعي، (ت82هـ).
- الديوان، دار صادر، بيروت، 1961م.
- الجمحي، محمد بن سلام (ت231هـ).
- طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، شرح: محمود محمد شاكر، (د.ط)، جدة، (د.ت)، (1-2).
- الجوهرى، إسماعيل بن حماد (ت393هـ).
- الصّاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1984م، (1-6).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، وكالة المعارف الجليّة، (د.ط) إستانبول، 1941م، (1-2).
- حازم القرطاجيّ أبو بكر (ت684هـ).
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، ط2، بيروت، 1991م، (1-2).

-الحموي، ياقوت عبدالله (ت 626هـ).

- معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1993م، (1-7).
- معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، (د.ط)، بيروت، (د.ت) (1-5).

- حور، محمد إبراهيم.

- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، 1973م.

- الحيص بيص، سعيد بن محمد بن سعد بن الصّيفي التّميمي البغدادي، (ت 574هـ).

- الديوان، تحقيق: مكي السيد جاسم، وشاكر هادي شاكر، منشورات وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، سلسلة كتب التراث، (د.ط)، بغداد، (د.م)، 1974م، (1-3).

- أبو خزام، أنور فؤاد.

- معجم المصطلحات الصّوفية، مراجعة جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1993م.

- الخشروم، عبد الرازق.

- الغربية في الشعر الجاهلي، دار الأنوار للطباعة، (د.ط) دمشق، 1982م.

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد (ت 808هـ).

- مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1998م.

- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ).
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، القاهرة، 1950م، (8-1).
- ابن الخياط، أبو عبدالله بن علي التغلبي الدمشقي (ت 517هـ).
- الديوان، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، ط3، بيروت، 1994م.
- الدخيل، محمد ماجد مجلي.
- الصورة الفنية في الشعر الأندلسي شعر الأعمى التطيلي أنموذجاً، دار الكندي، (د.ط)، عمان، 2006م.
- دقالي، محمد أحمد.
- الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري).
- دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية، 2008م.
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن الأزدي القيرواني، (ت 456هـ).
- العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ط 4، بيروت، 1972م، (2-1).
- الرقب، شفيق محمد عبد الرحمن.
- الشعر العربي في بلاد الشام في القرن السادس الهجري، دار الصفاء، جامعة مؤتة، 1993م.
- ابن الرومي، علي بن العباس (ت 283هـ).
- الديوان، تحقيق: حسين نصار، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د.ط) القاهرة، 1974م، (6-1).
- الزبيدي محب الدين أبو الفضل السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ).
- تاج العروس في شرح القاموس، المطبعة الخيرية، ط1، القاهرة، 1986م، (8-1).

- الزركلي، خير الدين.
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط14، بيروت، 1999م، (1-8).
- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت 538هـ).
- الديوان، تحقيق: عبد الستار ضيف، مؤسسة المختار، ط1، القاهرة، 2004م.
- زغلول، محمد سلام.
- تاريخ النقد العربي في القرن الخامس إلى القرن السابع، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- زهير بن سلمى، ربيعة بن رباح المزني (ت 13 ق. هـ).
- الديوان، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1988م.
- الزوزني، عبد الله الحسن بن أحمد، (486هـ).
- شرح المعلقات السبع، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 1998م.
- ابن الساعاتي، بهاء الدين أبو الحسن علي بن رستم بن هردوز الخرساني (ت 604هـ).
- الديوان، الجامعة الأمريكية، (د.ط)، بيروت، 1938م، (1-2).
- سبط بن التعاويذي، أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن الكاتب، (ت 553هـ).
- الديوان، دار صادر، اعتناء: ديس مرجليوث، مطبعة المقتطف، (د.ط)، (د.م)، 1903م.
- السحراني، أسعد.
- التصوف منشؤه ومصطلحاته، دار النفائس، (د.ط)، بيروت، (د.ت).
- السراج، عبد الله بن علي الطوسي (ت 378هـ).

- **اللمع في التصوف،** تصحيح: نيكلسون رينولد إلن، (د.ط)، ليدن هولندا، 1914م.
- سليمان، أماني.
- **الأسلوبية والتصوفية،** دار مجدلاوي، (د.ط)، عمان، 2000م.
- الشايب، أحمد.
- **الأسلوب،** مكتبة النهضة المصرية، ط12، القاهرة، 2003م.
- **أصول النقد الأدبي،** مكتبة النهضة المصرية، ط8، القاهرة، 1973م.
- ابن الشعار الموصلي، كمال الدين أبو البركات المبارك، (ت 654هـ).
- **قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بـ (عقود الجمان في شعراء هذا الزمان)،** تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2005م، (1-10).
- الشناوي، علي الغريب.
- **الصورة الشعرية عند الأعمى التطيلي،** مكتبة الآداب، ط1، القاهرة، 2003م.
- الصّدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (ت 764هـ).
- **الوافي بالوفيات،** الجزء (1-4)، باعثناء: هلموت ريتز، فرانزشتاينر، ط2، فيسبادن، 1962م.
- **الجزء (5) س. ديدرینگ،** فرانزشتاينر، فيسبادن، مطابع دار صادر، بيروت، 1401هـ-1981م.
- **الجزء (9) باعثناء: يوسف فان إس،** فرانزشتاينر، (د.ط) شتوتغارت، 1991م.
- **الجزء (10) تحقيق: جاكلين سوبله وعلي عمارة،** فرانزشتاينر، ط2 شتوتغارت، 1992م.
- **الجزء (18)، باعثناء محمد الحجيري،** فرانزشتاينر، شتوتغارت، 1991م.
- **الجزء (19)، باعثناء: روان السيّد،** فرانزشتاينر، ط1، شتوتغارت،

1992م.

• الجزء (22)، باعثناء رمزي البعلبكي،فرانزشتاينر، ط2،شتوتغارت،
1992م.

• الجزء (27)، تحقيق:أو تفريد فايترنت، الشركة المتحدة للتوزيع،ط1،
بيروت،1997م، (1-30).

- ضيف، شوقي.

• دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، ط9، القاهرة،
(د.ت).

- ابن طباطبا، محمد بن أحمد (ت 322هـ).

• عيار الشعر، تحقيق عبد العزيز المانع، دار العلوم، (د.ط)، الرياض،
1985.

- طبانة بدوي.

• البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1962م.

- الطغرائي، أبو إسماعيل الحسين بن علي، (ت515هـ).

• الديوان، تحقيق: علي جواد الطاهر ويحيى الجبوري، سلسلة كتب
التراث، العراق، (د.ط)، 1976م.

- ظافر الحداد، ابن منصور بن عبد الله من بني جذام، (ت529هـ).

• الديوان، تحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر، (د.ط)، (د.م)، (د.ت)

- عباس، إحسان.

• فن الشعر، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- عبد الله، محمد حسن.
- الصورة والبناء الشعري، دار المعارف، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- عبد المطلب، محمد.
- البلاغة الأسلوبية، الشركة المصرية العامة للنشر، (د.ط)، القاهرة، (د.ط).
- عبد الوهاب، شكري.
- الإضاءة المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، (د.م)، القاهرة، 1985م.
- عتيق، عبد العزيز.
- علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، (د.ط)، بيروت، 1987م.
- العجاج، عبدالله بن روبة، (ت90هـ).
- الديوان، برواية الأصمعي، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق، (د.ط)، بيروت، 1971م.
- ابن عذبية، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشافعي المقدسي، (ت856هـ).
- إنسان العيون في مشاهير سادس القرون، تحقيق: إحسان ذنون الثامري، ومحمد عبد الله القدحات، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 2007م.
- العروضي، أبو الحسن أحمد بن محمد، (ت342هـ).
- الجامع في العروض والقوافي، تحقيق: زهير غازي زاهد، وهلال ناجي، دار الجيل، ط1، بيروت، 1996م.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله، الشافعي، (ت571هـ).
- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، ط1، بيروت، 1998م، (1-70).

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (ت 395هـ).
- كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1989م.
- عرقلة الكلبي، حسان بن نمير بن عجل، (ت 567هـ).
- الديوان، تحقيق: أحمد الجندي، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1992م.
- علي، إبراهيم محمد.
- اللون في الشعر العربي قبل الإسلام، (قراءة ميثولوجية) جروس برس، ط1، طرابلس، 2001م.
- العماد الأصبهاني، عماد الدين الكاتب، أبو عبدالله محمد، (597هـ).
- خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء الشام، تحقيق: شكري فيصل، المجمع العلمي العربي، (د.ط)، دمشق، 1959م، (1-17).
- الديوان، تحقيق: ناظم رشيد، جامعة الموصل، (د.ط)، الموصل، 1983م.
- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت 1089هـ).
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1-8).
- عمارة اليمني، نجم الدين عمار بن الحسن علي بن محمد بن زيدان القحطاني اليمني، (ت 569هـ).
- الديوان، تحقيق: عبد الرحمن يحيى الإيراني، وأحمد عبد الرحمن المعلمي، مطبعة عكرمة، ط1، دمشق، 2000م، (1-2).
- عمر بن أبي ربيعة، عبدالله بن أبي ربيعة، أبو الخطاب، (ت 93هـ).
- الديوان، قدم له: عبد، أ، علي مهنا، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت)

- عنتره العبسي، عنتره بن شداد بن عمرو (ت 22 ق هـ).
- **الديوان**، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1958م.
- ابن عنين، شرف الدين، أبو المحاسن محمد بن نصر الأنصاري
الدمشقي، (ت 630 هـ).
- **الديوان**، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر، ط2، بيروت، 1959م.
- عياشي، منذر.
- **الأسلوبية وتحليل الخطاب**، مركز الإنماء الحضاري، ط1، القاهرة،
2002م.
- ابن الفارض، أبو حفص عمر بن أبي الحسن الحموي، (ت 632 هـ).
- **الديوان**، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت، (د.ط)، بيروت، 1979م.
- فتیان الشاغوري، الشهاب البستاني، فتیان بن علي الأسدي، (ت 615 هـ).
- **الديوان**، تحقيق: أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية، (د.ط)، دمشق،
1976م.
- أبو فراس الحمداني، الحارث بن سعيد، بن حمدان، (ت 357 هـ).
- **الديوان**، شرح: عباس عبد السائر، دار الكتب العلمية، (ط5)، بيروت
2003م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، (ت 817 هـ).
- **القاموس المحيط**، دار الفكر، (د.ط)، بيروت، 1999م.
- القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، (ت 596 هـ).
- **الديوان**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وإبراهيم الإبياري، دار المعرفة،
ط1، القاهرة، 1961م، (1-2).
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت 226 هـ).

● **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، (د.ط) القاهرة، 2003م، (1-2).

- قدامة بن جعفر، أبو الفرج (ت 327هـ).
● **نقد الشعر**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، (د.ط)، بيروت، (د.ت).

- ابن قسيم الحموي، شرف الدين أبو المجد مسلم بن الخضر بن قسيم التتوخي الحموي، (ت 542هـ).
● **جمع ودراسة**، تحقيق: سعود محمد عبد الجابر، دار البشير، ط1، عمان، 1995م.

- القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان، (ت 465هـ).
● **الرسالة القشيرية**، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، (منشورات محمد علي بيضون) ط1، بيروت، 1998م.

- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 821هـ).
● **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، مطابع كوستا تسوماس وشركاه، (د.ط)، القاهرة، (د.ت). (1-14).

- ابن القيسراني، أبو عبد الله، محمد بن نصر بن صغير، (ت 548هـ).
● **الديوان**، تحقيق: عادل جابر صالح محمد، الوكالة العربية للنشر والتوزيع، ط1، الزرقاء، 1991م.

- القيسي، نوري حمودي.
● **الطبيعة في الشعر الجاهلي**، دار الإرشاد (د.ط)، بيروت، 1970م.

- الكتبي، محمد شاكر، (ت 764هـ).

- فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، (د.ط)، بيروت، 1974م، (1-5).
- كثير عزة، عبد الرحمن بن الأسود، (ت 105هـ).
- الديوان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، (د.ط) بيروت، 1971م.
- الكندي، البغدادي، أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن البغدادي، (ت613هـ).
- الديوان، تحقيق: سامي مكّي العاني، مطبعة المعارف، (د.ط)، بغداد، 1977م.
- كوين، جون.
- بناء لغة الشعر، ترجمة: أحمد درويش، دار المعارف، ط3، مصر، 1993م.
- مبارك، زكي.
- مدامع العشاق، المكتبة العصرية، ط3، بيروت، 1971م.
- مبروك، مراد عبد الرحمن.
- من الصوت إلى الصورة، نحو منهجي لدراسة النص الشعري، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 2002م.
- المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين، (ت 354هـ).
- شرح ديوان المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري المسمى، (التبيان في شرح الديوان)، ضبط نصه وصححه: كمال طالب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م، (1-4).
- المجذوب، عبد الله.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، مطبعة البابي الحلبي، ط1، القاهرة، 1955م، (1-2).

- المحبي، محمد أمين بن فضل الله، (ت 1111هـ).
- جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1981م.
- ابن المرزبان، محمد بن إسماعيل الكرخي البغدادي، (ت 330هـ).
- الشوق والفراق، تحقيق: الدكتور خليل العطية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988م.
- المرزوقي، أحمد بن محمد، (ت 421هـ).
- شرح ديوان الحماسة، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ط2، القاهرة، 1967م، (1-4).
- ابن مطروح، جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم، (ت 649هـ).
- الديوان، تحقيق: حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، (د.ط)، القاهرة، 2004م.
- المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت 845هـ).
- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (د.ط)، القاهرة، 1956م، (1-11).
- المقرئ، أحمد بن المقرئ التلمساني، (ت 1041هـ).
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت، 1997م، (1-8).
- الملك الأمجد، بهرام شاه بن فروخ شاه بن أيوب، (ت 628هـ).
- الديوان، تحقيق: ناظم رشيد، (د.ط)، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1983م.

- مندور، محمد.
- **الأدب وفنونه**، دار نهضة مصر، (د.ط)، القاهرة، (د.ت).
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ).
- **لسان العرب**، دار صادر، ط3، بيروت، 1994م، (1-15).
- ابن منير الطرابلسي، أبو الحسين أحمد بن منير بن مفلح الطرابلسي الرفاء، (ت 548هـ).
- **الديوان**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، ط1، صيدا، بيروت، 2005م.
- المهذب بن الزبير، أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير المصري، (ت 561هـ).
- **الديوان**، تحقيق: محمد عبد الحميد سالم، هجر للطباعة والنشر، ط1، الجيزة، 1988م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت 518هـ).
- **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، (د.ط)، بيروت، (د.ت)، (1-2).
- النابلسي، عبد الغني، (ت 1143هـ).
- **نفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار**، عالم الكتب، ط3، بيروت، 1984م.
- ابن التّيبه المصري، كمال الدين علي بن محمد يوسف، (ت 619هـ).
- **الديوان**، تحقيق: عمر بن محمد الأسعد، دار الفكر، ط1، (د.م)، 1969م.
- نصر، عاطف جودة.
- **شعر عمر بن الفارض، دراسة في فن الشعر الصّوفي**، دار الأندلس، ط1، بيروت، 1982م.

- ابن الهبّاريّة، محمد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن العباسي، (ت 509هـ).
- الديوان، تحقيق: محمد فائز سنكري طرابيشي، تقديم: الدكتور محمد حموية، منشورات وزارة الثقافة (إحياء التراث العربي)، (د.ط)، دمشق، 1997م.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الأنصاري، (ت 213هـ).
- السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وصاحبيه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، القاهرة، 1955م، (1-4).
- هياجنة، محمد سليم.
- الاغتراب في القصيدة الجاهلية، دار الكتاب الثقافي، (د.ط)، إربد، 2005م.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي اليمني، (ت 768هـ).
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط4، بيروت، 1970م، (1-4).

الدوريات

- بدوي، عبده.
- الغربية المكانية في الشعر العربي، (13-40)، مجلة عالم الفكر، الكويت، م15، ع1، 1984م.
- الحمداني، هادي.
- شعر السجون و الأسر في الأدب العربي، (550-577)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع13، 1970م.
- ابن المرزبان، محمد بن سهل، (ت 330هـ).
- كتاب الحنين إلى الأوطان، (129-174)، تحقيق: جليل العطية، مجلة المورد، بغداد، م16، ع1، 1987م.

الرّسائل الجامعية

- إبراهيم، صاحب خليل.
- الغربية والحنين في الشّعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1988م.
- حبيب، وهران محمود.
- الحنين في شعر صدر الإسلام، رسالة دكتوراة، جامعة تشرين، دمشق، 2003م.
- الرّجبي، عبد المنعم حافظ.
- الحنين إلى الديار في الشّعر العربي إلى نهاية العصر الأموي، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.
- سليمان، رولا ناصر.
- شعر أسامة بن منقذ دلالاته وخصائصه الفنية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، (د.م)، (د.ت).
- عمرو، علي عبد الله،
- تحقيق: ديوان الزّمخشري، ودراسة لشعره، رسالة دكتوراة، جامعة القاهرة، 1979م.

Abstract

Nostalgia has accompanied literature, especially poetry throughout centuries.

Nostalgia is homesickness and longing for people whom we heartfully love and who are absent far away from us.

Later on two types of nostalgia have existed: longing for sacred locations and Sufis' nostalgia.

This thesis is but a link in a chain of nostalgia studies, and it is not the first one in this field. Many have preceded me. Of them, for instance, are the following:

1. Abul-Mun'im Al Rajabi in his doctorate of letters titled "Nostalgia for homelands in Arabic Poetry up to the end of the Umayyad Age".
2. Muh'd Ibrahim Hawwar in his book "Arabic Literature up to the End of the "Umayyad Age".
3. Muh'd Ahmad Daqqali in his book "Nostalgia in the Andalusian Poetry in the Seventh Century A.H".

In my study I have used the descriptive analytic and introductive approach, pointing out technical and aesthetic aspects of the poems. I also have shed light on the poets personalities.

My thesis consists of an introduction, three chapters and a conclusion. The introduction defines nostalgia phenomenon linguistically and terminologically. The first chapter discusses what nostalgic poetry contains of lamenting homelands ruins and longing for the compelled people (people who were forced to depart their homes in spite of their free will).

The second chapter focuses on nostalgic poetry in the Zinki and Ayyubi Ages. It includes longing for homelands, beloved people, past memories, religious longing and longing for sacred locations.

The third chapter addresses the technical aspects of nostalgic poetry in these two ages: building the poem (its style and rhythm). It also clearly shows the poetical portraits.

The conclusion sums up the main points I have remarked in the Zinky and Ayyubi nostalgic poetry. Here are they:

1. Poets of this period used traditional approach in their long poems, especially the pre-Islamic age. In other words they built their poems on the traditional pillar. They did so to prove their ability of imitating previous poets, especially pre-Islamic ones.
2. The texts I have collected are a clear portrait of nostalgic poetry in these two ages.
3. Nostalgic poetry of the Zinki and Ayyubi ages reveals the technical aspects of this poetry, such as short poems and long ones, styles and rhythm; and the literary portraits, especially figures of speech.